سلسلة الرحلة إلى الثقلين ١٥

فرق أهل السنة

جماعات الماضي وجماعات الحاضر

تأليف

صالح الورداني

مركز الأبحاث العقائدية

سلسلة الرحلة إلى الثقلين

(١٥)

فرق أهل السنة
جماعات الماضي وجماعات الحاضر

تأليف

صالح الورداني

اسم الكتاب : فرق أهل السنة

المولف : صالح الورداني

الطبعة : الاولى

المطبعة : ستاره

الكمية : ٢٠٠٠

الناشر : مركز الأبحاث العقائدية

تاريخ النشر : ١٤٢٤ هـ

ISBN : ٩٦٤-٣١٩-٤٣٣-٧

إيران ـ قم المقدسة ـ صفائية ـ ممتاز ـ رقم ٣٤ ص . ب : ٣٣٣١ / ٣٧١٨٥

الهاتف : ٧٧٤٢٠٨٨ (٢٥١) (٠٠٩٨) الفاكس : ٧٧٤٢٠٥٦ (٢٥١) (٠٠٩٨)

www.aqaed.com
info@aqaed.com

دليل الكتاب

مقدمة المركز

لا يخفى على أحد بأنّ الافتراق يؤدّي إلى تمزيق الأمة وتفتيت أوصالها وإضعاف بنيتها والحاق الخسارات الهائلة بها، نتيجة ضياع جهودها في الصراع والمهاترات والشقاق.

وقد ابتلي المجتمع الإسلامي ـ للأسف ـ بهذا الداء، بعد أن التحق رسول الله صلى الله عليه وآله بالرفيق الأعلى، ويشهد التاريخ بأنّ الأمة الاسلامية ما إن رزئت بفقده إلاّ وتغلّبت عليها الأهواء واستيقظت فيها الفتن، حتى عادت الجاهلية ونور الإسلام في الآفاق.

ومن هذا المنطلق بدأت الفرق المتعددة والجماعات المتضادة والتكتلات المختلفة تنتشر في الدائرة الاسلامية، حتى مهّد هذا الأمر للسلطات الحاكمة أن تستغل الوضع لمآربها الخاصة ومصالحها الشخصية.

وأوّل ما فعلت هذه السلطات أنّها استقطبت الفرق التي توفّرلها الدعم، ونبذت الاتجاهات التي لا تتماشى مع مصالحها.

ومن هنا احتضنت الحكومات مذهب أهل السنة، لأنها وجدته المذهب الوحيد الذي يوفّر لها ما تريد، فتقبلته بكل ترحاب، ومهّدت له السبيل للبقاء، لتستمد من وجوده مشروعية استيلائها على دفة الحكم، وليكون هذا المذهب مبرراً لكل ما تقوم به من أفعال تخدم

غاياتها السياسية.

كما أنّ هذه السلطات حاولت عبر وسائل إعلامها المكثفة أن تضفي على هذا المذهب هالة من القداسة، وأن تصوّره بأنّه مذهب الجماعة والمذهب الوحيد المتّبع لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله .

وفي المقابل حاول أتباع المذهب السني ـ تمشية مع الأهداف السياسية الحاكمة ـ أن يبيّنوا ضعف الاتجاهات المخالفة لهم.

وكان من جملة أساليبهم أن يصوّروا لعامة الناس بأنّ المذاهب المخالفة لهم مذاهب قائمة على الأهواء والبدع،وأنّها على الدوام في حالة انشقاق وتمزّق وتشتت لعدم امتلاكها الأصول الثابتة.

ومن جهة أخرى حاولوا أن يبيّنوا بأنّ مذهب أهل السنة بقي مذهباً واحداً نتيجة استمداد وجوده من القرآن والسنة.

وكان مذهب أهل البيت عليهم السلام من أكثر المذاهب التي تعرّض لهذه الهجمات، وقد اتبع بعض المؤرخين في تقسيمهم للفرق والمذاهب مقاييس ومعايير يكون مؤدّاها بأن مذهب التشيع قد تفرّق إلى فرق عديدة، وأن هذا المذهب كان دأبه الانشقاق والتفرقة نتيجة اضطرابه في الأصول العقائدية.

وفي الوقت نفسه تجنّب هؤلاء المؤرخين الحديث عن فرق أهل السنة، رغم كونها تنطبق عليها نفس المقاييس والمعايير التي قسّموا على ضوئها الفرق المخالفة لمذهبهم.

وقد التفت الأستاذ صالح الورداني إلى هذا الأمر، فألّف هذا الكتاب

حول فرق أهل السنة، ملتزماً فيه بالمقاييس والمعايير التي وضعها أهل السنة وقسّموا على أساسها فرق المسلمين.

ولكنه مع ذلك لم يسمح له ضميره الحي أن يتّبع نفس المنهج المغرض وغير الموضوعي الذي اتبعه أهل السنة والذي اطلقوا من خلاله اسم الفرقة على بعض الاتجاهات المنشقة عن مذهب أهل البيت عليهم السلام ولو كان اتباع ذلك الاتجاه عشرة أشخاص.

بل حاول الأستاذ صالح الورداني أن يعرض في كتابه هذا فقط فرق أهل السنة الكبرى والبارزة، واتجاهاتها القديمة والمعاصرة التي ارتبطت بالواقع والأحداث اليومية، لتتنبه أذهان أهل السنة وتتجنّب الشطط والفتن، وليتعرّف عامة أهل السنة على الحقائق التي حاولت الأقلام المرتزقة إخفاءها عنهم.

و"مركز الأبحاث العقائدية" إذ يقدّم هذا الأثر القيّم ضمن "سلسلة الرحلة إلى الثقلين" كلّه أمل في أن تشهد الساحة الاسلامية أمثال هذه المؤلّفات التي من شأنها تجلية الغيوم التي حالت دون رؤية الكثير من المسلمين للواقع الذي هم فيه، ليكون ذلك محفّزاً لنبذ التقليد الأعمى والتوجّه إلى البحث الذي يوصل صاحبه إلى مرحلة البصيرة في أمر دينه.

مركز الأبحاث العقائدية

فارس الحسون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعاً لسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْء ﴾

(الأنعام / ١٥٩)

تقديم

على مرّ تاريخ المسلمين، نشأت خلافات ونزاعات وتطاحنات أدت إلى نشوءفرق واتجاهات متعددة بداية من وفاة الرسولﷺوحتى اليوم.

والذين رصدوا هذه الحالة في الماضي من الفقهاءوالمؤرخين خضعوا لعوامل سياسية ومذهبية حالت بينهم وبين التشخيص الموضوعي لها.

رصدوا هذه الحالة من منظورأهل السنة ولم يرصدوها من منظور النصوص.

رصدوها من منظور الحكام لا من منظور الواقع.

أهل السنة الذين يعتقدون أنهم الطائفة الحقة المنصورة في الدنيا والآخرة.

والحكام الذين اعتبروا أنفسهم أئمة المسلمين وحصلوا على مباركة الفقهاء.

من هنا برزت النظرة الأحادية المخاصمة للفرق المخالفة لأهل السنة والخط السائد.

ومن هنا أيضاً تم تجنّب المساس بأهل السنة وفرقهم.

وجاءت كتب الفرق التي كتبت بأقلام أهل السنة لتعلن الحرب على الفرق المخالفة وتتهمها بالزيغ والضلال.

إلاّ أنه لم يتجه أحد إلى إدخال أهل السنة في دائرة المحاكمة كما أدخلوا هم الفرق الأخرى.

ولم يتجه أحد إلى الشك في معتقداتهم وأفكارهم بفرقهم المختلفة التي

تتساوى في معتقداتها وأفكارها مع الفرق الأخرى بل أن هذه الفرق تمتاز عليها.

وسوف يرى القارئ من خلال عرض فرق أهل السنة على مستوى الماضي والحاضر أنهم لا يتميزون على الآخرين بشيء بل أن عوراتهم تفوق عورات الآخرين.

لقد دارت صراعات ونزاعات وتطاحنات بين فرق أهل السنة وصلت إلى حد التكفير وإراقة الدماء، وسوف نرصدها من خلال هذا الكتاب.

وسوف نرصد أيضاً الحالة العقائدية والفكرية لهذه الفرق، تلك الحالة التي تجاوزت حدود النص والعقل، بالإضافة إلى رصد دور الحكام في واقع هذه الفرق وفي مواجهة الفرق المخالفة.

وما نهدف إليه من خلال هذا الرصد هو كشف الدور الذي لعبته السياسة والمذهبية في التعتيم على حقيقة الدين وبث الفرقة بين المسلمين وفرض الروايات الزائفة التي وطنت العقائد والمفاهيم الفاسدة، وأضفت عليها القداسة بحيث طغت على العقائد الصحيحة والمفاهيم الفاعلة التي تسهم في نهوض الأمة ودفعها إلى الأمام، كما وطنت الخلافات والصراعات وبررتها وأعطت السلاح لأهل الفرق ليستبيحوا به بعضهم البعض.

إنّ هذا الكتاب هو خطوة على طريق تصحيح الكثير من المفاهيم الخاطئة الموروثة.

وتصحيح المفاهيم هو مقدمة أساسية نحو وحدة المسلمين.

صالح الورداني

القاهرة

مدخل

أصل الفرقة والخلاف

كانت فكرة الإمامة بذرة الخلاف الأولى في واقع المسلمين، ولولا تدخّل الحكّام لاستقامت الأُمور ونُبذ الخلاف.

لقد لبس الحكام ثوب الإمامة وبارك الفقهاء هذه الجناية في حق الإسلام والمسلمين.

ومنذ ذلك الحين زرعت شجرة الخلاف، وأثمرت فرقاً وجماعات متناحرة عوقت مسيرة الأمة وأدّت إلى تخلّف المسلمين.

إن جميع صور الفرقة والخلاف والتناحر التي استوطنت واقع المسلمين من بعد وفاة الرسول ﷺ وحتى اليوم كان سببها غياب الإمامة الحقة.

لقد كان الإسلام خاتم الرسالات ومحمد ﷺ هو خاتم الأنبياء، فمن ثم كان لابد وأن تكون هناك أداة لضبط حركة الإسلام وواقع المسلمين من بعد الرسول ﷺ وكانت هذه الأداة هي الإمامة.

لم تكن الإمامة ـ لو أتيحت لها الفرصة للقيام بدورها في واقع المسلمين بعد غياب الرسول ـ لتسمح ببروز الحكام الطغاة والفقهاء المسيسين.

والحكام الطغاة والفقهاء المسيسين كانا أساس الفرقة والخلاف.

الحكام الطغاة بنفوذهم وسلطانهم.

والفقهاء المسيسين برواياتهم وفتاويهم.

من هنا وجب إلقاء الضوء على صور الخلاف والتناحر التي برزت بعد وفاة الرسول وأثمرت في النهاية هذه الفرق التى نحن بصدد الحديث عنها هنا.

وجب معرفة الدوافع التي أدت إلى بروز فرق أهل السنة وبروز الفرق المخالفة لها المتصادمة معها.

يعرض لنا الشهرستاني بوادر الخلاف وشبهاته بداية من عصر الرسول قائلاً: إن الشبهات التي في آخر الزمان هي بعينها تلك الشبهات التي وقعت في أول الزمان وإن خفي علينا ذلك فى الأمم السالفة لتمادي الزمان، فلم يخف في هذه الأمة أن شبهاتها كلها نشأت من شبهات منافقي زمن النبيﷺ، إذ لم يرضوا بحكمه فيما كان يأمر وينهى، وشرعوا فيما لا مصرح للكفار فيه ولا مسرى، وسألوا عما منعوا من الخوض فيه والسؤال عنه وجادلوا بالباطل فيما لا يجوز فيه الجدال [1] .

وهذه لفتة طيبة من الشهرستاني،إذ حصرالشبهات التى ولدت الخلاف والفرقة بين المسلمين فى عصر الرسول ﷺ وبهذا يكون قد أعطانا المفتاح الذى ندخل من خلاله إلى بيت الداء، فإن واقع المدينة في حياة النبي ﷺ كان يكتظ بالمنافقين المتربصين بالإسلام والمسلمين.

ولم يكن تيار المنافقين تياراً سرياً، وإنما كان علنياً مفضوحاً بنصوص

[1] الملل والنحل هامش الفصل في الملل والنحل لابن حزم ج١/ المقدمة الرابعة.

القرآن التي كانت تتنزل وعلى لسان الرسول ﷺ أيضاً.

وليس من السهل على العقل أن يسلم بأن عناصر المنافقين ورموزهم كانت مجهولة ولم يشر إليها الرسول ﷺ بالتحديد وهو يعلم مدى خطورتها على مستقبل الإسلام ووحدة المسلمين.

وليس من العقل القول بأن المنافقين كانوا خارج دائرة الصحابة، أو كانوا بعيدين عن الرسول ﷺ .

إذا سلمنا بهذا وجب علينا أن نعلم أن المنافقين كانوا يخططون فى حياة الرسول ﷺ للخروج عن نهج الإسلام وضرب الفكرة التى تقوم عليها وحدة المسلمين وهى الإمامة، وقد حاولوا ضربها في شخص الرسول ﷺ ويظهر ذلك من محاولات الاغتيال التي دبرت له، ومحاولات الدعاية التى كانت تهدف إلى تشوية الإسلام وشخص الرسول ﷺ [1].

وإذا كان هذا هو الحال في زمن الرسول ﷺ والوحي يتنزل، فكيف سوف يكون الحال بعد رحيله وانقطاع الوحي؟

لا شك أن دور المنافقين سوف يبرز وبقوة على ساحة الواقع.

وهذا هو ما حدث بمجرد أن لفظ الرسول ﷺ أنفاسه، أن ضربت الإمامة حصن المسلمين وحل محلها الحكام الذين احتاجوا إلى الفقهاء

---

[1] انظر كتب السيرة وسيرة ابن هشام خاصة. وانظر سورة التوبة وتفسيرها في كتب التفسير وقد أطلق عليها بعض الفقهاء اسم الفاضحة لأنها تفضح الواقع المدني وتعري المنافقين. وانظر لنا كتاب: دفاع عن الرسول.

من الصحابة ومن التابعين، فبرزت طبقة الفقهاء بجوار الحكام التي تكونت منها فيما بعد فرقة أهل السنة والتي عملت منذ بروزها على التعتيم والتموية على عصر الرسولﷺ وعصر الصحابة وإضفاء الملائكية على العصرين لستر دور المنافقين.

ولقد تبنّى أهل السنة هذا الموقف من أجل الحفاظ على وجودهم ومستقبلهم، فهم إن تخلوا عن عقيدة التعتيم تحت ستار عدالة جميع الصحابة لكشفوا حقيقة المنافقين، وبالتالي تسقط مشروعية الحكام الذين اغتصبوا الإمامة من مستحقيها وانحرفوا عن نهج الرسول ﷺ بعد وفاته.

وتسقط أيضاً مشروعية الحكام الذين جاءوا من بعدهم من بني أمية وبني العباس وغيرهم ممن استمدوا شرعيتهم من حكام المرحلة الأولى ـ الخلفاء الثلاثة ـ وإذا ما سقطت مشروعية الحكام فسوف تسقط من ورائها مشروعية أهل السنة ويفقدون الأمن والحماية التي كانوا يحظون بها في ظل هؤلاء الحكام، وبالتالي يفقدون القدرة على البقاء والاستمرار.

وهذه هي أزمة أهل السنة التى تسبّبت فى تعدد فرقها وبروز تيارات مخالفة لها، أي بروز الفرق في واقع المسلمين.

إنّ أهل السنة تبنّوا أطروحة عاجزة عن مواكبة الواقع،والتغيرات تعتمد على التأويل والتبرير، فمن ثم لم تستطع هذه الأطروحة أن تحقق الاستقرار الفكري والعقائدي للمسلمين فى مواجهة الخلافات والصدامات التي وقعت بعد الرسول بين الصحابة وبعضهم وبين الحكام والمسلمين على وجه العموم.

وقد جمع لنا الشهرستاني هذه الخلافات والصدامات التي وقعت على مستوى الصحابة والتي واجهها أهل السنة بتأويلات وتبريرات كانت السبب المباشر في تصدع الصف الإسلامي وتعدد اتجاهات المسلمين.

قال الشهرستاني: أول تنازع في مرضه عليه السلام فيما رواه البخاري لما اشتد بالنبي مرضه الذي مات فيه، قال أئتوني بدواة وقرطاس اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي. فقال عمر: إن رسول الله غلبه الوجع حسبنا كتاب الله وكثر اللغط. فقال النبي صلى الله عليه وآله قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع. قال ابن عباس: الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله [1].

الخلاف الثاني في مرضه صلى الله عليه وآله أنه قال: جهّزوا جيش أسامة،لعن الله من تخلّف عنها، فقال قوم: يجب علينا امتثال أمره.

وقال قوم: اشتد مرض النبي، فلا تسع قلوبنا مفارقته [2].

الخلاف الثالث فى موته صلى الله عليه وآله.

قال عمر: من قال إن محمداً مات قتلته بسيفي هذا.

وقال أبو بكر: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات [3].

الخلاف الرابع في موضوع دفنه صلى الله عليه وآله: أراد أهل مكة من المهاجرين ردّه

---

[1] انظر: البخاري كتاب العلم. باب كتابة العلم. وشرحه في فتح الباري ج۱/۲۰۸ وج۸/ كتاب المغازي. وانظر لنا كتاب السيف والسياسة وانظر مسلم كتاب الوصية.

[2] انظر البخاري كتاب المغازي وشرحه في فتح البارى ج۸/ ۱۵۲. وانظر طبقات ابن سعد ج۱۹۱/۲. وانظر سيرة ابن هشام وكتب التاريخ فترة وفاة الرسول.

[3] انظر ابن سعد وابن هشام وكتب التاريخ.

إلى مكة. وأراد أهل المدينة من الأنصار دفنه في المدينة.

وأرادت جماعة نقله إلى بيت المقدس لأنها موضع دفن الأنبياء[١].

الخلاف الخامس في الإمامة. وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة في كل زمان، وقد سهل الله تعالى ذلك في الصدر الأول فاختلف المهاجرون والأنصار فيها[٢].

الخلاف السادس في أمرفدك والتوارث عن النبىﷺودعوى فاطمة وراثة تارة وتمليكاً أخرى[٣].

الخلاف السابع فى قتال مانعي الزكاة فقال قوم لا نقاتلهم قتال الكفرة. وقال قوم بل نقاتلهم[٤].

الخلاف الثامن في تنصيص أبي بكر على عمر بالخلافة وقت الوفاة، فمن الناس من قال قد وليت علينا فظاً غليظاً وارتفع الخلاف[٥].

---

[١] انظر كتب التاريخ فترة وفاة الرسول.

[٢] انظر أحداث سقيفة بني ساعدة بعد وفاة الرسول في كتب التاريخ. وانظر لنا كتاب السيف والسياسة.

[٣] انظر البخاري كتاب الخمس. وكتاب الفرائض. ومستدرك البخاري، ومسلم ج٣/١٥٣.

[٤] انظر الخلاف بين أبي بكر وعمر حول قتال مانعي الزكاة في كتب التاريخ عام تولى أبو بكر الخلافة. وانظر البخارى كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، ومسلم كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس.

[٥] انظر كتب التاريخ فترة مرض أبي بكر ووفاته، وانظر لنا السيف والسياسة.

الخلاف التاسع في أمر الشورى واختلاف الآراء فيها على بيعة عثمان [1].

الخلاف العاشر في عهد أمير المؤمنين علي وحرب الجمل وصفين والخوارج [2].

وهذه الخلافات العشرة التي رصدها الشهرستاني إنما تصب جميعها في محيط الإمامة، وقد بنيت على أساسها مواقف ومعتقدات كان لها دورها الفاعل فيما بعد في نشأة الفرق الإسلامية.

وكان لابد من تجديد الموقف الشرعي الواضح من هذه الخلافات على أساس النصوص الصريحة، إلا أن اختفاء هذا الموقف واكب اختفاء الإمامة، فمن ثم برز مكانه الموقف التأويلي التبريري الذي عبّر عن الخط السائد والذي عجز عن تكوين رؤية مقنعة تعبر عن حقيقة الإسلام لا عن مصالح ونفوذ الطبقة الحاكمة.

لقد كانت أول الفرق بروزاً فى واقع المسلمين فرقة القبليين بزعامة عمر بن الخطاب، وهذه الفرقة هي التي أوصلت أبا بكر إلى الحكم وقد احتوت على المهاجرين وبعض القبائل.

ثم برزت في مواجهتها فرقة الأنصار التى تكونت من الأوس والخزرج.

ولما استقر الأمر للقبليين ضرب الأنصار وأهل البيت وساد النهج

[1] انظر المراجع السابقة.

[2] انظر المراجع السابقة. وكتابنا الإمام علي سيف الله المسلول.

القبلي حتى عصر عثمان الذي برزت على بدية فرقة الأمويين التي دخلت فى صدام مع أهل البيت والإمام علي حين تسلّم السلطة بعد مصرع عثمان.

وفرقة الأمويين كانت بزعامة معاوية بن أبى سفيان وقد أخذت دفعتها الأولى على حين تسلم السلطة بعد مصرع عثمان.

وفرقة الأمويين كانت بزعامة معاوية بن أبى سفيان وقد أخذت دفعتها الأولى على يد عمر بن الخطاب حين قام بتعيين معاوية حاكماً للشام فمنحه القوة والسلطة التى أهلته لتكوين فرقته، وقد استقطب هذه الفرقة الكثير من المهاجرين من خصوم أهل البيت على رأسهم عمرو بن العاص وأبي هريرة والمغيرة بن شعبة بالإضافة إلى أهل الشام [1].

وظهرت في مواجهة الإمام علي فرقة الجمل بقيادة عائشة زوج النبيﷺ وضمت طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وآخرين.

كما برزت في مواجهته فرقة الخوارج التي ضمت الكثير من الأعراب والقبليين الذين يتميزون بضيق الأفق وقلة الفهم والسطحية.

ولما قتل الإمام علي واستتب الأمر لمعاوية أعلن الملكية لأول مرة في تاريخ المسلمين وبدأ فى اختراع الروايات بمعونة أبى هريرة وغيره واستخدامها كغطاء شرعي، ومن هنا وضع حجر الأساس لفرقة أهل السنة.

---

[1] حول علاقة عمر بمعاوية، انظر سيرة عمر مع معاوية حين ولاه الشام في كتب التاريخ. وانظر الإصابة في تمييز الصحابة ترجمة معاوية رقم ٨٠٦٨. وانظر لنا السيف والسياسة.

وأطلق على اتباع البيت لفظ الشيعة، وانتهى دور الفرق القبلية عدا فرقة الخوارج.

وأصبح هناك ثلاثة فرق رئيسية على الساحة الإسلامية:

الأولى الفرقة الحكومية نواة أهل السنة.

الثانية فرقة الشيعة.

الثالثة فرقة الخوارج.

ثم برزت فرقة المرجئة بعد ذلك كفرقة محايدة تجاه الصراع الدائر بين الفرق الثلاث السابقة.

فرقة معاوية التي لا تعترف بالشيعة والخوارج.

وفرقة الشيعة التي لا تعترف بمعاوية والخوارج.

وفرقة الخوارج التي تكفّر الفرقتين.

وقد احتوت المرجئة عدداً من الصحابة والتابعين الذين وقفوا على الحياد تجاه الصراع الدائر على الساحة.

وجاء بعد ذلك الحسن البصري ليبرز بفرقته التي تميل إلى الزهد والعزلة عن الواقع والبعد عن متاهات السياسة.

وانشق على البصرى واصل بن عطاء واصطدم به حول الموقف من صاحب الكبيرة والإشارة بالكبيرة كان يقصد بها الحكام الذين ارتكبوا الكبائر في حق الإسلام والمسلمين دون أن يظهر الموقف الشرعي المطلوب تجاههم، فأثار واصل هذه المسألة من باب إيقاظ العقل المسلم من سباته الطويل منذ معاوية وحتى عصره وقام بعد ذلك بتأسيس

فرقة المعتزلة.

وكان قد برزت فى ذلك الوقت فرقة الأحناف بالعراق وفرقة المالكية بمدينة الرسول ﷺ .

وكردّ فعل لفرقة المعتزلة برزت فرقة أهل الحديث التى صبت جهودها فى مجال الرواية وتحجيم دور العقل وكانت نواة فرقة الحنابلة فيما بعد.

ثم برزت بعد ذلك فرقة الشافعية والحنابلة والسفيانية والأوزاعية.

الشافعية فى العراق ثم فى مصر.

والحنابلة فى العراق.

والسفيانية فى العراق.

والأوزاعية فى الشام.

وفى مواجهة هذه الفرق السنية برزت فرقة الجبرية وفرقة القدرية، ثم فرقة الأشاعرة السنية التي حاولت التوفيق بين النقل والعقل، ولحقت بها فرقة الماتردية التى برزت فى بلاد ما وراء النهر.

وقامت حكومات فى بلاد المشرق تبنّت الفرقة الحنفية فى الفقة والفرقة الماتردية في الاعتقاد.

وقامت حكومات أخرى فى الشام ومصر تبنت الفرقة الشافعية فى الفقة والفرقة الأشعرية فى الاعتقاد.

وقامت حكومات ثالثة في بلاد المغرب والأندلس، فتبنت الفرقة المالكية فى الفقة والأشعرية فى الاعتقاد.

وهكذا أسهمت السياسة فى سيادة الفرق السنية وانتشارها على

حساب الفرق الأخرى.

ولم يكن لتحدث هذه الازدواجية فى الاعتقاد والتلقي في دائـرة أهـل السنة إلاّ بضغط الحكام الذين سار الفقهاءفي ركابهم،وهو أمر إن دل على شيء فإنما يدل على مدى النقص والخلل في أطروحات فـرق أهـل الـسنة بحيث تحتاج الفرق إلى أن تكمل بعضها.

وهذه الفرق مجملة هي التي ظلت ترتع في واقع المسلمين حتى بـروز فرقة ابن تيمية في القرن الثامن الهجري والتي ضربت في حينها ثم عـادت للبروز من جديد في إطار الفرقة الوهابيـة التـي تفرخـت منهـا العديـد مـن الفرق السنية المعاصرة مثل:

فرق الإخوان.

وفرقة أنصار السنة.

وفرقة السلفيين.

وفرقة الجهاد.

وفرقة طالبان.

وفرقة جند الصحابة.

وفرقة الشريعة المحمدية.

وفرقة التبليغ.

وفرقة جيهمان.

وفرقة الألبانيون.

وفرقة أهل الحديث.

بالإضافة إلى فرق سنية أخرى خارج دائرة الوهابية مثل الفرق الصوفية وفرقة حزب التحرير وفرقة التكفير وفرقة القطبيين وفرقة الجمعية الشرعية وفرقة الأزاهرة في مصر وفرقة النورسية في تركيا والجماعة الإسلامية في باكستان ومصر.

وكما كان أهل السنة في الماضي هم سبب الخلاف والتعددية، أصبحوا اليوم أيضاً من أسباب الفرقة والخلاف فى واقع المسلمين بل أن الحالة انعكست عليهم فأصابهم بالفرقة والشتات بصورة لم تحدث لهم من قبل.

ولم تحقق لهم حالة الأمن والاستقرار والانتشار التي عاشوها في حماية الحكام. الوحدة المنشودة والتماسك الفكري والعقائدي فذهبوا كل مذهب.

ومما سبق يمكن القول أن السبب المباشرفي حدوث الفرقة والخلاف في واقع المسلمين يكمن فى الانحراف عن فكرة الإمامة، ذلك الانحراف الذي بدأ على يد فرقة القبليين التى سلمت الدفة لفرقة الأمويين التي استثمرت الرواية لتتسلم الدفة منها فرقة العباسيين وتبرز فى ظلها فرق أهل السنة التي اعتمدت على الروايات الموروثة من العصر الأموي والتي برزت في العصر العباسي لتؤسس معتقد انحصار الإمامة في الحكام.

ولو كان أهل السنة قد أقروا أن الإمام غير الحاكم أو بصورة أخرى أكثر تحديداً قالوا إن الحاكم ليس إماماً ولا يجوز له أن يكون إماماً، لما برز الخلاف من الأصل بين المسلمين، ولاتجه المسلمون على الفور نحو الإمام يرجعون إليه في أمور دينهم فيحسم لهم الخلاف ويقض على

الشبهات ويكون حجة عليهم ولا يملك أحد منهم مخالفته، لأنه الإمام الحق ولأنه يملك البرهان الساطع والدليل القاطع النابع من علم الكتاب، وقد كانت الأمة في تلك الفترة ـ فترة القرن الأول والثاني ـ في طور التلقي، ولما غاب الإمام أصبحت تتلقى الدين من الحاكم الذي فرض على واقعها صورة مشوهة للإسلام باركها فقهاء أهل السنة تحت ضغط الروايات التي هي من اختراع الحكام الذين مثّلوا الاتجاه السائد الذي سلطت عليه الأضواء وأصبح هو الاتجاه الوحيد المشروع للتعبير عن الإسلام وتلقته الأجيال المسلمة جيلا من بعد جيل بمنطق تقليد الموروث أو بمنطق اتباع السلف (الصالح) وأصبح الخارج عن هذه الدائرة يعد من الزنادقة المبتدعة الضالين.

من هنا برزت النزعة العدائية من قبل أهل السنة تجاه الفرق الأخرى المخالفة التى نادت بفكرة الإمامة الحقة مثل الشيعة، أو التى نادت بإحياء دور العقل مثل المعتزلة أو التى نادت بالتحرر من الروايات فيما يتعلق بصفات الله مثل الجهمية وغيرها.

وفي الفصول القادمة سوف نعرض جوانب أخرى تتعلّق بنهج أهل السنة وفرقهم وطرح الفرق الأخرى.

الحكام والفرق

لم يعمل الحكام على التقارب مع فرقة الخوارج والشيعة والمعتزلة وغيرهم من الفرق المخالفة لأهل السنة، وذلك لكون أفكار هذه الفرق وأطروحاتها تصطدم بمصالحهم ونفوذهم مما يجعل استثمارها لخدمتهم يضربهم [١].

إلاّ أنهم تقاربوا مع فرق أهل السنة واستثمروها لدعم نفوذهم ومصالحهم وتحالفت معهم فرق أهل السنة من أجل تثبيت أقدامها في واقع المسلمين ودعم أنشطتها وتوسيع رقعتها وتصفية خصومها من الفرق الأخرى.

---

[١] استثمر المأمون العباسي المعتزلة والشيعة بعض الوقت ثم بطش بهما، أنظر كتب التاريخ فترة حكم المأمون.

نصوص أهل السنة:

إن المتأمل في أطروحة أهل السنة بفرقها المختلفة يتبيّن له أنّها تتخذ موقفاً واحداً من الحكّام، وهو موقف الاعتراف والمسالمة والسمع والطاعة في جميع الأحوال مهما كانت سياساتهم ووضعهم الشرعي.

وسوف نعرض هنا نصوص عقائد أهل السنة في الحكام كما وضعها كبار رموزهم.

يقول ابن حنبل: الخلافة في قريش ما بقى من الناس اثنان، ليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها ولا يخرج عليهم ولا نقر لغيرهم بها إلى قيام الساعة. والجهاد ماض قائم مع الأئمة، بروا أو فجروا، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل. والجمعة والعيدان والحج مع الأئمة وإن لم يكونوا بررة عدولا أتقياء، ودفع الصدقات والخراج والأعشار والفيء والغنائم إلى الأمراء عدلوا فيها أم جاروا. والانقياد إلى من ولاه الله أمركم لا تنزع يداً من طاعة، ولا تخرج عليه بسيفك حتى يجعل الله لك فرجاً ومخرجاً ولا تخرج على السلطان وتسمع وتستطيع ولا تنكث بيعته، فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة [١].

[١] رسالة السنة ط السعودية.

وقال الأشعري: وأجمعوا ـ أي أهل السنة ـ على السمع والطاعة لأئمة المسلمين، وعلى أن كل شيء من أمورهم عن رضا أو غلبة من بر وفاجر لا يلزمهم الخروج عليهم بالسيف جاروا أو عدلوا، وعلى أن يعززوا معهم العدو ويحج معهم وتدفع إليهم الصدقات إذا طلبوها، ويصلي خلفهم الجمع والأعياد [1] .

وقال ابن قدامة: ومن السنة السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين برهم وفاجرهم، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به أو غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمى أمير المؤمنين وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا المسلمين [2] .

ويقول ابن تيمية: ويرون ـ أي أهل السنة ـ إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء أبراراً كانوا أو فجاراً [3] .

ويقول الطحاوي: الحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين، برّهم وفاجرهم إلى قيام الساعة لا يبطلها شيء ولا ينقضها [4] .

وما سبق عرضه تلتزم به جميع فرق أهل السنة من الماضي والحاضر باستثناء فرقة الجهاد على ما سوف نبين عند الحديث عن الفرق.

---

[1] عقيدة أهل السنة المسماة برسالة أهل الثغر. ط القاهرة.

[2] لمعة الاعتقاد، ط القاهرة. وانظر الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة للبيهقي ط. بيروت.

[3] أنظر العقيدة الواسطية.

[4] أنظر العقيدة الطحاوية.

من هنا فإن التحالف القائم بين أهل السنة والحكام ـ الذي له ما يبرره من خلال عقائدهم التي استثمرها الحكام فى إضفاء المشروعية على حكوماتهم ـ أتاح لحكام العصور الحديثة من تأسيس ما سمى بالمؤسسة الدينية الحكومية وابتداع فكرة شيخ الإسلام لتكون لسان حال الدين الذي يخدم مصالح الحكام ويستقطب الجماهير المستضعفة إلى صفوفهم مما يضعف الفرق والاتجاهات الأخرى المعارضة ويسهل على الحكام استئصالهم وتصفيتهم.

إن المتتبع لحركة الصدام بين فرق أهل السنة والفرق المخالفة يتبين أن الحكام استثمروا أهل السنة بدوافعهم العقائدية التي تنبذ الآخر وتعاديه في ضرب هذه الفرق تحت ستار شرعي.

وهذا التحالف بين أهل السنة والحكام في مواجهة المعارضة قائم ومستمر حتى اليوم ويتجلّى بوضوح من خلال مواقف المؤسسات الدينية الحكومية المعاصرة في مواجهة المعارضين للحكم والخارجين عن طاعته حتى من أهل السنة [1].

---

[1] أنظر مواقف فرقة الأزاهرة أو المؤسسة الأزهرية الحكومية فى مصر من فرقة الإخوان وفرقة الجهاد وفرقة التكفير وسائر فرق أهل السنة المخالفة لهم والاتجاهات الأخرى المعارضة لهم ـ فى كتابنا الحركة الإسلامية فى مصر. وأنظر فصل فرقة الأزاهرة من هذا الكتاب.

وأنظر تحالف المؤسسة الوهابية في الجزيرة العربية مع حكام آل سعود.

القمع الحكومي:

وفي الوقت الذي كان فيه أهل السنة في سلام ووئام مع الحكام كانت الفرق والاتجاهات الأخرى تعيش في خوف وتقوقع وتشتت في الآفاق هرباً من بطش الحكام وإرهابهم الدائم لهم، وقد فرضوا الحظر على انشطتهم وطاردوا رموزهم وأعدموا العديد منهم.

أمثلة من بطش الحكام بالفرق الأخرى ورموزها:

إن أول صورة من صور البطش والتنكيل ضد الفرق والاتجاهات المخالفة للحكام كانت على يد معاوية بن أبى سفيان حين طارد شيعة الإمام علي وبطش بهم وأعدم الصحابي الجليل حجربن عدي الذي رفض أن يتبرأ من الإمام علي [1].

وقام ولده يزيد بقتل الإمام الحسين وأبناء الرسولﷺ في كربلاء وقطع رؤوسهم وسبي نساءهم في واقعة عاشوراء [2].

ومن بعدهما ابن الزبير وأخيه مصعب وقد قتلا الكثير من المعارضين بعد أن استتب لهما المقام بالكوفة وعلى رأسهم المختار الثقفي وجماعته الذين طاردوا قتلة الحسين وثأروا منهم [3].

ومن بعدهما الحجاج بن يوسف الذي كان يقتل بالظنة والذي قتل

---

[1] أنظر ترجمة حجر في كتاب التراجم، مثل الإصابة في تمييز الصحابة وأسد الغابة في معرفة الصحابة والاستيعاب فى معرفة الأصحاب. وأنظر كتب التاريخ، أحداث عام ٥١هـ.

[2] أنظر: احداث مذبحة كربلاء في عام ٦١هـ بكتب التاريخ.

[3] انظر كتب التاريخ، أحداث عام ٦٦هـ و٦٧هـ

آلاف الرجال والشيوخ من أجل الحفاظ على ملك بنى أمية [1] .

ومن بعده قتل جهم بن صفوان بتهمة القول بنفى صفات الله والقول بخلق القرآن [2] .

وقتل غيلان الدمشقى لتكلمه فى القدر وتبنّيه آراء جهم [3] .

وبطش المتوكل العباسى بخصوم أهل السنة من الشيعة والمعتزلة [4] .

---

[1] انظر سيرة الحجاج مع التابعي الزاهد سعيد بن جبير في كتب التاريخ أحداث عام ٩٤هـ.

[2] جهم بن صفوان من الموالي أقام بالكوفة وكان معاصراً لواصل بن عطاء مؤسس فرقة المعتزلة وقد قتل عام ١٢٨هـ

[3] هو غيلان بن مروان ووالده كان مولى لعثمان بن عفان، واختلف المؤرخون في والده، قتله هشام بن عبدالملك.

[4] أعلن المتوكل إبطال القول بخلق القرآن وطارد المعتزلة ومال لفرقة الحنابلة وبطش بالشيعة، وأكثر من العطاء والدعم للحنابلة فمدحته فرق أهل السنة ودعت له على المنابر ورغم مظالمه وسوء أفعاله وانطلقوا يطاردون المعتزلة والشيعة ويبطشون بهم ويصدرون فيهم الفتاوى بالزيغ والضلال، وقد قتل المتوكل بعد ذلك فكان ذلك نكسة على فرق السنة. أنظر أحداث عام ٢٣٤هـ وما بعدها فى كتب التاريخ.

وقال بعضهم: الخلفاء ثلاثة: أبو بكر فى قتل أهل الرده. وعمر بن عبدالعزيز فى رد المظالم والمتوكل فى إحياء السنة وإماتة التجهم.

وقد نقل القوم أحاديث برواية المتوكل أوردها الخطيب البغدادي وابن عساكر. أنظر تاريخ الخلفاء للسيوطى.

كذلك تحالف القادر بالله مع أهل السنة وصنف كتاباً فى الأصول ذكر فيه فضائل الصحابة وتكفير المعتزلة والقائلين بخلق القرآن، وكان ذلك الكتاب يقرأ في كل جمعة

وفـرض صـلاح الـدين فرقـة الـشافعية والأشـعرية علـى مـصر بعـد إسـقاط الحكـم الفـاطمى وبطـشه بالرافـضين ومطـاردتهم وقتلهم [1] .

في حلقة أصحاب الحديث بمسجد المهدي ببغداد، وقد ترجم له ابن الصلاح في طبقات الشافعية.

وقالوا عنه: حسن المذهب صحيح الاعتقـاد.. أنظـر السيوطي وسيرة القـادر العباسي فـي كتب التاريخ.

من جانب آخر عمل المأمون على استثمار المعتزلة والشيعة فى ضرب أهـل الـسنة وسـار على سنته المعتصم والواثق من بعده.

وقام الحكم بن هشام في الأندلس بجعل الافتاء والقضاء على مذهب مالك.

وكان المماليك قد حاولوا استثمار ابن تيمية وفرقته فى ضرب الفرق الأخرى إلاّ أنهم لما فشلوا في ذلك ضحوا بابن تيمية وفرقتـه. انظـر البدايـة والنهايـة لابـن كثيـر أحـداث عـام ٧٠٥هـ وما بعدها.

أنظر سيرة المأمون فى كتب التاريخ. وأنظر السيوطى.

وأنظر تاريخ حكام الأندلس وسيرة ابن حزم فى كتب التاريخ.

وأنظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر ج١٥٢/١.

ولا ننسى الإشارة هنا إلى استثمار آل سعود للفرقة الوهابية في دعم نفوذهم وسلطانهم على المسلمين ليس في محيط الجزيرة العربية فقط بل خارجها أيضاً.

[1] أنظر أحداث عام ٥٦٧هـ في كتب التاريخ. وكان صلاح الدين قد أمر المنادي أن ينادي في طرقات مصر أن من لم يتمذهب بمذهب الشافعي ويعتقد عقيدة الأشعري فقد حل دمه. أنظر لنا كتاب الشيعة في مصر.

ومن بعده حكام المماليك والعثمانيين الذين بطشوا بالمخالفين وأراقوا دمائهم تحت مظلة أهل السنة [1] .

ومن قبل ظهور فرق أهل السنة عمل الحكام على استثمار فرقة المرجئة وفرقة الجبرية فى إضفاء المشروعية على جرائمهم ومنكراتهم وتخدير الجماهير المسلمة فى فترة برز فيها الصراع المسلح حول فكرة الإمامة ومشروعيتها بين آل البيت وشيعتهم وبين الأمويين والخوارج الذين ناصبوا كلا الطرفين العداء.

وقد برزت فرقة المرجئة كفرقة محايدة تنادى بالاعتدال والامتناع عن اتخاذ موقف من الفرق المتنازعة وإرجاء الأمر إلى الله، وهذه الفكرة جاءت فى صالح حكام بنى أمية، إذ من شأنها أن تدفع قطاعات من المسلمين إلى الابتعاد عن مناصرة الشيعة أو الخوارج على الأقل فضلا عن اعتزال العمل العسكري والسياسي [2] .

---

[1] حاول بعض أمراء المماليك استثمار ابن تيمية ضد الفرق الأخرى، وقد حرض ابن تيمية حكام المماليك على الشيعة في الشام. أنظر أحداث مذبحة كسروان عام ٧٠٥هـ في كتب التاريخ. وأنظر إعدام الطالب الشيعى فى دمشق بفتوى مالكية عام ٧٥٥هـ وأنظر بطش العثمانيين بالشيعة وقتلهم فقهاء الشيعة وحصول السلطان سليم على فتوى بجواز قتل الشيعة من فقهاء الفرق السنية. وعلى ضوء هذه الفتوى تم قتل الآلاف من الشيعة في الشام وبلاد الأناضول.

وأنظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ج١. وأنظر تاريخ الدولة العثمانية في البلاد العربية.

[2] فكرة المرجئة قد تم تطويرها فيما بعد لتخرج عن النطاق السياسي إلى النطاق الشرعي والعقائدي، واعتبار أن من قال لا إله إلاّ الله فهو مؤمن، فالإيمان هو التصديق لا الأفعال ولا العبادات.. أنظر كتب الفرق.

أما فرقة الجبرية فقد برزت بفكرة نفي الصفات عن الله سبحانه وإثبات صفتي الفعل والخلق فقط، وعلى هذا الأساس اعتبرت الجبرية أنه لا يصح أن يتصف المخلوقين بهاتين الصفتين، وما دامت قد انتفت هذه الصفات عن المخلوقين ينتفي عنهم الاختيار ويصبحوا مجبرين في أفعالهم.

من هنافإن فكرة الجبر تخدم الحكام إذ تنفي عنهم المسؤولية لأفعالهم وجرائمهم ما داموا مجبرين عليها [1].

[1] كان الجعد بن درهم الذي أخذ عنه الجهم أفكاره مؤدب مروان بن محمد آخر ملوك الأمويين، ولهذا كان يلقب بمروان الجعدي، وقد أخذ عنه القول بالجبرية ونفي الصفات والقول بخلق القرآن. انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٥ / أحداث عام ١٣٢هـ ذكر قتل مروان بن محمد وكتب التاريخ الأخرى.

أهل السنة

الإطار المذهبي

من الواجب بداية تحديد الإطار المذهبي لأهل السنة، فإن هذا التحديد سوف يساعدنا في حصر الفرق التي تولدت من خلالهم وفق هذا الإطار، إذ أن المتتبع لتاريخ أهل السنة يتبين له أنهم تبرأوا من الكثير من الفرق بحجة انحرافها عن المعتقد الصحيح معتقد الفرقة الناجية ـ حسب تصورهم ـ بينما هذه الفرق في الحقيقة لا تتناقض في عقائدها وتصوراتها مع عقائدهم،فمن ثم ليس لأهل السنة الحق في نبذ هذه الفرق والتبرأ منها.

قال البغدادي: الصحيح عندنا أن أمة الإسلام تجمع المقرين بحدوث العالم وتوحيد صانعه وقدمه وصفاته وعدله وحكمته ونفي التشبيه عنه، وبنبوة محمدﷺ ورسالته إلى الكافة وبتأييد شريعته، وبأن كل ما جاء به حق وبأن القرآن منبع أحكام الشريعة وأن الكعبة هي القبلة التي تجب الصلاة إليها، فكل من أقر بذلك كله ولم يشبه ببدعة تؤدي إلى الكفر فهو السني الموحد [١].

ويوسع من إطار الفرقة الناجية بحيث تشمل جميع الفرق الإسلامية لا أهل السنة وحدهم، فجميع الفرق الإسلامية بمختلف توجهاتها تقر وتعتقد بكل ما جاء في كلام البغدادي، وما دامت جميع الفرق قد أقرت

[١] الفرق بين الفرق، الباب الثاني، الفصل الأول في بيان المعنى الجامع للفرق المختلفة في اسم ملة الإسلام على الجملة.

بهذاكله فهي لم تأت ببدعة تؤدي بها إلى الكفر. وكيف تأتي بهاوهي تقرّ بهذه الأصول..؟

وإذا كانت جميع الفرق قد تساوت في المعتقد حسب هذه الأصول فمن الذي يملك سلطة الحكم على أحدها بالبدعة والانحراف عن الدين. وما الذي يميزه عن الآخرين حتى يملك هذه السلطة؟

والجواب يظهر لنا من خلال تحديد الإطارالمذهبي لأهل السنة وذلك الإطار الذي تميزت به عن الفرق الأخرى وأصبح أساسها في الحكم على الآخرين بالبدعة والانحراف.

إلاّ أن الفرق الأخرى التي سوف نعرض لها في هذا الكتاب لم تتمرد على نهج أهل السنة ولم تحطم هذا الإطار بل التزمت به وكان افتراقها وتعددها لأسباب أخرى تعود إلى أهل السنة وإطارهم وهو إن دل على شيء فإنما يدل على بطلان انحصار فكرة الفرقة الناجية في دائرتهم.

إن إطار أهل السنة يقوم في الأساس على الرواية، واعتمادهم المطلق على الرواية كان السبب المباشر في إصطدامهم بالآخرين ونفور الآخرين منهم، فعلى أساس الرواية ـ التي هي ليست محل تسليم مطلق من قبل الآخرين ـ بنوا معتقدات أصبحت أساس الحكم على الآخرين، وقد برزت من خلال الرواية فكرة عدالة الصحابة ومبدأ إطاعة الحاكم وتقديس الخلفاء ووصف الله سبحانه بالنزول والصعود والضحك والغيرة وغيرها من

الصفات التي جاءت بها الروايات [1] .

ونتج عن هذا أن الذين وقفواموقف المعارضة من الروايةاعتبرهم أهل السنة من الرافضة والحلولية والباطنية وغيرها من التسميات التي أطلقوها على المخالفين لهم.

وأعلن ابن حنبل موقفه من الفرق والاتجاهات المخالفة لفرق أهل السنة فيما يلي:

قال ابن حنبل: ولأصحاب البدع ألقاب وأسماء، ولا تشبه أسماء الصالحين ولا العلماء من أمة محمدﷺ ، فمن اسمائهم:

المرجئة: وهم الذين يزعمون أن الإيمان قول بلا عمل، وان الإيمان قول والأعمال شرائع، وإن الإيمان مجرد لا يزيد ولا ينقص، وان الإيمان ليس فيه استثناء، وأن من آمن بلسانه ولم يعمل فهو مؤمن حقاً، هذا كلّه قول المرجئة وهو أخبث الأقاويل، وأضله وأبعده عن الهدى.

والقدرية: وهم الذين يزعمون أن إليهم الاستطاعة والمشيئة والقدرة، وأنهم يملكون لأنفسم الخير والشر، والضر والنفع، والطاعة والمعصية، والهدى والضلال، وأن العباد يعملون بدءاً من غير أن يكون سبق لهم ذلك من الله عز وجل أو في علمه، وقولهم يضارع قول المجوسية والنصرانية. وهو أصل الزندقة.

---

[1] أنظر تفاصيل عقائد أهل السنة فى كتاب العقيدة الطحاوية. وعقيدة أهل السنة لابن حنبل والعقيدة الواسطية لابن تيمية وغيرها من كتب العقائد. وأنظر لنا كتاب أهل السنة شعب الله المختار.

والمعتزلة: وهم يقولون بقول القدرية ويدينون بدينهم، ويكذبون عذاب القبر، والشفاعة والحوض، ولا يرون الصلاة خلف أحد من أهل القبلة ولا الجمعة إلاّ من كان على أهوائهم، ويزعمون أن أعمال العباد ليست في اللوح المحفوظ.

والنصرانية: وهم قدرية، وهم أصحاب الحبة والقيراط الذين يزعمون أن من أخذ حبة أو قيراطاً أو دانقاً حرام فهو كافر وقولهم يضاهي قول الخوارج.

والجهمية: أعداءالله وهم الذين يزعمون أن القرآن مخلوق،وأن الله عز وجل لم يكلم موسى، وأن الله ليس بمتكلم ولا يتكلم ولا ينطق، وكلاماً كثيراً أكره حكايته وهم كفار زنادقة أعداء الله.

والواقفة: وهم يزعمون أن القرآن كلام الله،ولايقولون أنه مخلوق وهم شر الأصناف وأخبثها.

واللفظية: وهم الذين يزعمون أن القرآن كلام الله عز وجل لكن ألفاظنا بالقرآن وقراءتنا له مخلوقة. وهم جهمية فساق.

والرافضة: وهم الذين يتبرؤون من أصحاب محمد ﷺ ويسبونهم وينتقصونهم، ويكفرون الأئمة الأربعة: علي وعمار والمقداد وسلمان. وليست الرافضة من الإسلام في شيء.

والمنصورية: وهم رافضة أخبث من الروافض،وهم الذين يقولون: من قتل أربعين نفساً ممن خالف هواهم دخل الجنة، وهم الذين يخيفون الناس ويستحلون أموالهم، وهم الذين يقولون: أخطأ جبريل بالرسالة،

وهذا هو الكفر الواضح الذى اً لا يشوبه إيمان. فنعوذ بالله منه.

والسبئية: وهم رافضة. وهم قريب ممن ذكرت مخالفون للأئمة، كذابون وصنف منهم يقولون: علي في السحاب، وعلي يبعث قبل يوم القيامة، وهذا كذب وزور وبهتان.

والزيدية: وهم رافضة. وهم الذين يتبرءون من عثمان وطلحة والزبير وعائشة، ويرون القتال مع كل من خرج من ولد علي، براً كان أو فاجراً، حتى يغلب أو يُغْلب.

والخشبية: وهم يقولون بقول الزيدية،وهم فيما يزعمون ينتحلون حب آل محمد ﷺ ، وكذبوا، بل هم المبغضون لآل محمد دون الناس، إنما الشيعة لآل محمد المتقون، أهل السنة والأثر، من كانوا وحيث كانوا، الذين يحبون آل محمد وأصحاب محمدولا يذكرون أحداًمنهم بسوء ولا عيب ولا منقصة، فمن ذكرأحد من أصحاب محمد بسوءأوطعن عليهم أو تبرأ من أحد منهم أو سبهم أو عرَّض بعيبهم: فهو رافضي خبيث خبيث.

وأما الخوارج: فمرقوا من الدين، وفارقوا الملة، وشردوا عن الإسلام، وشذوا عن الجماعة، فضلوا عن السبيل والهدى، وخرجوا على السلطان، وسلوا السيف على الأمة، واستحلوا دماءهم وأموالهم، وعادوا من خالفهم إلاّ من قال بقولهم، وهم قدرية جهمية رافضة يرون النكاح بغير ولي ولا سلطان، ويرون المتعة في دينهم ولا يرون الصلاة فى الخفاف ولا المسح عليها ولا يرون للسلطان عليهم طاعة ولا لقريش عليهم خلافة، وأشياء كثيرة يخالفون عليها الإسلام وأهله، وكفى بقوم ضلالة أن يكون هذا

رأيهم ومذهبهم ودينهم، وليسوا من الإسلام في شيء.

وأصحاب الرأي: وهم مبتدعة ضلال، أعداء للسنة والأثر يبطلون الحديث ويردون على الرسول، ويتخذون أبا حنيفة ومن قال بقوله إماماً ويدينون بدينهم، وأي ضلالة أبين ممن قال بهذا؟ فكفى بهذا غياً مردياً وطغياناً.

والولاية بدعة والبراءة بدعة. وهم الذين يقولون نتولى فلاناً، ونتبرأ من فلان. وهذه القول بدعة فاحذروه.

فمن قال بشيء من هذه الأقاويل، ورآها أو صوبها أو رضيها أو أحبها، فقد خالف السنة، وخرج من الجماعة، وترك الأثر، وقال بالخلاف، ودخل في البدعة وزال عن الطريق [1].

ويلاحظ من خلال كلام ابن حنبل الحدة والتشدّد تجاه الفرق المخالفة، ومن جانب آخر يظهر لنا بوضوح دور الرواية في هذا الموقف المتطرف، فالرواية هي التي أسس عليها ابن حنبل موقفه، وهي التي حكم على أساسها ببطلان وانحراف عقائد الفرق الأخرى.

وقد تجاوز ابن حنبل حدود الرواية ووقع في الخلط والتخبط بين عقائد وأفكار هذه الفرق الإحدى عشر حسب تصنيفه، والتي هي في الحقيقة لا يجب أن تتجاوز حدود الست فرق، فالمرجئة فرقة متميزة بأفكارها ومعتقداتها وكذلك القدرية والمعتزلة، أما النصرانية والجهمية

[1] رسالة السنة. ملحق كتاب الردّ على الجهمية والزنادقة. طبع رئاسة إدارات البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية.

والواقفة فهي امتداد للقدرية والمعتزلة، والرافضة فرقة، أما المنصورية والسبئية والزيدية والخشبية فهي امتداد لها، والخوارج بجميع فرقها نهج واحد.

هذامع الإشارة إلى أن هذه التسميات التي أطلقت على هذه الفرق هي من اختراع أهل السنة ولا تعبر بحال عن حقيقة هذه الفرق.

والذي يلفت الانتباه هنا هو أن ابن حنبل اعتبر أصحاب الرأي من أهل السنة فرقة حكم عليها بالبدعة والضلال وعلى رأسها أبو حنيفة.

وهذا الموقف الحنبلي تجاه المخالفين إنما يتناقض مع الموقف الآخر للبغدادي الذي يتميز بالاعتدال،وهو يؤكد ما ذكرناه من أن الفرق المخالفة لأهل السنة لم تخرج عن دائرة الأصول، ولم تأت بمعتقدات تنقلها من الملة.

وينبغي لنا أن نعرض لعدد من الروايات التي استخدمها أهل السنة كسلاح ضدالفرق الأخرى وكغطاءشرعي لهم يبررون على أساسه الحكم عليها بالمروق والضلال والكفر والزندقة.

وأول هذه الروايات رواية تقول: صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئة والقدرية [1] .

ورواية ثانية تقول: لا يقبل الله لصاحب بدعة صوماً ولا صلاة ولا صدقة ولا حجاً ولا عمرةً ولا جهاداً ولا صرفاً ولا عدلا، يخرج من

---

[1] الترمذي كتاب القدر ج٤، وابن ماجة ج١، باب الإيمان.

الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين [١] .

ورواية ثالثة تقول: إن مجوس هذه الأمة المكذبون بأقدارالله إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم، وإن لقيتموهم فلا تسلّموا عليهم [٢] .

وقد اعتبر أهل السنة الأحاديث الواردة في الإيمان هي أحاديث ترد فكرة الإرجاء، أي استثمروها ضد فرقة المرجئة [٣] .

كذلك استثمروا الأحاديث الواردة في فضائل الصحابة عندهم في طعن وتشويه الشيعة [٤] .

واستثمروا الأحاديث الخاصة بعذاب القبر والرأي والعقل في ضرب المعتزلة والفلاسفة وأصحاب الرأي [٥] .

---

[١] ابن ماجة، باب اجتناب البدع والجدل ج١.

[٢] المرجع السابق باب في القدر ج١، أو أنظر أبو داود باب في القدر ج٤ رقم ٤٦٩١.

[٣] أنظر كتاب الإيمان فى مسلم وشرحه عند النووي. وكتاب الإيمان فى البخاري وشرحه فى فتح الباري.

[٤] أنظر الأحاديث الواردة في فضائل الصحابة فى البخاري ومسلم وكتب السنن وشروحها.

[٥] أنظر باب اجتناب الرأي والقياس عند ابن ماجة وباب فيما أنكرت الجهمية وكتاب نقض المنطق لابن تيمية. وأنظر الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة وقد حشد عشرات الروايات التي يتحصن بها القوم في عقائدهم تجاه أهل الرأي وعذاب القبر وغيرها من القضايا الخلافية. وهذا الكتاب للبيهقي صاحب السنن. وأنظر درء تعارض العقل والنقل

ومكمن الأشكال هنا هو أن هذه الروايات معتمدة عند أهل السنة وحدهم، فهي صحيحة بطرقهم هم، لا بطرق الفرق والاتجاهات الأخرى، إلاّ أن حالة الأمن والتمكن التي عاشوها في ظل الحكام جعلت لهم السيادة، ويسرت لهم احتكار الدين والتحدث بلسانه وإغلاق المنافذ الأخرى التي اعتبرت منافذ غير شرعية تضل الناس عن سبيل الله.

من هنا كان المخالفون لأهل السنة على مر التاريخ هم أهل بدعة وضلالة وهوى وزندقة يجب عزلهم عن الواقع وطالما استمروا على بدعتهم فهم غير معصومي الدم والمال، أي مستباحين لأهل السنة وللحكام، وهو ما حدث بالأمس واليوم [1] .

وهذا التصوّر هو ما نراه واضحاً من خلال ما طرحه ابن حنبل، وما طرحه غيره من فقهاء فرق أهل السنة.

لابن تيمية. وتلبيس إبليس لابن الجوزي. والاعتصام للشاطبي. وهذه الكتب وغيرها إنما هي موجهة للفرق الأخرى المخالفة.

[1] حشدت لنا المصادر التاريخية الكثير من الحوادث التى راح ضحيتها الشيعة وغيرهم من خصوم أهل السنة. أنظر ملحق رقم ٢ من هذا الكتاب.

وأنظر لنا كتاب مدافع الفقهاء. وكتاب الكلمة والسيف وقد عرضنا فيه نماذج كثيرة من شهداء الرأي من مختلف الفرق الإسلامية.

وقد حدثت اعتداءات كثيرة من فرقة الوهابية على المخالفين في جزيرة العرب وشكلت الوهابية فرقاً لغزو العراق وهدم مقامات أهل البيت هناك وقامت هذه الفرق بقتل النساء والشيوخ والأطفال والاستيلاء على ما في المساجد من تحف ومقتنيات. انظر لنا مدافع الفقهاء وتاريخ الوهابيين أيوب صبري وهو مترجم عن التركية.

وقد وضع البغدادي قواعد وحدود تنظيم التعامل مع الفرق المخالفة، وهو بهذا يؤكد أن أهل السنة هم أهل الحق والريادة.

يقول البغدادي عن الجهمية: هؤلاء اتباع جهم بن صفوان الذي قال بالجبر وزعم أن العباد مضطرون إلى أنواع تصرفهم كما يضطر الريح إلى حركته، ولم يثبتوا للعبد كسباً ولا استطاعة، وهذا القول وإن كان فاسداً فإنه لا يوجب عندنا تكفيراً، لأنه خلاف فى وصف العبد، وإنما يكفر الجهمية فى شيئين:

أحدهما قولهم بأن الجنة والنار تفنيان.

وقولهم بحدوث علم الله تعالى.

لأن هذا يوجب أن لا يكون الله عالماً قبل حدوث علمه.

ولأجل هذه البدعة قتل جهم بن صفوان بمرو، قتلة مسلم بن احرز المازني في آخر زمان بني أمية.

وقال عن البخارية اتباع الحسين بن محمد البخار: وهم فرق بالري، كل فرقة منها تكفر سائرها، ويجمعها القول بحدوث كلام الله تعالى ونفى صفاته الأزلية واستحالة رؤيته، فهم في هذه الأصول الثلاثة كالقدرية، فهذه أصولها التى نكفرهم فيها، أما قولهم فى خلق أفعال العباد فى الاستطاعة مع الفعل وفى أنه لا يكون إلاّ ما أراد الله تعالى وفى باب الوعد والوعيد فكقول أهل السنة سواء.

وقال عن المعتزلة: أعلم أن تكفير كل زعيم من زعماء المعتزلة واجب من وجوه.

أما واصل بن عطاء فلأنه كفر في باب القدر بإثبات خالقين لأعمالهم

سوى الله تعالى، وأحدث القول بالمنزلة بين المنزلتين في الفاسق، ثم أنه شكك في الصحابة.

وأما زعيمهم أبو الهزيل فإنه قال بفناءمقدرات الله تعالى حتى لا يكون بعدها قادراً على شيء.

وأما زعيمهم النظام فهو الذي نفى نهاية الجسم أو الجزء، وأبطل بذلك إحصاء الباري تعالى لأجزاء العالم وعلمه بكمية أجزائه، وزعم أن الإنسان هو الروح وأنكر وقوع الطلاق بالكنايات.

وزعم الجاحظ منهم أن لا فعل للإنسان إلاّ أراده، وأن المعارف كلّها ضرورية، ومن لم يضطر إلى معرفة الله لم يكن مكلفاً ولا مستحقاً للعقاب.

وزعم تمامة أن المعارف ضرورية، وأن عامة الدهرية وسائرة الكفرة يصيرون في الآخرة تراباً لا يعاقب واحد منهم، وحرم السبي واستفراش ـ جماع ـ الإماء.

وأنواع كفرهم لا يحصيها إلاّ الله تعالى، وقد اختلف أصحابنا فيهم: فمنهم من قال: حكمهم حكم المجوس،لقول النبي ﷺ :القدرية مجوس هذه الأمة.

ومنهم من قال: حكمهم حكم المرتدين.

وقال في المجسمة والمشبهة: كل من شبه ربه بصورة الإنسان من البيانية والمغيرية والجواربية المنسوبة إلى داود الجواربي والهشامية المنسوبة إلى هشام بن سالم، فإنما يعبد إنساناً مثله ويكون حكمه في الذبيحة والنكاح كحكم عبدة الأوثان.

وقال عن الكرامية: وأما جسمية خراسان من الكرامية فتكفيرهم واجب بقولهم: بأن الله له حدّ ونهاية.

وقولهم بأن الله محل للحوادث.

وهم يرون جميع فرق الأمة من أهل الجنة، وأن أهل الأهواء بعد العقاب يصيرون إلى الجنة ولايدوم عقابهم وجميع مخالفيهم على أنهم من أهل النار فصاروا من هذه الجهة شر الفرق عند الأمة.

وقال عن البكرية وهم اتباع بكر ابن أخت عبد الواحد بن زيد وكان يوافق النظام في أن الإنسان غير الجسد، ووافق أصحابنا في إبطال القول بالتولد وانفرد بأشياء كفرته الأمة فيها، منها قوله: إن الله يُرى يوم القيامة في صورة يخلقها، وأنه يكلم عباده في تلك الصورة، ومنها قوله في الكبائر أنها نفاق وأن صاحب الكبيرة من أهل القبلة منافق.

وقال في علي وطلحة والزبير إن ذنوبهم كانت كفراً أو شركاً غير أنهم مغفور لهم لورود الخبر بأن الله تعالى أطلع على أهل بدر فقال: أعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.

أما الضرارية اتباع ضرار بن عمرو فقد وافق أصحابنا في أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وفي إبطال القول بالتولد، ووافق البخار في أن الجسم أعراض مجتمعة من لون وطعم ورائحة وحرارة أو ضدها ونحو ذلك من الأعراض التي يخلو منها الجسم.

وانفرد بأشياء، منها قوله: إن الله يرى بحاسة يرى بها المؤمنون ماهية الإله ووصف الله بالماهية كما قال أبو حنيفة.

ومنها أنه أنكر حرف أبي بن كعب وحرف ابن مسعود في القرآن، وقال إن الله لم ينزلهما، ونسب هذين الإمامين إلى الضلال في مصحفيهما.

ومنها أنه شك في جميع عامة المسلمين، وقال: لا أدري لعل سرائر العامة كلها كفر وشرك، وأكفرته الأمة فيما انفرد به.

وأكفره أصحابنا في نفيه عن الله تعالى صفاته الأزلية [١] .

ثم يحدد بعد ذلك البغدادي الموقف الذي تبناه أهل السنة من الفرق المخالفة.

يقول البغدادي: أجمع أصحابنا على أنه لا يحل أكل ذبائحهم.

وأكثر المعتزلة مع الأزارقة من الخوارج يحرمون ذبائحنا، وقولنا فيهم أشد من قولهم فينا، ولا يجوزعندنا تزويج المرأة المسلمة من واحد منهم، فإن عقد العقد، فالنكاح مفسوخ، وإن لم تعلم المرأة ببدعة زوجها حتى وطئها فعليها العدة ولها مهرالمثل،والمرأة منهم إن اعتقدت اعتقادهم حرم نكاحها وإن لم تعتقد اعتقادهم لم يحرم نكاحها لأنها مسلمة بحكم دار الإسلام.

وأجمع أصحابنا على أن أهل الأهواءلا يرثون من أهل السنة، واختلفوا في ميراث السني منهم: فمنهم من قطع التوارث من الطرفين.

ومنهم من رأى توريث السني منهم وبناه على قول معاذ بن جبل أن المسلم يرث من الكافر وأن الكافر لا يرث من المسلم.

وعلى قول أبي حنيفة يرث السني من المبتدع الضال ما اكتسبه قبل بدعته.

---

[١] أصول الدين.

وعلى قول الشافعي: يكون مال الزنديق وكل كافر ببدعة فيئاً فيه الخمس.

وقال مالك: إنه فئ ولا خمس فيه.

وأما قبول شهادة أهل الأهواء فقد اختلفوا فيه: فردها مالك وأشار الشافعي وأبو حنيفة إلى قبولها.

وأوجب أصحاب الشافعي ومالك وداود وابن حنبل وإسحاق بن راهويه إعادة صلاة من صلى خلف القدري والخوارج والرافضي وكل مبتدع تنافي بدعته التوحيد.

وقال أبو سيف القاضي في المعتزلة أنهم زنادقة.

وكل من لا يجوز الصلاة خلفه لا يجوز الصلاة عليه إذا مات.

وكل دار غلب عليها بعض الفرق الضالة ينظر فيها فإن كان أهل السنة فيها ظاهرين يظهرون السنة فهي دار إسلام، وإن لم يقدر أهل السنة على إظهار الحق فهي دار كفر.

واختلف أصحابنا في حكم أهل هذه الدار: فمنهم من حرم ذبائحهم ونكاح نسائهم وأجاز وضع الجزية عليهم، ومنهم من جعلهم مرتدين ولم يقبل منهم الجزية ولم يجز استرقاقهم وفي استرقاق أولادهم خلاف.

كذلك تبنّى أهل السنة على أساس الرواية معتقد كفر والدي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعمه أبو طالب، وجواز الصلاة وراء البر والفاجر، والجهاد وراء الحاكم براً كان أو فاجراً، وتسليم زكاة الأموال له.

وبرز الحنابلة بمعتقد شاذ عن باقي فرق أهل السنة وهو تحريم زيارة

القبور وشد الرحال إليها واعتبار المراقد والمقامات والتوسل بالصالحين من آل البيت وغيرهم صورة من صور الشرك والضلال.

وإذا اعتبرناأن أهل السنة هم الحنابلة فقط بحكم كونهم أول من نادى بالرواية ورفع شعار السنة بجوار الكتاب، فإن الفرق الأخرى مثل الأحناف والمالكية والشافعية والظاهرية وغيرهم تعتبر مخالفة لأهل السنة خارجة عن الإطار المذهبي العام لهم.

إلاّ أن المتتبع لتاريخ حركة أهل السنة يتبين أن هذه الحركة قد احتوت في دائرتها هذه الفرق جميعاً، وليس السبب في ذلك يعود إلى الإطار المذهبي لأهل السنة، وإنما يعود إلى اتفاق هذه الفرق جميعاً على موقف موحد تجاه المخالفين خصوم أهل السنة من الشيعة والمعتزلة وأهل العقل عموماً، ذلك الموقف الذي مهّد للحكام أن يستثمرون فرق أهل السنة من الماترودية والأشاعرة والحنابلة وسائر الفرق الأخرى لدعم نفوذهم واضفاء المشروعية على عروشهم، فمن المعروف تاريخياً أن الدول التي قامت في بلاد ما وراءالنهر كانت تميل إلى الأحناف والماترودية، والدول التي قامت في بلاد الشام ومصر كانت تميل إلى الأشاعرة والشافعية، والدول التي قامت فى بلاد المغرب كانت تميل إلى المالكية [1] .

من هنا فإن هذه الدول التي دعمت هذه الفرق قدوسعت من دائرة أهل

---

[1] مثل الدولة الغزنوية والسلجوقية والعثمانية التي تبنّت الأحناف في المشرق. والدولة الأيوبية والمملوكية في مصر والشام والتي تبنّت الشافعية والأشاعرة. ودول الأندلس وإفريقية التي تبنت المالكية ولا تزال هذه الفرق سائدة في هذه المناطق حتى اليوم.

السنة وأسهمت في تعدد فرقها.

إلاّ أن الغريب في الأمر أن الفقهاء والمؤرخين قد باركوا هذه الحالة وأضفوا المشروعية عليها واعتبروا أن الماترودية والأشاعرة جناحي أهل السنة [1].

ونتيجة لاحتضان الحكام لفرق أهل السنة ودعمهم مما أدى إلى انتشارهم وشيوعهم وسيادتهم على واقع المسلمين وتحول مذهبهم إلى مذهب الأغلبية وانحسار الاتجاهات والفرق الأخرى التي لم تسلّط عليها الأضواء ولم تحقق الأمن والاستقرار لأفكارها ومذهبها بسبب تصادمها مع الواقع والحكام... نتيجة لهذا كله اعتقد أهل السنة أنهم متميزون على الآخرين قيمون عليهم مما قوى الاعتقاد السائد لديهم بكونهم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة أصحاب الحق، وهذا بدوره قد قوى اعتقاد نبذ الآخر لديهم بل برر لهم استئصاله والقضاء عليه.

يقول ابن حنبل: هذه مذاهب أهل العلم، وأصحاب الأثر، وأهل السنة المتمسكين بعروتها، المعروفين بها، المعتنى بهم فيها من لدن أصحاب رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا ـ وأدركت من أدركت ـ من علماء الحجاز والشام وغيرهما عليها. فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب، أو طعن فيها أو عاب قائلها، فهو مخالف مبتدع، وخارج عن الجماعة، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق [2].

---

[1] أنظر مقرر التوحيد في المدارس الأزهرية.

[2] عقيدة أهل السنة.

وقد أكد ابن حنبل ـ مؤسس فرقة أهل السنة وواضع إطارها المذهبى ـ من خلال هذا الكلام ماذكرناه سابقاً من أن أهل السنة يتحدثون دائماً بلغة الاستعلاء والقيمومة والسيادة وقد منحوا أنفسهم سلطة الحكم على الآخرين بالزيغ والضلال ووجوب القضاء عليهم.

ويمكن تحديد اللاإطار المذهبى لأهل السنة من خلال ما سبق ومن خلال كتب العقائد التى تحمل نصوص مذهبهم فيما يلى:

ـ وجوب التمسك بالرواية.

ـ وجوب الإيمان برؤية الله يوم القيامة والإيمان بصفاته كماوردت فى الروايات وهى حقيقة لا مجاز.

ـ الإيمان بعدالة جميع الصحابة وعدم الخوض فى أحوالهم وأمورهم.

ـ الإيمان بعذاب القبر.

ـ طاعة الحاكم واجبة وعدم جواز الخروج عليه وشق عصا الطاعة ومفارقة الجماعة جماعة المسلمين.

ـ الصلاة وراء كل برّ وفاجر، والجهاد ماض وراء كل أمير براً كان أو فاجراً والجمعة والحج والعيدان معه.

ـ مقاطعة أهل البدع (المخالفين) والتحذير منهم.

ـ الالتزام بنهج السلف من أهل السنة.

ـ أهل الكبائر والمعاصي مسلمون.

ومقصود ابن حنبل بأهل العلم وأصحاب الأثر وعلماء الحجاز والشام هم الذين يلتزمون بالطرح السائد في دائرة الفرق المعترف بها المرضي عنها.

ـ الخلافة في قريش.

ـ وجوب تسليم زكاة الأموال للحاكم.

ـ الله في السماء (الفوقية).

ـ الإيمان بالشفاعة.

ـ الإيمان يزيد وينقص.

ـ الضلال والهداية وفق مشيئة الله.

ـ أفعال العباد بقضاء الله وقدره.

ـ القرآن كلام الله ليس بمخلوق.

ـ خير الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي [١] .

وليس هناك ما يدعم هذه البنود من نصوص القرآن فهي تقوم على أساس الرواية التي هي ليست محل تسليم من قبل الفرق الأخرى المناهضة لأهل السنة.

وهذا ما يبرر تمسك أهل السنة بالرواية والتعصب لها وشن الحرب الشعواء على مخالفيها، فهم قد سموا بأهل السنة لتمسكهم بالرواية التي اتخذوها شعاراً لهم، وأي محاولة لهدم الرواية يعني هدم مذهبهم وفقدان مبرر وجودهم.

إن فرق أهل السنة المختلفة إنما تتمسك بالرواية وتلتزم بالإطار العام لمذهب أهل السنة على ما سوف نبين.

وإن منظور أهل السنة في النظر إلى الآخرين واعتبارهم فرقاً مخالفة

---

[١] أنظر كتب عقائد أهل السنة. وأنظر لنا أهل السنة شعب الله المختار.

إنما ينطبق عليهم وعلى فرقهم أيضاً.

وفي دائرة هذه الدراسة سوف نلتزم بنفس المقاييس والمعايير التي وضعها أهل السنة وقسموا على أساسها فرق المسلمين تلك المقاييس والمعايير التي وضعها فقهاء العقائد ومؤرخي الفرق ـ سوف نلتزم بها في النظر لحالة أهل السنة وفرقهم [1].

لقدتجنبت كتب الفرق الحديث عن فرق أهل السنة رغم كونها تنطبق عليها نفس الحالة والمقاييس التي أطلقت على الفرق الأخرى المخالفة لأهل السنة،وذلك لكون أن الذين دوّنوا هذه الكتب هم أهل السنة على ما سوف نبيّن.

وأما الشاك في كفرأهل الأهواء،فإن شك في أن قولهم هل هوفاسد أم لا؟ فهو كافر، وإن علم أن قولهم بدعة وضلال وشك في كونه كفراً، فبين أصحابنا في تكفير هذا الشاك خلاف [2].

ويلاحظ من خلال عرض موقف أهل السنة من المخالفين مدى تأثير الرواية على هذا الموقف، كما يلاحظ أن الرواية لها تأثيرها على مواقف واطروحات الفرق الأخرى أيضاً.

وهذه اللغة التي التزم بها البغدادي هي نفس لغة الشهرستاني وابن حزم وابن تيمية وغيرهم من فقهاء أهل السنة، فهذه اللغة الواحدة إنما هي نابعة من روايات ثابتة لدى القوم كونت لديهم معتقد ثابت في المخالفين.

---

[1] أنظر ملحق رقم ١ من هذا الكتاب.

[2] المرجع السابق.

إن البغدادي وابن حنبل وابن حزم والشهرستاني وغيرهم ممن خاضوا في أمر الفرق المخالفة لأهل السنة لم يبينوا لنا أدلة وبراهين وأطروحات هذه الفرق، وكانت لغتهم في مواجهته لغة أحادية أفقدتهم الموضوعية والقدرة على حسم الخلاف وكسب المعركة معهم.

ومثل هذه الروايات التى اعتمد عليها أهل السنة لا ترقى إلى درجة الصحة عندهم، إلا أنهم اعتمدوا عليها في الماضي، أما في الحاضر فقد بطلت حجتهم بها.

الفرقة الناجية

مناقشة الروايات وتحديد السمات

ورد فى عدة مصادر عن ابى هريرة وغيره أن رسول الله ﷺ قال: افترقت اليهود على إحدى ـ أو اثنين ـ وسبعين فرقة. وتفرقت النصارى على إحدى ـ أو اثنين ـ وسبعين فرقة.

وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة [1].

وعن معاوية بن أبي سفيان أن رسول الله ﷺ قال: إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة، وان هذه الأمة ستفرق على ثلاث وسبعين ملة. كلها في النار إلاّ واحدة وهي الجماعة [2].

وعن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار. وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة. والذي نفس محمد بيده لتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار.

قيل: يا رسول الله من هم؟

---

[1] انظر أبو داود كتاب السنة والترمذي كتاب الإيمان وابن ماجة كتاب الفتن والحاكم كتاب الإيمان وابن حبان كتاب الفتن ومسند أحمد ج٢.

[2] انظر الدارمي كتاب الجهاد ومسند أحمد ج٤ والحاكم كتاب العلم وسنن أبي داود.

قال: الجماعة [1] .

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة كلّها في النار إلاّ واحدة وهي الجماعة [2] .

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : يا ابن مسعود هل علمت أن بني إسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة لم ينج منهم إلاّ ثلاث فرق [3] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ :... وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة. وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم فى النار إلاّ ملة واحدة.

قالوا: ومن هي يا رسول الله؟

قال: ما أنا عليه وأصحابي [4] .

وعن سعد بن أبي وقاص، قال: قال رسول الله ﷺ : افترقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين ملة، ولن تذهب الليالي والأيام حتى تفترق أمتي على مثلها [5] .

---

[1] ابن ماجة كتاب الفتن. وانظر الحاكم كتاب الإيمان.

[2] ابن ماجة وانظر مسند أحمد ج٣.

[3] رواه الطبراني في الكبير حديث رقم ١٠٣٥٧. وانظر الحاكم كتاب التفسير، سورة الحديد.

[4] الترمذي كتاب الإيمان. والحاكم كتاب العلم. وانظر الطبراني حديث رقم ٧٦٥٩.

[5] رواة المروزي والبزار كتاب الفتن باب افتراق الأمم حديث رقم ٢٨٤.

وعن أبي إمامة: افترقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة أو قال: اثنين وسبعين فرقة، وتزيد هذه الأمة فرقة واحدة، كلها في النار إلاّ السواد الأعظم [1].

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ تفرقت اليهود على واحد وسبعين فرقة كلها في النار، وتفرقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار، وإن امتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلاّ واحدة فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله أخبرنا من هم؟

قال: السواد الأعظم [2].

وروى: ذروا المراء فإن بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى على اثنين وسبعين فرقة، كلهم في الضلالة إلاّ السواد الأعظم.

قالوا: يا رسول الله، ومن السواد الأعظم؟

قال: من كان على ما أنا عليه وأصحابي، ومن لم يمار في الدين، ومن لم يكفر أحداً من أهل التوحيد بذنب غفر له [3].

وروى أن عوف بن مالك قال له الرسول ﷺ :

كيف أنت يا عوف إذا افترقت هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة:

---

[1] رواه ابن أبى عاصم والمروزي والطبرانى فى الكبير ج٣٢١/٨: ٣٢٨، والبيهقى ١٨٨/٨.

[2] لم يرو هذا الحديث في كتب السنن وإنما روى في تاريخ بغداد ج٢٤٧/٩، وتهذيب التهذيب لابن حجر ج٤٩٨/٩، والكاشف ج٩٢/٣ والتقريب ج٢١٥/٢.

[3] الطبراني في الكبير ج١٧٨/٨. حديث رقم ٧٦٥٩.

واحدة في الجنة وسائرهن في النار؟

قلت: ومتى ذلك يا رسول الله؟

قال: إذا كثرت الشرط، وملكت الإماء، وقعدت الحملان على المنابر، واتخذ القرآن مزامير، وزخرفت المساجد، ورفعت المنابر [١] .

وروى عن عوف بن مالك أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: ستفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة: أعظمها فتنة على أمتي قوم يقيسون الأمور برأيهم، يحرمون الحلال ويحلون الحرام [٢] .

---

[١] رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٣٢٣/٧.

[٢] رواه البزار والهيثمي في مجمع الزوائد كتاب العلم ج١٧٩/١، والحاكم كتاب الفتن والملاحم ج٤٣٠/٤، والبيهقي في المدخل باب ما يذكر في ذم الرأي.

مناقشة السند:

ويمكن تركيز الخلاف الواقع حول سند هذه الروايات فيما يلي:

الرواية الأولى رواها أبو داود والترمذي وأحمد والحاكم وابن ماجة وابن حبان وأبو يعلى وابن أبي عاصم والمروزي من طريق محمد بن عمرو بن العاص وعن أبي سلمة عن أبي هريرة وقد تكلم رجال الجرح والتعديل في محمد بن عمرو فقالوا:

قال أبو حاتم: صالح الحديث يكتب حديثه.

وقال النسائي: ليس به بأس.

وقال ابن حجر: صدوق له أوهام.

وتكلم فيه ابن معين والجوزجاني [1].

ومن هذا يتبين لنا أن فقهاء الجرح والتعديل قد وضعوا الراوي لهذه الرواية في دائرة الشك مما يؤدي إلى التوقف في سند الرواية.

وإذا كان الفقهاء قد وضعوا هذه الرواية في درجة حسن واعتبروها صحيحة بالشواهد إلاّ أن هذا كله لا يشفع لهم.

[1] انظر التهذيب ج٣٧٥/٩، والجرح والتعديل ج٣١/٨، والميزان ج٦٧٣/٣، والتقريب ج١٩٦/٢.

والرواية الثانية رواها أبو داود والدارمي وأحمد والحاكم وابن أبي عاصم والمروزي عن طريق صفوان بن عمرو عن أزهر بن عبد الله الحرازي عن أبي عامر الهوزني عن معاوية.

أما صفوان بن عمرو فقد وثقه القوم.

وأما أزهر الحرازي فاختلفوا فيه، وقالوا تابعي حسن الحديث، لكنه ناصبي ينال من علي كرم الله وجهه.

وأما أبو عامر فاختلفوا فيه أيضاً.

قال ابن حبان والعجلي والذهبي وابن حجر: ثقة.

وقال أبو زرعة والدراقطني: لا بأس به [1].

وعلى هذا الأساس أعطى القوم هذه الرواية درجة حسن أيضاً كسابقتها.

والرواية الثالثة رواها ابن ماجة وابن عاصم والحاكم معلقاً عن طريق عمرو بن عثمان عن عباد بن يوسف، وعباد بن يوسف هذا لم يرو عنه أصحاب السنن إلاّ ابن ماجة وحده وهو الحديث الوحيد الذي رواه له.

وقد وثق القوم عمرو وعباد [2].

وحازت هذه الرواية أيضاً على درجة حسن.

والرواية الرابعة رواها ابن ماجة وابن أبي عاصم عن طريق هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم عن أبي عمرو قتادة عن أنس.

---

[1] انظر الميزان ج١٧٣/١، والتقريب ج٥٢/١، وثقات ابن حبان ج٣٨/٤.

[2] انظر التهذيب ج٧٦/٨ و ج١١٠/٥، والميزان ج٣٨٠/٢، والتقريب ج٣٩٥/١.

أما هشام فقالوا فيه:

قال ابن معين: ثقة.

وقال العجلي: صدوق.

وقال: ابن حجر: صدوق.

وقال أبو حاتم: لما كبر هشام تغير.

أما الوليد فقد أتهم بالتدليس وكذلك قتادة [١] .

وهذه الرواية بهذا الاسناد تعتبر ضعيفة.

والرواية الخامسة رواها الطبراني وابن عاصم عن طريق هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم عن بكير بن معروف.

أما هشام فقد سبق ذكره وكذلك الوليد المتهم بالتدليس.

وقالوا عن بكير: لا بأس به.

وتكلم فيه ابن المبارك وأحمد.

وقال ابن حجر: فيه لين [٢] .

والرواية على هذا الأساس ضعيفة.

والرواية السادسة رواها الترمذي والمروزي والحاكم عن طريق عبد الرحمن بن زياد الأفريقي عن عبد الله بن زيد عن عبد الله بن عمرو.

أما عبد الرحمن فقالوا عنه:

---

[١] انظر التهذيب ج ٥١/١١، والتقريب ج ٤٩٣/١ و ج ٣٢/٢ و١٢٣، والميزان ج٣٨٥/٣.

[٢] انظر التهذيب ج ٤٩٥/١، والتقريب ج ١٠٨/١، والميزان ج ٣٥١/١.

قال البخاري: في حديثه بعض المناكير [1].

وقال يحيى القطان: ضعيف.

وقال يحيى بن معين: ضعيف.

وقال ابن حجر: ضعيف.

وقال الذهبي: ضعفوه.

وقال النسائي: ضعيف.

وقال أحمد: ضعيف [2].

والرواية بهذه الأسناد تدخل في دائرة الروايات الضعيفة على أساس أن عبد الرحمن من رواة المناكير.

والرواية السابعة رويت عن طريق أحمد بن عبد الله بن يونس عن أبي بكر بن عياش عن موسى بن عبيدة عن عائشة بنت سعد.

وقد وثق القوم أحمد بن يونس وابن عياش أما موسى بن عبيدة فجرحوه.

وقالوا في عبد الله بن عبيدة أخو موسى بن عبيدة الذي دخل بين موسى وعائشة في رواية المروزي ـ كلاماً كثيراً [3].

---

[1] انظر الضعفاء الصغير ص١٤٢.

[2] انظر التهذيب ١٧٣/٦، والتقريب ج٤٨٠/١.

[3] انظر التقريب ج١٩/١، وتهذيب الكمال ج١٥٨٦/٣، والثقات لابن حبان ج٢٨٨/٥، والتهذيب ج٣٠٩/٥، والكاشف ج٩٥/٢، والتقريب ج٤٣١/١ وج٣٩٩/٢، والثقات للعجلي ص٥٢١.

وقالوا في عائشة بنت سعد تابعية ثقة [1] .

ومن خلال هذه الأقوال في رواة هذا الحديث يصبح الإسناد ضعيفاً.

والرواية الثامنة يقوم إسنادها على أبي غالب عن أبي إمامة الذي ضعفه أبو حاتم والنسائي وابن حبان، وشكك فيه ابن عدي، وقال عنه ابن حجر: صدوق يخطىء بينما وثقة آخرون [2] .

والحديث بهذه الصورة فيه خلل في الإسناد.

والرواية التاسعة رويت عن طريق محمدبن الهيثم وقد وثقه القوم بينما ضعف أبو حاتم وقلل أبو رزعة من الراوي الثاني للرواية وهو شجاع بن الوليد.

وقال ابن حجر في رواية جابر راو لم يسم [3] .

والرواية العاشرة عن طريق كثير بن مروان الشامي، وهو ضعيف جداً عن عبد الله بن يزيد الدمشقي وهو أسوأ حالا من سابقه.

ومن هنا فنحن نحكم ببطلان هذه الرواية حسب مقاييس القوم.

والرواية الحادية عشر فيها عبد الحميد بن إبراهيم وهو ضعيف، وقال

---

[1] انظر التهذيب ج٦/٢، والتقريب ج٤٤٥/١، والتاريخ الكبير ج١٨٩/٧، والجرح والتعديل ج١٣٧/٧، و ج٣١٦/٣، والتهذيب ج١٩٧/١٢، والتقريب ج٤٦٠/٢، والكاشف ج٣٢٢/٣.

[2] انظر تهذيب التهذيب ج٤٩٨/٩، والكاشف ج٩٢/٣، والتقريب ج٢١٥/٢، والضعفاء الكبير ج١٨٤/٢، وتهذيب التهذيب ج٣١٣/٤، والكاشف ج٥/٢، والتقريب ج٣٤٧/١.

[3] انظر المجروحين لابن حبان ج٢٢٥/٢.

فيه ابن حجر: صدوق إلاّ أنه ذهبت كتبه فساء حفظه [١] .

وهذه الرواية من هذا المنظور تعد ضعيفة.

والرواية الثانية عشر جاءت عن طريق نعيم بن حماد عن عيسى بن يونس وعن نعيم بن حماد قالوا:

وثقة أحمد وابن معين وغيرهم.

وقال ابن حجر: صدوق يخطىء كثيراً.

وقد تتبع ابن عدى ما أخطأ فيه، وقال: وعامة ما أنكر عليه هو هذا الذي ذكرته، وأرجو أن يكون باقي حديثه مستقيماً.

وقالوا: وبهذا الحديث سقط نعيم بن حماد عند كثير من أهل العلم بالحديث،إلاّ يحيى بن معين لم يكن ينسبه إلى الكذب،بل كان ينسبه إلى الوهم.

وقالوا: كل ما حدث به عن عيسى بن يونس غير نعيم بن حماد فإنما أخذه عن نعيم فتكلم الناس فيه بجرأة.

وقالوا إن هذا الحديث سرقه قوم ضعفاء ممن يعرفون بسرقة الحديث وهو منكر [٢] .

---

[١] انظر التهذيب ج١٠٨/٦، والميزان ج٥٣٧/٢، والكاشف ج١٣٢/٢، والتقريب ج١٦/١.

[٢] انظر التهذيب ج٤٥٨/١٠، ٤٦١، والتقريب ج٣٠٥/٢، وتاريخ بغداد ج٣١١/١٣.

مناقشة المتن:

إن ما يظهر لنا من خلال نصوص الروايات السابقة أنها مجانبة للعقل ولوقائع التاريخ ولنصوص القرآن.

أما مجانبتها للعقل، فتمثل في كون هذه الروايات حددت الفرقة الناجية في ثلاث دوائر، هي:

- الجماعة.
- الصحابة.
- السواد الأعظم.

وفيما يتعلق بالجماعة فقد ذكر القوم ما يلي:

أن الجماعة هي جماعة الصحابة.

أنهم أهل العلم.

أنها الاجتماع على الحق وعدم الفرقة.

أنها مجموع المسلمين.

أنهم أهل الحل والعقد[1] .

[1] انظر الاعتصام للشاطبي ج٢/٢٦٢، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ج١/١٠٩، وفتح الباري ج١٣/٣١٦.

وقد قيد فقهاء أهل السنة هذه التعريفات الخمسة في حدود الالتزام بنهج السنة على اعتبار أن الصحابة كانوا جميعاً على نهجهم وأن الاجتماع على الحق إنما يكون في حدود أهل السنة وكذلك مجموع المسلمين وأهل الحل والعقد وأهل العلم الذين اجتمعوا على السنة ونقلوها وحفظوها وتمسكوا بها [1].

ولو كان أهل السنة قد تركوا هذه التعريفات دون تقييد لكان من الممكن أن تستثمرها الفرق الأخرى لصالحها لكنهم سارعوا باحتكار هذه المفاهيم لتحصن أنفسهم وأتباعهم.

إلاّ أن المأزق الذي وقعوا فيه هو أن هذه المفاهيم لا يمكن احتكارها في دائرتهم فهي كما تنطبق عليهم تنطبق على الآخرين.

ولقد قامت على مر التاريخ دول وجماعات على مذاهب وعقائد شتى غير عقيدة أهل السنة ومذاهبها، وكانت لها فقهاء وأهل حل وعقد واتباع من مجموع المسلمين وجميعهم كانوا في دائرة الدين.

فهل يمكن القول أن هذه الدول والجماعات لا ينطبق عليها هذه التعريفات؟

ان أهل السنة قد أغلقوا الأبواب على أنفسهم واعتبروا أن الخارجين عن دائرتهم ليسوا جماعة وليسوا من أهل العلم وليس لهم اتباع سوى شرذمة قليلون، ولم يكن هذا التصور نابع من الشرع وإنما كان نابعاً من السلطة التي كانت تحميهم وتؤويهم وتسهل السبل أمامهم لاستقطاب

---

[1] انظر المراجع السابقة وشروحات كتب السنن أبواب الفرقة والفتن.

عامة الناس.

من هنا أعتبر أهل السنة أنه يخرج من مفهوم الجماعة المبتدعة وأصحاب الأهواء والمحدثات فى الدين واتباع الفرق الأخرى.

واستدلوا على ذلك بحديث منسوب للرسولﷺ يقول: لا تجتمع أمتى على ضلالة ولأنهم هم الذين يمثلون الأمة وينطقون بلسانها بنفوذ الحكام فقد اعتبروا أنفسهم الأمة وأن اجتماعهم يكون على الحق دائماً، وبالتالى فهم من خلال تحصّنهم بهذا الحديث يكونون فى دائرة العصمة [1].

كذلك تحصن أهل السنة بحديث آخر يقول: من أحدث فى امرنا هذا ما ليس منه فهو رد [2].

وتحصنوا بحديث ثالث يقول: يد الله مع الجماعة [3].

ومثل هذه الأحاديث يعتمد عليها أهل السنة في إثبات كونهم الفرقة الناجية ومثلهم فى هذا كمثل بيت العنكبوت فى وهنه وضعفه إذ أن

---

[1] حديث ضعيف رواه ابن أبى عاصم برقم ٨٠١، وضعفه الألبانى فى سلسلته ج٣٩/١: ٤٠، وذكره الشاطبى فى كتابه الاعتصام، والترمذي كتاب الفتن ج٤٦٦/٤ برقم ٢١٦٧، وأحمد في مسنده ج١٤٥/٥، والحاكم في مستدركه ج١٥/١، والدارمي ج١٤٥/١.

وهذا الحديث في إسناده سليمان بن سفيان القرشي التيمي وثقه ابن حبان وقال: يخطىء وقال عنه ابن معين ليس بثقة. وقال عنه المديني: روى أحاديث منكرة. وقد أجمعوا أنه من رواة المناكير.

[2] رواه البخاري ومسلم.

[3] هذا النص جزء من الحديث الأول. وقد انفرد به الترمذي في حديث مستقل.

استدلالاتهم وتحصنهم بمثل هذه الأحاديث واه يشوبه الخلل الدائم ولا يرح العقل وهم لم يكسبوا قدرتهم وشيوعهم ببرهان ساطع ودليل قاطع إنما كسبوها من باب الأمر الواقع وغياب الفرق الأخرى.

إن كثرة الأحاديث المنسوبة للرسول ﷺ والتي تتعلّق بالجماعة في مصادر أهل السنة إنما تعكس حالة رد الفعل لديهم تجاه الفرق المخالفة التي تهدد عقائدهم وأفكارهم تلك الحالة التي دفعت بهم إلى التحصّن بهذه الأحاديث في مواجهة خصومهم.

إلاّ أن أزمة فرق أهل السنة أنها لا زالت تتمسك بهذه الأحاديث إلى اليوم ولا زالت تعيش بعقل الماضي في مواجهة عصريختلف في توجهاته وأوضاعه كل الاختلاف عن العصر الذي نشأت في ظله، فقد كان يمكن استخدام سلاح الأحاديث في الماضي أما اليوم فهذا السلاح لا يصلح للمواجهة وتحقيق الأمن والاستقرار لعقائدهم وأفكارهم.

وحديث من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه،فهو رد الذي جزم القوم بصحته يثير الكثير من التساؤلات بعد أن اعتبر أهل السنة أن عقائد وأفكار الفرق الأخرى باطلة ومردودة على أساسه.

ومن هذه التساؤلات كيف نحدد الأمر. وكيف يكون الرد؟ وعلى أي أساس؟ والإجابة على هذه التساؤلات متوافرة عند أهل السنة بالطبع، فالأمر هو أمرهم وما هم عليه والردّ هو رفضها وعدم قبوله اوالأساس هو قواعدهم وأحاديثهم، والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو: هل أهل السنة على أمر الرسول ﷺ ؟

والجواب بالطبع لا وإلاّ ما كان هناك مبرر لظهور الفرق والاتجاهات الأخرى التي ناصبتهم العداء التي برهنت من خلال اطروحاتها عدم استقامة أهل السنة مع نهج الرسول ﷺ .

وتصدع أهل السنة وتعدّد فرقهم هو برهان آخر على عدم توافقهم مع أمر الرسول،وبرهان أيضاً على كونهم ليسواالجماعة المقصودة التي يمكن اعتبارها الفرقة الناجية.

إنّ الخلاف إنّما يبرز في حالة الانحراف عن الاستقامة على أمر الرسولﷺ ولو كان أهل السنة يعبرون التعبير الشرعي الحقيقي عن الدين لما كان هناك مبرر لاصطدام الفرق الأخرى بهم ومخاصمتها لهم وعدم اعترافها بعقائدهم وأفكارهم ولكان الخلاف بينهم وبين الآخرين ينحصر في دائرة الأمور الفرعية الاجتهادية، أما هذا الخلاف الذي وصل إلى الأصول بينهم وبين الآخرين فيدل على أنهم لا يعبرون عن الدين وأصوله وإنما يعبرون عن اعتقادات وأفكار خاصة بهم.

والدائرة الثانية التي حددتها الروايات هي دائرة الصحابة فقد حصرت الفرقة الناحية في حدود ما أنا عليه وأصحابي.

ولو كانت الرواية قد توقفت على قولهﷺ ما أناعليه فقط لكان الأمر مقبولا ولاستقامت الرواية مع رواية من أحدث في أمرنا، ويكون الضمير في كلتاهما يعود على الرسول،لكن أن يربط أمرالرسول بأمر صحابته فهذا ما يتوقف فيه العقل.

فما عليه الرسول ﷺ شيء.

وما عليه الصحابة شيء آخر.

ولا يمكن الربط بين الأمرين.

إن محاولة الربط بين الرسول والصحابة من قبل أهل السنة إنما هي محاولة التغطية على تجاوزاتهم وخلافاتهم وإضفاء القدسية عليها وهو نهج أهل السنة الدائم الذين يستمدون من رواياتهم وأقوالهم عقائدهم وأفكارهم، فمن ثم فإن محاولة المساس بالصحابة في منظورهم تعد مساساً بالرسول وبالدين [1].

وهذا المعتقد المبالغ فيه عندهم يعد أحد نقاط الخلاف الرئيسية بينهم وبين الفرق الأخرى التي تحكم العقل ولا تقدس الرواية.

لقد وقع الصدام بين الصحابة من بعد وفاة الرسول ﷺ مباشرة وبرزت طائفة المنافقين والقبليين لتقوم بدورها الذي لم تستطع القيام به في حياته ـ في العمل على الانحراف بالمسلمين عن نهجه القويم [2].

بعد وفاة النبي ﷺ ضرب آل البيت والصحابة التابعين لهم.

وساد الحزب القبلي والصحابة التابعين له.

وفي عهد عثمان ضرب النهج القبلي وساد النهج الأموي والصحابة المتحالفين معه.

---

[1] هذا يوازي شعار أهل السنة الذي رفعوه فيما بعد وهو ربط الكتاب بالسنة كمحاولة لإضفاء القدسية على الرواية التى يعتمدون عليها فى صياغة أفكارهم ومعتقداتهم والحيلولة دون المساس بها.

[2] أنظر لنا السيف والسياسة. وانظر كتب التاريخ، أحداث سقيفة بني ساعدة.

وفى عهد الإمام على انقسم الصحابة إلى ثلاث جبهات:

جبهة تحالفت مع الإمام على.

وجبهة تحالفت مع معاوية.

وجبهة وقفت على الحياد [1] .

هذا ما كان عليه الصحابة فى عالم الحكم والسياسة.

أما ما كانوا عليه فى عالم الفقة والدين فلم يكونوا على مشرب واحد أو على درجة واحدة [2] .

وما كانوا عليه من جانب الأخلاق والتقيد بالدين كذلك، فلم يكونوا على مستوى واحد ودرجة واحدة [3] .

كذلك ما كانوا على درجة واحدة فى الجهاد والبذل والعطاء.

وإذا كان الصحابة لم يكونوا كتلة واحدة.

ولم يكونوا على حظ واحد من العلم.

وكان بينهم المنافقين والقبليين.

فكيف يمكن للرسول ﷺ أن يلزم الأمة بالاقتداء بهم جملة دون تحديد الطائفة المختارة من بينهم؟

---

[1] أنظر لنا المرجع السابق وكتب التاريخ فترة الخلفاء الأربعة.

[2] لم يكن الصحابة على صلة دائمة بالنبي في حياته وحضور مجالسه بانتظام وإنما كان هناك عدد من الصحابة كان ملتصقاً به على الدوام على رأسهم الإمام علي الذي تميز بكونه أعلم الصحابة. انظر سيرة الرسول في المدينة.

[3] انظر خلافات الصحابة وصداماتهم مع بعضهم البعض وتجاوزاتهم مع الرسول في كتب السيرة والتراجم وانظر سورة التوبة.

هل هذا يعني أن الصحابة جميعهم كانوا على مستوى القدوة؟

وإذا كان أهل السنة يعرفون الصحابي هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه ومن لم يره لعرض كالعمى ومنهم الجن [1].

وعلى ضوء هذا التعريف الذي هو محل إجماعهم يستوي الصحابي الذي أسلم قبل الفتح وقاتل مع الذي أسلم بعد الفتح ولم يقاتل.

والذي هاجر وبذل وأعطى مع الذي رأى النبي ﷺ ولو لساعة مجرد رؤية دون أن ينجز شيئاً لهذا الدين.

والذي تابع النبي من بداية بعثته وحتى مماته مع الذي سلم على الرسول مرة إن هذا التعميم هو قمة التضليل والتعتيم في آن واحد.

التضليل عن المفهوم الحقيقي للصحبة والصحابي.

والتعتيم على النماذج النقية الراقية من الصحابة، أصحاب الدور الجهادي والعلمي الذين قصدهم الرسول وجعلهم القدوة لأمته من بعده.

وهل يعني هذا التعريف للصحابي الذي يعتقده أهل السنة أن ما كان عليه الرسول وأصحابه يشمل الذين رأوه وسلموا عليه وولدا في حياته؟

لقد فات أهل السنة أن يدركوا أن مجتمع الرسول ﷺ لم يكن مجتمعاً ملائكياً، ولم يكن هدف الرسالات السماوية تحويل الناس إلى ملائكة، وهذا أمر لم يتحقق في حياة الرسل ومحمد خاصة فكيف يتحقق بعد وفاته؟

---

[1] انظر مقدمة الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني.

وعلى طريق دعم فكرة تعريف الصحابي التي تفوح منها رائحة السياسة ابتدع أهل السنة فكرة عدالة جميع الصحابة التي شملت كبارهم وصغارهم، عالمهم وجاهلهم، صالحهم وفاسدهم، فجميعهم سواء يروى عنهم ولا يجوز الطعن فيهم [١] .

من هنا وعلى ضوء ما سبق فإن أهل السنة وفق عقيدتهم في الأحاديث والروايات وفكرة الصحابي وعدالته يكون مبرر لديهم اعتقاد كونهم الفرقة الناجية، ذلك الاعتقاد الذي أشاعوه بين المسلمين ليكسبوا عطفهم وتأييدهم به ليتحقق لهم ما أسموه بالسواد الأعظم الذي أشارت إليه روايات الفرقة الناجية.

والسواد الأعظم هو جمهور المسلمين ليس على العموم وإنما المتمسكين بالسنة منهم وهذا التقييد من عند أهل السنة،فهم لايعجبهم أن يكون جمهور المسلمين خارج دائرتهم غير مقيد بعقيدتهم، وهذا يعني أن جمهور المسلمين لا يستحق أن يكون من الفرقة الناجية إلاّ إذا كان مع أهل السنة.

والسؤال هنا: ما هو الدليل على أن المقصود بالسواد الأعظم ـ أهل الفرقة الناجية ـ جمهور أهل السنة دون جمهور الفرق الأخرى؟

والجواب عند أهل السنة هو أن هذا الجمهور هو الملتزم بعقيدة الفرقة الناجية عقيدة أهل السنة والجماعة أي السواد.

وهذا الجواب يفرض سؤالا آخر: ما هو الدليل على أن عقيدة أهل

---

[١] قاعدة أهل السنة في الجرح والتعديل أن من ثبتت صحبته ثبتت عدالته. فيجوز تجريح رواة السند عدا الصحابي فلا يجوز تجريحه.

السنة هي عقيدة الفرقة الناجية؟

وجواب أهل السنة ينحصر في كم الأحاديث والروايات التي يتبنونها والتي هي محل شك الفرق الأخرى وهم بهذا يشهدون لأنفسهم ولا يشهد الغير لهم.

وعدم شهادة الغير لهم لكونهم لا يرون فيهم ما يميزهم عنهم ولا يساويهم بهم بل هم محل سخرية وتسفيه الآخرين [١].

وبالنظر إلى الإثنى عشر رواية السابقة نرى التناقض واضح بين نصوصها.

فالرواية الأولى حددت الافتراق على ثلاث وسبعين فرقة.

والرواية الثانية حددت الافتراق على ثلاث وسبعين ملة.

والرواية الرابعة حددت الافتراق على ثنتين وسبعين فرقة.

والرواية الخامسة حددت الفرق الناجية في ثلاث فرق.

والرواية السابعة لم تشر إلى الفرقة الناجية.

والرواية العاشرة حددت الافتراق على ثنتين وسبعين فرقة.

والرواية الثانية عشر حددت الافتراق على بضع وسبعين فرقة.

والفرق كبير وشاسع بين معنى الفرقة الذي ورد في الرواية الأولى، ومعنى الملة الذي ورد في الرواية الثانية.

معنى الفرقة هو أن الأمر ما زال فى دائرة الإسلام.

ومعنى الملة هو أن الأمر خارج دائرة الإسلام.

وهذا الخلل في تحديد المراد من النص إنما يشكك فيه،وما دام النص

---

[١] الفرق الأخرى تطلق على أهل السنة اسم المشبهة والنواصب والشكاكون والحشوية.

قد دخل في دائرة الشك فلا يصح الاستدلال به.

كذلك الأمر فيما يتعلق بتحديد عدد الفرق فهو يقودنا إلى نفس النتيجة، وهي الارتياب في النص، خاصة إن الرواية السابعة لم تشر إلى الفرقة الناجية، وأن تحديدها فى دائرة الصحابة أمر غير مقبول عقلا ولا تسانده الوقائع التاريخية كما أشرنا سابقاً.

أما الرواية الحادية عشر والثانية عشر فقد كشفت لنا أبعاداً جديدة فيما يتعلق بالفرقة الناجية، فقد أشارت الأولى إلى أن واحدة من الثلاث وسبعين فرقة ـ في الجنة وسائرهن في النار دون أن تشير إلى جهة محددة كما أشارت الروايات الأخرى.

ومن جهة أخرى فإن الراوي عوف بن مالك لم يسأل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن الفرقة الناجية وإنما سأله عن توقيت الافتراق؟

وكان الجواب هو: إذا كثرت الشرط وملكت الإماء وقعدت الحملان على المنابر واتخذ القرآن مزامير وزخرفت المساجد ورفعت المنابر.

وهذه هي علامات فرق النار التي تتمثل في كثرة أعوان السلطان والضرب والقتل وتملك الإماء وسيطرة دعاة السوء والجهالة والضلالة على المنابر واتخاذ القرآن مزامير للتغني به دون توقيره والاستفادة منه وزخرفة المساجد والإخلال بدور المنابر في توعية الأمة وتوجيهها.

وهذه العلامات لا تنطبق على فرقة من الفرق سوى أهل السنة الذين تحققت لهم السيادة والتمكن في ظل حكومات الأمويين والعباسيين والأيوبيين وغيرهم، تلك الحكومات التي سادت في ظلها هذه الشرور

علامات أهل النار.

ومن هنا يمكن القول أن هذه الرواية ليست فى صالح أهل السنة بل تدينهم وكان من الأولى بهم أن يتخلصوا منها.

والرواية الثانية ـ الثانية عشر ـ جاءت عن طريق عوف بن مالك أيضاً، وقد نصت على أن أعظم الفرق فتنة على الأمة تلك التى تقيس الأمور بالرأي وتحرم الحلال وتحلّ الحرام.

وهذه الرواية تتناقض مع الرواية السابقة التى جاءت عن طريق نفس الراوي،ومن جهة أخرى هى تدين أهل السنة فهم أئمةالقياس بالرأي وهم الذين حرموا الحلال وأحلو الحرام تحت وطأة السياسة والروايات.

لقد وضع أهل السنة القياس من بين مصادر الفقه وأصوله بعد الكتاب والسنة والاجماع، كذلك أضافوا إلى أصول الفقه الاستحسان، وهو امتداد للقياس وكلاهما ـ القياس والاستحسان ـ مجالهما الرأي [1] .

وهل يمكن أن يكون الرأي أحد مصادر التشريع؟

وهل يمكن طاعة الحكام الفجار وإضفاء المشروعية عليهم؟

إن التاريخ يروي لنا جرائم ومنكرات وانتهاكات لحقوق الإنسان على يد الحكام الأمويين والعباسيين وغيرهم، الذين باركهم أهل السنة وزينوهم فى أعين الجماهير المسلمة، بل جعلوا طاعتهم والجهاد معهم وعدم الخروج عليهم من العقائد التي يتوجّب على المسلمين الالتزام بها [2] .

---

[1] انظر كتب أصول الفقه.

[2] انظر كتب العقائد.

الانحرافات العقائدية والفقهية عند أهل السنة:

وسوف نورد هنا نماذج من الانحرافات العقائدية والفقهية التي وقعت فيها فرق أهل السنة والتي نتج عنها تحريم الحلال وإباحة المحرمات.

ففيما يتعلق بالمحظورات التي أباحوها، نعرض التالي:

ـ اعتبارهم طاعة الحكام الفجار الظلمة واجبة واعتبارهم أئمة [١] .

ـ إباحتهم الجهاد من ورائهم وتسليمهم زكاة الأموال والحج معهم [٢] .

ـ إباحة التوضأ بالنبيذ [٣] .

ـ إباحة القصر في سفر المعصية [٤] .

ـ إباحة المسح على الخفين [٥] .

ـ إباحة الصيد للمحرم [٦] .

---

[١] انظر كتب العقائد. وانظر باب فرق الماضي. وكتابنا أهل السنة شعب الله.

[٢] انظر المراجع السابقة.

[٣] قال بذلك أبو حنيفة. انظر بداية المجتهد ج ٢٥/١. وانظر أحكام القرآن للجصاص ج ٣٨٦/٢.

[٤] قال بذلك مالك وأبو حنيفة. انظر الفقه على المذاهب الأربعة ج ٤٧٥/١.

[٥] جوز ذلك جميع فقهاء فرق أهل السنة مع مخالفته الصريحة لآية الوضوء في سورة المائدة. انظر الفقه على المذاهب الأربعة ج ١٣٥/١ وبداية المجتهد ج ١٤/١.

[٦] قال بذلك الشافعي وأبو حنيفة. انظر كتب الفقه وتفسير الخازن ج ٥٢٩/١.

- إباحة نكاح الرجل لابنته من الزنا [1] .
- إباحة تطليق الزوجة وهي حائض [2] .
- القول بطهارة المني [3] .
- إباحة بيع الخمر للمسلم بتوكيل ذمي عنه في البيع [4] .
- اعتكاف المرتد لا يبطل بعد ارتداده [5] .
- إباحة تطليق الزوجة تطليقاً بائناً لا رجعة فيه إذا ما طلّقها زوجها ثلاث تطليقات مرة واحدة [6] .
- إباحة الزوجة المطلقة ثلاثاً لزوجها بالنكاح الفاسد [7] .
- إباحة الحيل في الطلاق [8] .
- إباحة وقوع الطلاق قبل الزواج وكذلك الظهار [9] .

---

[1] قال بذلك الشافعي. انظر الأم ج٢٥/٥، وبداية المجتهد ج٢٩/٢.

[2] قال بذلك الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة. انظر الفقه على المذاهب الأربعة ج٣٠٠/٤ وما بعدها. وانظر بداية المجتهد ج٥٢/٢.

[3] انظر الفقه على المذاهب الأربعة ج١٣/١، وبداية المجتهد ج٦٤/١.

[4] انظر الفقه على المذاهب الأربعة ج١٣/١، وبداية المجتهد ج٦٤/١.

[5] قال بذلك الشافعي. انظر الفقه على المذاهب الأربعة ج٥٨٧/١.

[6] قال بذلك الشافعي وأبو حنيفة ومالك، انظر بداية المجتهد ج٥٠/٢ والفقه على المذاهب الأربعة ج٢٩٧/٤.

[7] بداية المجتهد ج٤٨/٢، والفقه على المذاهب الأربعة ج١١٧/٤.

[8] قال بذلك أبو حنيفة، انظر كتب الفقه الحنفي، وانظر أعلام الموقعين ج١٦/٤.

[9] قال بذلك أبو حنيفة. انظر بداية المجتهد ج٦٩/٢، وانظر الفقه على المذاهب الأربعة ج٤٩٣/٤، وقال بذلك مالك أيضاً انظر الموطأ.

وفيمـا يتعلـق بالمباحـات التـى حرموهـا والمحرّمـات التـى أباحوهـا نعرض ما يلى:

ـ وقوع طلاق المكره [1] .

ـ إباحة الصلاة وراء الفاجر [2] .

ـ إباحة رضاعة الكبير [3] .

ـ إباحة الصلاة فى الأرض المغصوبة [4] .

ـ إباحة التجسيم والتشبيه [5] .

ـ تحريم جمع الصلاة فى الحضر [6] .

ـ تحريم الحج على المرأة بدون محرم وبدون استئذان الزوج [7] .

ـ تحريم الوصية للوارث [8] .

---

[1] قال بذلك أبو حنيفة، انظر الهداية شرح بداية المبتدى ج١٦٧/١ و ج٤١/٢.

[2] انظر كتب العقائد، وانظر الفقه على المذاهب الأربعة ج٤٢٩/١.

[3] انظر مسلم كتاب الرضاع، باب رضاعة الكبير. وانظر شرح النووي.

[4] هو ما عليه جميع فرق أهل السنة، وانظر الفقه على المذاهب الأربعة.

[5] استناداً لكم من الروايات التي تتعلق بصفات الله، وأبرز فرق أهل السنة التي تبنت التجسيم والتشبيه فرقة الحنابلة، انظر درء شبه التشبيه لابن الجوزي وهو يرد فيه على الحنابلة، وانظر السيف الصقيل في الردّ على ابن زفيل للسبكي، وانظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر ج١٤٤/١، ترجمة ابن تيمية وتبنيه للتجسيم والتشبيه.

[6] قال بذلك الأحناف، وانظر بداية المجتهد ج١٣٤/١ والفقه على المذاهب الأربعة ج٤٨٥/١ وما بعدها.

[7] بداية المجتهد ج٢٦٠/١، وانظر الهداية ج٩٧/١.

[8] بداية المجتهد ج٢٨٠/٢، وانظر التاج الجامع للأصول ج٢٦٦/٢.

- تحريم ميراث الرسول ﷺ [1].
- إسقاط فريضة الخمس في الأموال بعد وفاة الرسول ﷺ [2].
- تحريم أن تنكح المرأة على عمتها أو خالتها [3].
- تحريم نكاح المتعة [4].
- التوبة لا تسقط الحد [5].
- تحريم الرضاع ولو بقطرة واحدة [6].
- تعطيل سهم المؤلفة قلوبهم [7].

---

[1] استناداً إلى الرواية المنسوبة للرسول ﷺ على لسان أبي بكر: لا نورث ما تركناه صدقة. وعلى أساس هذه الرواية صودر ميراث الرسول ﷺ الذي ملكه بحق الخمس من قبل الخلفاء وحجب عن السيدة فاطمة عليها السلام ونساء النبي، انظر مسلم كتاب الجهاد والبخاري كتاب المغازي والخمس.

[2] فريضة الخمس للرسول ﷺ ولذي القربى من أبناء الرسول ﷺ كما نصت على ذلك آية سورة الأنفال (واعلموا إنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى) رقم ٤١ انظر تفسير سورة الأنفال في كتب التفسير والبخاري كتاب الخمس. وشرحه في فتح الباري. وانظر كتب السنن.

[3] استناداً إلى رواية منسوبة للرسول ﷺ تقول: لا تنكح المرأة على عمتها أو خالتها. انظر البخاري ومسلم كتاب النكاح.

[4] استناداً إلى فتوى عمر بن الخطاب وروايات تقول بتحريمها. انظر البخاري ومسلم كتاب النكاح. وانظر كتب السنن الأخرى. وتكتظ هذه الكتب بروايات تقول بإباحة هذا الزواج. انظر لنا كتاب: زواج المتعة حلال في الكتاب والسنة.

[5] قال بذلك الشافعية. انظر الأم ج١٦٥/٦.

[6] قال بذلك الأحناف. انظر أحكام القرآن ج١٢٤/٢. وانظر كتب التفسير.

[7] استناداً إلى فتوى عمر بن الخطاب الذي اجتهد على النص الصريح.

ـ تحريم شد الرحال للمساجد [١] .

ـ تحريم جهاد الحكام الطغاة والفجار [٢] .

ـ تحريم النظر في كتب المخالفين [٣] .

ـ تحريم دفن تارك الصلاة في مقابر المسلمين [٤] .

ـ تحريم نكاح المخالفين [٥] .

ـ تحريم الخوض في الصحابة [٦] .

وذلك غير تضليلهم المسلمين عن حقيقة أهل البيت عليهم السلام وتشويههم والحط من قدرهم، وهذا قمة المحرمات التي تتناقض مع النصوص الصريحة في حقهم.

ومن هذا يتبين لنا أن أهل السنة تنطبق عليهم مواصفات الفرقة الهالكة

---

[١] اعتمد التحريم على رواية: لا تشد الرحال إلاّ لثلاثة مساجد. انظر مسلم كتاب الحج والبخاري كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة.

[٢] انظر العقيدة الطحاوية وشرحها وانظر كتب العقائد الأخرى الخاصة بفرق أهل السنة. وانظر مسلم كتاب الإمارة وشرح النووي له. وانظر البخاري كتاب الأحكام وشرح ابن حجر له في فتح الباري. وانظر كتابنا: أهل السنة شعب الله المختار.

[٣] انظر الاعتصام للشاطبي والطرق الحكمية لابن القيم ونقص المنطق لابن تيمية وأصول الدين للبغدادي.

[٤] قال بذلك الحنابلة. وتارك الصلاة كافر في منظورهم على أساس بعض الروايات. انظر كتب الفقه الحنبلي. وفتاوى رموز الوهابية المعاصرين.

[٥] أفتى بذلك الحنابلة والوهابيون المعاصرون. وانظر كلام البغدادي السابق.

[٦] انظر كتب العقائد مثل العقيدة الطحاوية والعقيدة الواسطية لابن تيمية وعقيدة أهل السنة لابن حنبل. وعقيدة أهل السنة للأشعري.

لا الفرقة الناجية، فهم قد وقعوا في متاهات الأحبار والرهبان ومتاهات الحكام بالإضافة إلى متاهات الروايات.

وهذا كلّه يعود إلى كونهم رفضوا تحكيم العقل بداية ونبذوه ونسجوا كهفاً من أوهامهم عاشوا فيه وتحصنوا به في عزلة عن الآخرين.

إلاّ أن حصن أهل السنةـ كما تبين مما سبق عرضه ـ هو أوهى من بيت العنكبوت، فلا يصلح أن يأوى إليه المسلمون طلباً للأمن والأمان في الدنيا والآخرة.

والمتأمل في نصوص التحريم والإباحة التي عرضناها، يتبين أنها لا تخرج عن كونها رد فعل لأطروحات الفرق المخالفة، فهي لا تستند على نصوص بقدر ما تستند على مواقف لفقهاء فرق أهل السنة لا تتحلى بما يميّزها عن الفرق الأخرى، وإذا سلّمنا بتساويها مع الآخرين فهذا يعنى فقدانها صفة النجاة ويعني مشاركتهم لها في هذه الصفة، والحقيقة أن فرق أهل السنة هي أقل منهم طرحاً وعقلا وأكثرهم خللا.

وليس من السهل أن يسلّم العقل بأن الفرقة التي تجانب العقل وتوالي الحكام الفجار وتلتزم المسلمين بطاعتهم وتتبنى التجسيم والتشبيه فيما يتعلق بصفات الله سبحانه، وتقوم على فقه الرجال الذين تعددت مذاهبهم وطغت على النصوص الصريحة، وتقدّس الرواية إلى الحد الذي يجعلها تعتدى على القرآن، وفوق هذا كله هي لا تلتزم بخلق الإسلام فى مواجهة الخصوم والمخالفين، فتسبهم وتلعنهم وتكفّرهم وتفتري عليهم القول، ليس من السهل ولا من الممكن أن يسلم العقل أن مثل هذه الفرقة هي

الفرقة الناجية، فإن مثل هذا التصور فضلا عن كونه يصطدم بالعقل فهو يصطدم بجوهر الدين، ويصوره وكأنه يناقض العدل والرحمة ويقر الظلم والفساد بالإضافة إلى تناقضه مع الفطرة.

بصمات السياسة:

جاء أهل السنة برواية جديدة تدعمهم وتمنحهم صفة جديدة فوق صفة الفرقة الناجية ألا وهي صفة الطائفة المنصورة.

وكأن أهل السنة أرادوا الاستحواذ على الدنيا والآخرة معاً.

في الدنيا هم الطائفة المنصورة.

وفي الآخرة هم الفرقة الناجية.

إلاّ أن فكرة الطائفة المنصورة هذه تفوح منها رائحة السياسة بشكل فاضح، وهو ما يظهر من خلال استعراض روايات الطائفة المنصورة.

روى المغيرة بن شعبة عن الرسولﷺ قوله: لا يزال ناس من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون [١] .

وروى معاوية: لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، ما يضرّهم من كذّبهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك.

فقال مالك بن يخامر: سمعت معاذاً يقول: هم بالشام.

فقال معاوية: هذا مالك يزعم أنه سمع معاذاً يقول: هم بالشام [٢] .

وعن ثوبان: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرّهم من

---

[١] البخاري كتاب المناقب، وانظر مسلم كتاب الإمارة.

[٢] المرجع السابق كتاب التوحيد، وانظر مسلم.

خذلهم، حتى يأتى أمر الله وهم كذلك [١] .

وعن سعد بن أبى وقاص: لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة [٢] .

وعن معاوية: لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين، وإنى لأرجو أن تكونوا هم يا أهل الشام [٣] .

وعن قرة بن إياس المزنى: إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتى منصورين لا يضرّهم من خذلهم حتى تقوم الساعة [٤] .

وروى من عدة طرق، وآخره نص يقول: عقر دار المؤمنين الشام [٥] .

وفى روايات أخرى: هم أهل الشام [٦] .

وغير هذه الروايات روايات أخرى تتحدث عن الطائفة المنصورة أنها طائفة مقاتله [٧] .

ورغم ذلك فإن فقهاءأهل السنة شهدوا أن الطائفة المنصورةلا صلة لها بالقتال.

قال عبد الله بن المبارك: هم عندي أصحاب الحديث [٨] .

---

[١] مسلم كتاب الإمارة، وانظر أبو داود والترمذي في كتاب الفتن.

[٢] مسلم.

[٣] مسند أحمد ج٣٦٩/٤.

[٤] الترمذي باب ما جاء في الشام.

[٥] انظر النسائي كتاب الخيل وأبي يعلى وابن حبان.

[٦] البخاري، التاريخ الكبير ج٦٢/٤.

[٧] انظر المراجع السابقة.

[٨] انظر شرف أصحاب الحديث.

وقال يزيد بن هارون: إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم؟ [١]

وقال ابن حنبل نفس مقالة ابن هارون [٢] .

وقال المديني: هم أصحاب الحديث [٣] .

وقال أحمد بن سنان: هم أهل العلم وأصحاب الأثر [٤] .

وقال البخاري: لا تزال طائفة من أمتي... يعني أصحاب الحديث [٥] .

وفي قول آخر له: هم أهل العلم [٦] .

وقال ابن حبان في معرض حديث الطائفةالمنصورة: ذكرإثبات النصرة لأهل الحديث إلى قيام الساعة [٧] .

وجاء آخرون فقالوا إن الطائفة المنصورة مفرقة بين أنواع المؤمنين: المجتهدون في الأحكام والعقائد، أو المرابطون في الثغور والمجاهدون لإعلان الدين، أو الزهاد، أو المحدثون [٨] .

وأصحاب هذا القول جاؤوا لإحداث التوازن في الموقف تجاه هذه

---

[١] المرجع السابق.

[٢] المرجع السابق، وانظر المجروحين لابن حبان ج ٨٩/١.

[٣] انظر شرف أصحاب الحديث.

[٤] المرجع السابق.

[٥] المرجع السابق.

[٦] البخاري ج١٤٩/٨.

[٧] الإحسان ج ٢٣٢/١.

[٨] انظر شرح النووي على مسلم ج٦٧/١٣، وفيض القدير ج٣٩٦/٦.

الروايات من قبل فرق أهل السنة ولدفع الشك عن نفوس الاتباع فيها.

ومن الملاحظ أن بعض نصوص هذه الروايات جاء عن طريق معاوية بن أبي سفيان، وهي في أغلبها تركزت حول الشام معقل معاوية واتباعه، والروايات التي جاءت عن طرق أخرى لم تشر إلى الشام قام الفقهاء بتأويلها نحو الشام.

ومعنى أن بعض هذه الروايات جاءت عن طريق معاوية وأشارت إلى الشام معقله ورواتها الآخرون من الصحابة هم من اتباعه وحلفائه مثل المغيرة بن شعبة ومالك بن يخامر وأبي هريرة ـ معنى هذا أنها روايات سياسية اخترعت لنصرة معاوية وخطة وإضفاء المشروعية على نهج أهل الشام خصوم الإمام علي وأهل الكوفة.

والظاهر أن وقت ظهورهذه الروايات هو الفترة الأموية،ولو كانت هذه الروايات قد ظهرت في العصر العباسي لاتجهت بالطائفة المنصورة نحو بغداد.

إلاّ أنه يمكن القول أن تفسيرات فقهاء فرق أهل السنة للطائفة المنصورة وحصرها في دائرة أهل الحديث برزت في العصر العباسي فترة ظهور أهل الحديث الذين لم يكن لهم وجود في العصر الأموي.

ولم تلق هذه الروايات ما لاقت روايات الفرقة الناجية من طعن في سندها إذ إنها رويت في صحاح القوم وعلى رأسها البخاري ومسلم، فلا مجال للكلام في سندها هنا مادام القوم لم يطعنوا في سندها من الأصل كما طعنوا في سند روايات الفرقة الناجية.

وما يمكن قوله في مجال الطائفة المنصورة هوأن الروايات الخاصة بها لم تحدد طائفة بعينها كما هو حال روايات الفرقة الناجية، لكن أهل السنة فصّلواهذه الروايات على أنفسهم كما هوحالهم دائماً في التحصن بالرواية واحتكارها واستغلالها ضد خصومهم.

ولما كان الشيعة هم الخصم الأكبر لأهل السنة على مر الزمان وحتى اليوم الذي اختفت فيه الفرق الأخرى المناوئة لهم تقريباً، فقد حصّن أهل السنة أنفسهم برواية في مواجهتهم، رووها على لسان الإمام علي حتى تكون الحجة قوية ورادعة في منظورهم أو على الأقل تكون مطمئنة للاتباع.

روى أبو موسى الأشعري: اجتمع عند علي رأس النصارى ورأس اليهود.

فقال الرأس: تجادلون على كم افترقت اليهود؟

وقال الآخر: على إحدى وسبعين فرقة.

فقال علي: لتفترقن هذه الأمة على مثل ذلك، وأضلها فرقة وشرها الداعية إلينا ـ أهل البيت ـ آية ذلك أنهم يشتمون أبا بكر وعمر [1].

وهذه الرواية المختلقة لم تحظ باحترام القوم، إذ لم تروها كتبهم المعتمدة وإن كانت قد اشتهرت وسلطت عليها الأضواء في زمان ظهورها واختراعها حيث كانت القوى الحاكمة وأهل السنة في حاجة ماسة لدعم

---

[1] رواه ابن بطة في كتاب الإبانة الكبرى ج١٢٢٩/١، وفي رواية اخرى: شرها فرقة تنتحل حبنا وتخالف أمرنا.

الصراع المحتدم بينهم وبين الشيعة وإضفاء المشروعية عليه.

وجملة: شرها الداعية إلينا آية ذلك أنهم يشتمون أبا بكر وعمر، تفوح منها المذهبية والسياسة في آن واحد.

أما من جهة المذهبية فهي تبدو ظاهرة من خلال تحديد علامة الفرق بالدعوة إلى أهل البيت وربطها بالشر، فربط الشر بدعوة أهل البيت هو قمة التعصب المذهبي وقمة التشوية والتضليل.

ومن جانب آخر فإن تحديد دائرة أهل البيت عليهم السلام يعني أن هذه الرواية موجهة إلى خصوم بعينهم وهم الشيعة الفئة الوحيدة بين المسلمين التي ترفع راية أهل البيت عليهم السلام وتدعو إلى مذهبهم.

ثم أن الإشارة إلى أبي بكر وعمر تؤكد النزعة المذهبية الفرقية لأهل السنة الذين يعتقدون بقداسة هذين الرمزين دون بقية الفرق الأخرى، وقد وجهوا هذه الرواية نحو الشيعة التي تتبنى موقفاً رافضاً لهذين الرمزين [١] .

ومن جهة السياسة فإنه يمكن القول أن هذه الرواية من اختراع العصر العباسي، حيث كان الصراع على أشده بين العباسيين الذين ركبوا موجة أهل البيت ووصلوا إلى الحكم عن طريقها ـ وشيعة أهل البيت المنافسين لهم على مستوى واقع المسلمين الذين كانوا يمثلون فيه ثقلا كبيراً آنذاك.

من هنا كان العباسيون في حاجة ماسة إلى الشرعية التي وجدوها في جيل الفقهاءالذين نموا وترعرعوا في العصر الأموي الذي سادت فيه القيم

---

[١] من هنا أطلق على الشيعة اسم الرافضة، والشيعة هم الطائفة الوحيدة التي تملك نظرية نقدية للصحابة دون بقية الفرق والاتجاهات الأخرى.

المعادية لأهل البيت عليهم السلام، فقاموا باحتضان هؤلاء الفقهاء ودعموهم ليبرزوا فقههم وروياتهم التي وجدوافيها الغطاءالشرعي في مواجهة الشيعة.

هذه هي قصة نشأة أهل السنة وبروز رواياتهم وفرقهم.

وهذا هو دافع خصومتهم وعدائهم للفرق الأخرى فقد وجد فيهم العباسيون ضالتهم المنشودة ليس في مواجهة الشيعة فقط بل في مواجهة جميع القوي المعارضة الأخرى.

ووجدوا هم في العباسيين الأمن والدعم والحماية، وكان لابد لهم من الحفاظ على هذه المكاسب ودفع الثمن بإعلان الحرب على الفرق والاتجاهات الأخرى وتشويهها وتخويف المسلمين منها وتشكيكهم في عقائدها وأفكارها.

ولا شك أن الفرق والاتجاهات الأخرى لا تشكّل خطراً على أهل السنة وحدهم بل على العباسيين أيضاً.

وهكذا كان الدافع المصلحي هو مبرر الارتباط بين العباسيين وأهل السنة فكلاهما ارتبط مصيره ومستقبله بالآخر.

وعلى ضوء هذه المصلحة ارتبط أهل السنة بالحكام من بعد العباسيين وقاموا بتقنين العلاقة بين الرعية والحكام وجعلوا طاعتهم وعدم الخروج عليهم من العقائد.

وعلى ضوء ما سبق يمكن أن نتبين أهمية فكرة الطائفة المنصورة والفرقة الناجية بالنسبة لأهل السنة وللحكام.

فهي تدعم الحكام وأهل السنة في مواجهة خصومهم.

وفي الوقت نفسه تضفي القدسية والمشروعية عليهما.

وقد وردت الكثير من الروايات في تفضيل أهل الشام كما وردت روايات أكثر في تفضيل الإمام علي بن أبي طالب وأهل البيت [1].

واحتار فقهاء أهل السنة في حسم هذا التناقض بين الروايات، فتفضيل أهل الشام يعني رفع معاوية وخفض الإمام علي، وتفضيل الإمام علي يعني الحط من أهل الشام وخفض معاوية.

ولو انحاز أهل السنة بفكرة الفرقة الناجية والطائفة المنصورة نحو أهل البيت عليهم السلام لضرب الخط السائد نهج معاوية والعباسيين من بعده ولضاع أهل السنة أيضاً ولم يصبح لهم وجود ويلحقون بكثير من الفرق التي أصبحت في ذمة التاريخ، وأمام هذا الأمر اضطرأهل السنة إلى التوفيق بين الروايات وتبني الحل الوسط الذي يحفظ كيانهم وكيان الحكام.

يقول ابن تيمية: أما قوله لا يزال أهل الغرب ظاهرين.. ونحو ذلك مما يدل على ظهور أهل الشام وانتصارهم فهكذا وقع،وهذا هو الأمر، فإنهم ما زالوا ظاهرين منتصرين.

وأما قوله صلى الله عليه وآله: لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله. ومن هو ظاهر فلا

---

[1] انظر تاريخ دمشق لابن عساكر ج١ وقد حشد فيه عشرات الروايات التي تمجد في الشام وأهله وانظر الترمذي كتاب الفتن باب ما جاء في الشام. وانظر كتب السنن أبواب الفضائل. وباب فضل أهل البيت في مسلم. وفضل الإمام علي في هذه الكتب. وخصائص الإمام علي للنسائي.

يقتضي ألا يكون فيهم من بغى، ومن غيره أولى بالحق منهم، بل فيهم هذا وهذا.

وأما قوله : تقتلهم أولى الطائفتين بالحق.. فهذا دليل على أن علياً ومن معه كان أولى بالحق إذ ذاك من الطائفة الأخرى، وإذا كان الشخص أو الطائفة مرجوحاً في بعض الأحوال، لم يمنع أن يكون قائماً بأمر الله، وأن يكون ظاهراً بالقيام بأمر الله عن طاعة الله ورسوله، وقد يكون الفعل طاعة وغيره أطوع منه.

وأما كون بعضهم باغياً في بعض الأوقات،مع كون بغيه خطأمغفور، أو ذنباً مغفوراً، فهذا أيضاً ـ لا يمنع ما شهدت به النصوص، وذلك أن النبيﷺ أخبر عن جملة أهل الشام وعظمتهم، ولا ريب أن جملتهم كانوا أرجح في عموم الأحوال [1] .

ويظهر لنا من كلام ابن تيمية هذا ـ وهو من فقهاء الشام ـ ميله لأهل الشام وتبريره لشنائعهم في الوقت الذي يحاول فيه إظهار تعاطفه مع الإمام علي عليه السلام من خلال تعليقه على حديث:.. تقتلهم أولى الطائفتين بالحق. وهو حديث يشير إلى وقعة صفين بين الإمام علي ومعاوية، في الوقت الذي أجهد نفسه في تبرير وتأويل جريمة معاوية بقتاله الإمام.

وكان البخاري من قبل ابن تيمية قدروى حديث الطائفةالمنصورة عن طريق معاوية الذي قال: سمعت النبي يقول من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم ويعطي الله ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى

---

[1] الفتاوى الكبرى ج٤/٤٤٧ وما بعدها.

تقوم الساعة أو حتى يأتي الله [1] .

وكأن معاوية يريدأن يؤكد من خلال هذه الرواية أنه المقصود بها، وأن نهجه هو نهج الاستقامة والرشاد، وقد صدق فقهاء أهل السنة هذا وباركوه وأشاعوه في الأمة وكل هذا من بركاته السياسية التي ساروا في ركابها [2] .

ولقد كان معاوية ونهجه وأهل الشام الذين تحصن بهم أكثر حظاً من العباسيين في المجال الاعتقادي، إذ أن أهل السنة اعتبروه من الصحابة العدول فباركوه واعتمدوه كمصدر من مصادر الفقه والعلم والإمامة وعدوه من الفقهاء المجتهدين.

أما العباسيون فلم يحظ أحدمنهم بهذه البركة أو هذا الصك السني، اللهم إلاّ صك الإمامة والسمع والطاعة، وهو صك تم منحه لجميع الحكام.

وقد اخترع معاوية وحزبه أحاديث نسبت إلى النبي ﷺ تبارك أهل الشام بينما فاتت على العباسيين فرصة تحقيق ذلك [3] .

---

[1] كتاب الاعتصام، وانظر فتح الباري ج١٣/٢٥٠، وشرح النووي على مسلم كتاب الإمارة.

[2] انظر البخاري باب ذكر معاوية وليس فيه سوى رواية واحدة تقول: سئل ابن عباس عن معاوية فقال: أنه فقيه.

[3] معاوية أحد رواة حديث الفرقة الناجية كما سبق ذكره.

فرق الماضي

يعد تفرق الصحابة في البلدان بعد وفاة الرسول ﷺ السبب المباشر في بروز الفرق في واقع المسلمين،فقد نقل كل صحابي إلى البلد الذي استقر فيه روايات وسنن عن الرسولﷺ مختلفة عن الصحابي الآخر [1] .

وكان أن نشأت فى كل بلد فرقة على أساس هذه الروايات والسنن تتبنى عقائد ومفاهيم مختلفة عن فرق البلدان الآخرى.

ولم يكن الواقع في فترة القرن الأول ـ فترة حركة الصحابة في البلدان ـ قد تبلورت في دائرته تلك المفاهيم العقائدية التي نبعت من خلال علم الكلام والتي تكونت منها كتب العقائد فيما بعد.

من هنافإن الفرق التي برزت في تلك الفترة لم تكن ذات أطر عقائدية محددة، فلم تكن هناك حاجة لتلك الأطر لقرب العهد بعصر الرسولﷺ، ولعدم وجود فرق مخالفة بارزة على الساحة تشكل تحدياً للاتجاه السائد الاتجاه الأموي والتابعين الذين ساروا في ركابه [2] .

---

[1] لم يكن الصحاية ملتصقون بالرسولﷺ دائماً إنما كانوا يلتقون به على فترات غير منتظمة، من هنا فإن تلقيهم عن الرسول كان متفاوتاً، وهذا لا يعنى أن هناك فئة خاصة كانت ملتصقة بالرسول على الدوام.

[2] كان هناك تيار الخوارج وتيار الشيعة إلاّ أنهما كانوا محظورين ولم يكن لهما وجوداً علنياً بارزاً.

إلاّ أن الوضع قد اختلف في العصر العباسي، وبعد ظهور حركة الترجمات وبروز التيار الشيعي بقوة، ثم تيار المعتزلة والتيارات الكلامية الأخرى التي شكلت تحدياً كبيراً لفرق أهل السنة والحكام.

وجاء رد الفعل عنيفاً وشديداً من قبل فرق أهل السنة السائدة، ونتج عن رد الفعل هذا وقوع خلافات وصدامات أدت إلى بروز فرق في دائرتهم تبنت علم الكلام الذي نبذ من قبل الفرق القديمة واستخدمته كسلاح في مواجهة الفرق المخالفة [١].

ويمكن القول أن العصر العباسي هو عصر تأسيس وبلورة عقائد وأفكار فرق أهل السنة المختلفة، وهو عصر التعددية في دائرتهم أيضاً، فأغلب فرق أهل السنة برزت في هذا العصر.

وإذا كان العصر الأموي قد حوى فرق البصرية والحنفية والمالكية والأوزاعية، فإن العصر العباسي قد حوى فرق الشافعية والحنابلة والظاهرية والأشاعرة والماتريدية وكذلك الحنفية والمالكية والأوزاعية التي عاصرت العباسيين أيضاً.

وهذه هي الفرق التي سوف نعرض لها في هذا الباب بالإضافة إلى فرقة

---

[١] علم الكلام هو العلم الذي اشتق من الفلسفات التى تم ترجمتها وتفسيرها ويعتمد على استخدام الحجج المنطقية فى إثبات العقائد ودفع الشبه عنها. وينقل ابن خلكان إن لفظة متكلم تطلق على من يعرف علم الكلام وهو أصول الدين. وإنما قيل علم الكلام لأن أول خلاف وقع في الدين كان في كلام الله. أمخلوق هو أم غير مخلوق؟
انظر وفيات الأعيان ج٦٠٩/١. وقد هوجم علم الكلام من قبل فرق الحنابلة والمالكية والشافعية وغيرهم، بينما تبناه الأشاعرة والماتريدية.

الحزمية بالأندلس وفرقة ابن تيمية في الشام والتي برزت في العصر المملوكي.

وهذه الفرق الخمسة عشر التي يحتويها هذا الباب هي الفرق الكبرى البارزة في واقع أهل السنة التي سلطت عليها الأضواء قديماً، وهي تنقسم إلى قسمين:

فرق الفقة والعقائد.

فرق الرواة.

البصرية:

اتخذ الحسن البصري في مسجد البصرة حلقة له يدرّس فيه الوعظ والحكم والإرشاد وتلاوة القرآن والزهد ومكارم الأخلاق وذم الدنيا بعيداً عن السياسة والقضايا الكلامية والفلسفية التي لم تكن قد فرضت نفسها على واقع المسلمين في أوائل القرن الثاني الذي هو عصر البصري.

وقد استفزت سلبية البصري وعدم ايجابيته في مواجهة عدة قضايا كانت تشغل المسلمين في ذلك الوقت تتعلق بشرعية الحكم الأموي وما ارتكبه من جرائم في حق آل البيت والمسلمين عموماً، استفزت أحد اتباعه، فسأله عن حكم الشرع في مرتكب الكبيرة هل هو مؤمن أو كافر؟

وانفرد بالجواب قبل البصري واصل بن عطاء أحد اتباعه والمترددين على حلقته، وقال صاحب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، أي بين الإيمان والكفر.

أما جواب البصري فقد اعتبر من أتى بكبيرة منافقاً، وهو جواب سلبي، إذ أن المقصود بصاحب الكبيرة في تلك الفترة حكام بني أمية.

وتتركز أفكار البصري فيما يلي:

ـ الدعوة إلى الزهد والصبر على المكاره.

ـ مسالمة الحكام.

ـ نشر العلم بين المسلمين.

ويعد الحسن البصري من التابعين الذين عاصروا عدداً كبيراً من الصحابة غير أن أفكاره وفرقته لم يتحقق لها الانتشار والبقاء إذ ذابت وتوزعت بين فرق أهل السنة التي برزت فيما بعد [1].

[1] انظر ترجمة الحسن البصري في طبقات ابن سعد ج١٥٦/٧، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج٥٦٣/٤، وحلية الأولياء للأصفهاني ج٢ / ترجمة رقم ١٦٩

الأحناف:

تأسست هذه الفرقة على يد النعمان بن ثابت الملقب بأبي حنيفة الـذي يعد من التابعين.

وتقوم أفكار هذه الفرقة على الكتاب والسنة والاجتهاد أو الرأي.

وما تميزت به عن الفرق الأخرى هو ما يلي:

- حجية القراءة الشاذة في الاستدلال.
- جواز القراءة في الصلاة بغير العربية.
- الشك في حديث الآحاد.
- جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن وإقامة الآذان.
- صحة صلاة الجمعة في أكثر من جامع واحد في البلد الواحد.
- جواز الوضوء بالنبيذ.
- عدم جواز مرور الجنب في المسجد.
- جواز دخول المشركين المساجد.
- جواز إعطاء اليهود والنصارى زكاة الفطرة والكفارة.
- الإيمان لا يزيد ولا ينقص.
- جواز وقوع طلاق المكره.
- جواز استخدام الحيل للوصول إلى المباح.

ـ الرضعة الواحدة ولو كانت قطرة توجب الحرمة.

ـ جواز قتل المسلم بالكافر.

ـ جواز تولى المرأة القضاء.

وهذه أمثلة من أفكار الفرقة الحنفية التى اختلفت معها فرق أهل السنة بسببها، ومصادر هذه الفرقة تحوى الكثير من الأمور التى لا يتسع المجال لذكرها هنا، غير أن هذه الأفكار قد جذبت الكثير من المسلمين نحو الأحناف.

إن فرقة الأحناف تعدّ من أوائل الفرق الكبرى التى ظهرت فى واقع أهل السنة، إذ لم تكن هناك فرقة تنافسها فى زمانها وقد ساعدها هذا الوضع على أن تكون من أكبر الفرق السنية وأوسعها انتشاراً، إذ سادت كل بلاد المشرق تقريباً بدءاً من العراق وتركيا وحتى الصين، وذلك بتأثير الدولة العثمانية التي اعتنقت أفكار هذه الفرقةوتمذهبت بمذهبها ليصبح المذهب الرسمى السائد فى الشام ومصر أيضاً، وهما فى دائرة نفوذها واستمر تواجد الأحناف فيهما حتى اليوم.

ومن أشهرتصانيف أبي حنيفة في مجال العقائدكتابه الفقه الأكبر،وهي رسالة يتعرض فيها لأصل التوحيد والإيمان والقضاء والقدر وصفات الله وأفعال العباد والنبوة وعصمة الأنبياء وكرامات الأولياء والشفاعة والجنة والنار وعذاب القبر والخلفاء الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعلامات الساعة.

وهذه القضايا التى حوتها هذه الرسالةهى محورالخلاف بين فرق أهل السنة، وهي الأساس الذي بررت به إنشقاقها وتميزها عن الفرقة الأم.

ومن أشهرأتباع فرقة الأحناف: زفر بن الهذيل التميمي وسفيان الثوري وعبد الله بن يزيد المقرى ومحمد بن الحسن الشيباني ووكيع بن الجراح وعبد الله بن المبارك ويعقوب بن إبراهيم الأنصاري ويزيد بن هارون وغيرهم كثير [1] .

---

[1] زفر من الزهاد وثقه علماء الحديث وهو من أصحاب الحديث وكان يخلف أبا حنيفة فى مجلسه إذا غاب ويعد من أبرز الأحناف وأكثرهم فقهاً.

وسفيان الثوري كان يلقب بأمير المؤمنين فى الحديث، وُثق من قبل علماء الحديث، جمع بين الفقه والحديث والزهد والورع.

والمقري من رجال الحديث المعتمدين، روى عنه ابن حنبل والبخاري وآخرون.

والشيبانى هو صاحب كتب الفرقة تولى القضاء أيام الرشيد صنف الكثير من الكتب.

ووكيع هو محدث العراق وأحد الأعلام، روى له أصحاب السنن وتتلمذ عليه الشافعي.

وابن المبارك من مشاهير العباد جمع بين العلوم المختلفة وروى عنه الكثير من الرواة.

والأنصاري هو القاضي أبو يوسف من أشهر الأحناف، ولي القضاء أيام المهدي والهادي وهارون الرشيد.

ويزيد بن هارون هو من الحفاظ روى عنه ابن حنبل وغيره.

انظر تراجم هؤلاء فى: تذكرة الحفاظ للذهبى، وتهذيب التهذيب لابن حجر، وميزان الأعتدال للذهبي وسير أعلام النبلاء له ايضاً، والفوائد البهية في تراجم الحنفية.

وانظر ترجمة أبو حنيفة في كتب التراجم والتاريخ.

الأوزاعية

تنسب هذه الفرقة إلى عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي، نسبة إلى محلة الأوزاع بدمشق [1].

وكان الأوزاعي قد ذاع صيته في محيط الشام في النصف الأول من القرن الثاني الهجري.

وفترة بروز الأوزاعي كانت فترة التابعين، وقد عاصر الكثيرين منهم، وحدّث عنهم، مثل عطاء بن رباح ومكحول والزهري ومحمد بن سيرين ونافع مولى ابن عمر وغيرهم.

وقد استطاع أن يكوّن لنفسه فرقة ومذهباً مستقلا ساد الشام لفترة من الزمن ثم اندثر [2].

---

[1] انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج٧ ترجمة رقم ٤٨ ط بيروت.

وأنظر تهذيب التهذيب لابن حجر ج٦ ترجمة رقم ٤٨٤ ط الهند.

والبداية والنهاية لابن كثير ج١٠ أحداث عام ١٥٧ هـ وطبقات ابن سعد ج٧ ترجمة رقم ٣٩٨٧. وانظر ابن عساكر وحلية الأولياء وسميت الأوزاع لكونها قد سكنت من قبل قبائل عربية شتى.

[2] سادت فرقة الأوزاعية الأندلس لفترة أيضاً ثم غلبت عليها فرقة المالكية انظر ابن حجر تهذيب التهذيب. وانظر تاريخ الإسلام للذهبي حوادث عام ١٤١: ١٦٠هـ تراجم الطبقة: ١٦، حرف العين، ط بيروت.

ويمكن تركيز أفكار ومعتقدات الأوزاعي فيما يلي:

- ان الله تعالى فوق عرشه.
- الإيمان بصفات الله التي وردت في السنة.
- العلم ما جاء عن أصحاب الرسول ﷺ فقط.
- الاعتماد على النقل والرواية في الفتيا.
- علامة الإيمان حب علي وعثمان.
- لزوم الجماعة ولزوم السنة.

ولم يترك الأوزاعي تصانيف أو كتب،وقيل ان كتبه احترقت في حادثة الرجفة [1].

وكان الأوزاعي قد قال في أبي حنيفة: إنّا لا ننقم على أبي حنيفة أنه رأى، كلنا نرى، ولكننا ننقم عليه أنه رأى الشيء عن النبي ﷺ فخالفه [2].

---

[1] هي زلزلة عظيمة وقعت بالشام والقدس خاصة عام ١٣٠هـ

[2] تاريخ الإسلام للذهبي المرجع السابق ص٤٩٢.

المالكية:

تنسب هذه الفرقة لمالك بن أنس، وكـان موطنهـا مدينـة الرسـولﷺ التي برزت فيها في حدود القرن الثاني الهجري.

وقد اشتهر مالك وذاع صيته، وجذبت فرقته المسلمين فى كـل مكـان، وسلطت عليها الأضواء حتى قيل أن الرسول ﷺ تنبأ وبشر به.

وما يميز هذه الفرقة تركيزها على الروايـة وتبنيهـا عمـل أهـل المدينـة كمصدر من مصادر الفقة والاجتهـاد، واتخاذهـا هـذا الـنهج كـان محاولـة للتحصن من الفرق الكلامية والفكرية والثقافية التي برزت في عصر مالك.

من هنا يمكن القول أن أفكار هذه الفرقة التي تسلحت بها في مواجهة الفرق الأخرى هي ما يلي:

- الإيمان يزيد والتوقف في القول بنقصانه.
- القرآن كلام الله لا مخلوق.
- مرتكب الكبيرة والذنوب عموماً مؤمن.
- أقوال الصحابة وفتاواهم من السنة.
- القول بطهارة الكلب.
- جواز قصر الصلاة في سفر المعصية.
- عدم جواز إقامة الجمعة إلاّ في الجامع.

ـ من أكل أو شرب ناسياً في رمضان أفطر ويجب عليه القضاء.

ـ أنكحة الكفار باطلة.

ـ أقصى مدة للحمل خمس سنين.

وغير هذه الأفكار كثيرة، وهي متناثرة في كتب الفرقة المالكية التي دونت في حياة مالك وهي من تصنيفه والتي دونت من قبل تلاميذه ورموز الفرقة من بعده [1].

وتنتشر الفرقة المالكية في بلاد الحجاز والخليج ومصر وبلاد المغرب.

[1] كان الشافعي من تلاميذ مالك. ومن أشهر المالكية عبدالله بن وهب الفهري، له الموطأ الكبير والموطأ الصغير وغيرهما وأشهب بن عبدالعزيز التيمي صاحب المدونة في فقه مالك. وابن الماجشون عبدالملك ابن عبدالعزيز التيمي وهو من الفقهاء البارزين في دائرة الفرقة. توفي ابن وهب عام ١٩٩هـ وأشهب عام ٢٠٤هـ وابن الماجشون عام ٢١٢هـ انظر طبقات الفقهاء وسيرة مالك في كتب التاريخ والتراجم.

الشافعية:

برز محمد بن إدريس الشافعي في حياة مالك رافعاً لواء التجديد والتوفيق بين فرقة الأحناف أصحاب الرأي وفرقة المالكية أصحاب الحديث، واستقطب كثير من المسلمين إلى فرقته وخطف الأضواء من الفرق الأخرى.

وقد تجاوزت الأفكار التي طرحها الشافعي وفرقته حدود الفقة والعقيدة والسنة لتدخل في الإمامة والسياسة والأدب والفكر الإسلامي.

ومن أهم أفكار الشافعية:

- نبذ علم الكلام.
- القرآن كلام الله قديم غير مخلوق.
- الأحاديث حجة بعد القرآن.
- الجمع بين فقه الرأي وفقه الحديث.
- تقنين الفقة وأصوله.
- الإمامة في قريش.
- جواز تخصيص القرآن بالسنة.
- الالتزام بالقياس ورفض الاجتهاد بالرأي.
- القول بطهارة المني.
- جواز دخول المشركين المساجد إلاّ المسجد الحرام.

ـ جواز تقديم العصر على الظهر في الجمع بين الصلاتين.

ـ عدم جواز الصلاة على الشهيد.

ـ وجوب الزكاة على الطفل.

ـ المرتد لا يبطل اعتكافه.

ـ جواز نكاح الرجل ابنته من الزنا.

ـ النكاح الفاسد يحلل الزوجة المطلقة ثلاثاً.

ـ جواز أن يطلق السلطان عن الزوج.

ـ يجوز أكل الذبيحة التي لم يسم عليها عمداً.

ـ الغناء ليس حراماً ولا يفسق فاعله ولا ترد شهادته.

ولقد قدر للفرقة الشافعية أن تكون أكثر الفرق انتشاراً في عالم المسلمين في المشرق والمغرب في بلاد المسلمين وغير المسلمين مثل الهند وأوروبا.

ونظراً لهذا الوضع فقد واجه الشافعي وفرقته عداوات كثيرة من الفرق الأخرى ودبرت المؤامرات له ولفرقته [1] .

---

[1] من أشهر أتباع الشافعية فى مكة: أبو بكر الحميري المحدث الفقيه وابن أبى الجارود الفقيه، وفى بغداد أبو على الكرابيس وأبو ثور الكلبى وأحمد بن حنبل واسحاق بن راهوية استاذ البخاري، وفى مصر: حرملة بن يحيى وإسماعيل بن يحيى المزنى صاحب المصنفات الكثيرة في الشافعية.

أنظر تراجم هؤلاء وغيرهم في كتاب توالي التأسيس لابن حجر. وانظر طبقات الفقهاء. وطبقات الشافعية للسبكي. وانظر ترجمة الشافعي في كتب التاريخ والتراجم.

الحنابلة:

قام بتأسيس هذه الفرقة أحمد بن حنبل الشيباني في بغداد في النصف الأول من القرن الثالث الهجري وكانت اهتماماته تتجه نحو الحديث وفتاوى الصحابة وآرائهم ولم يكن يميل إلى الاجتهاد برأيه.

وتعد فرقة الحنابلة أول من زرع بذور الشقاق والتطرف والخصومة في واقع المسلمين بسبب تعصبها الشديد وانغلاقها على الحديث والمأثور فمن ثم كان الرأي والاجتهاد يمثّل استفزازاً كبيراً لها.

وقد اشتهرت فتن الحنابلة واعتداءاتهم على خصومهم من الفرق الأخرى واكتظت كتب التاريخ بحوادثهم.

وكان أحمد بن حنبل واحداً من تلاميذ الشافعي، وكان ميله الشديد نحو الحديث وتتبعه من رواته وحفظته قدأدى بالشافعي إلى أن يقر بتفوقه في هذا المجال الذي أثمر في النهاية عن كتابه المسند الذي جمع فيه الأحاديث التي رواها وتلقاها من مصادر طوال حياته وهى تصل إلى حوالي أربعين ألف حديث.

ويعد المسند هو المرجع الأول عند فرقة الحنابلة.

ـ نماذج من الأفكار الحنبلية:

ـ الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص.

ـ مرتكب الكبيرة أمره مفوض إلى الله.

ـ محاربة الجدل ونبذ علم الكلام وأهله.

ـ الإيمان بصفات الله كما وردت في القرآن والأحاديث.

ـ القرآن غير مخلوق.

ـ رؤية الله تعالى يوم القيامة.

ـ لا يجوز الخروج على الحاكم ولو كان ظالماً فاسقاً.

ـ عدالة جميع الصحابة.

ـ الخير والشر من قضاء الله وقدره.

ـ الخلافة في قريش.

ـ الجهاد ماض قائم مع الإمام براً كان أو فاجراً وكذلك الجمعة والحج والعيدان.

ـ دفع الصدقات والفيء والخراج والغنائم إلى الأمراء عدلوا فيها أو جاروا.

ـ عدم جواز الصلاة خلف أهل البدع أو الصلاة على من مات منهم.

ـ كفر تارك الصلاة وعدم جواز الصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين.

ومثل هذه الأفكار وغيرها مما تكتظ به كتب الحنابلة قد أتت بنتائج عكسية طوقت فرقة الحنابلة وجعلتها من أقل فرق أهل السنة شأناً وانتشاراً في بقاع المسلمين، وإن كان بروز الفرقة الوهابية وسيطرتها على جزيرة العرب قد جعل هذه الفرقة تسودها وتخترق بها بقاع أخرى كثيرة بفضل النفط.

وقد اختلف المؤرخون والفقهاء في أمر الحنابلة وتصنيفهم هل هي

فرقة حديث أم فرقة فقه؟

والحق أنها فرقة حديث وفقه وعقائد شاذة لا زالت تلقى بظلالها على واقع المسلمين وتسهم في تأصيل الخلاف والتطرف.

ومن أشهر الحنابلة صالح بن أحمد بن حنبل وأخيه عبد الله، وكلاهما نقل فقه أبيهما وعقائده وأفكاره إلى الناس، وعبد الله هو الذي روى المسند وتممه عن أبيه وتوفي عام ٢٩٠ هـ

وأحمد بن الحجاج المروزي وهو الذي نقل كتاب الورع عن ابن حنبل وكان من خواصه، توفي عام ٢٧٥ هـ

وأحمد بن هارون أبو بكر الخلال وهو الذي قام بجمع فقه ابن حنبل وتوفي عام ٣١١ هـ [١].

[١] أنظر المناقب لابن الجوزي. وكتب التراجم والتاريخ.

الأشاعرة:

تنسب هذه الفرقة إلى أبى الحسن الأشعري الذي كان من أتباع فرقة المعتزلة ثم انشق عنها وقام بطرح أفكاره الجديدة التي قامت على أساسها فرقة الأشاعرة وهي أفكار تتعلق بالاعتقاد، وأما ما يتعلق بالفقة فقد التزم فيه بفرقة الشافعي.

وجاء الأشعري بأفكاره هذه من أجل التوفيق بين العقل والنقل، أي بين الفرق التي أسرفت في الاعتماد على أحاديث وأقوال الصحابة والتابعين والفرق التي أسرفت في استخدام العقل إلاّ أنه مال أكثر لأهل السنة.

ويمكن تحديد أفكار الأشعري التي تميز بها فيما يلي:

ـ كلام الله قديم بمعانية حادث بألفاظه.

ـ الإيمان بصفات الله بلا تشبيه ولا تكييف.

ـ صفات الله حقيقة لا مجاز.

ـ الله سبحانه وتعالى فوق السموات على عرشه دون أرضه.

ـ المؤمنون يرون ربّهم يوم القيامة.

ـ الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ويفعل ما يشاء.

ـ إن الله قسم خلقه فرقتين: فرقة خلقهم للجنة وفرقة خلقهم للسعير.

ـ الإيمان يزيد وينقص.

ـ الكبيرة لا تخرج عن الإيمان.

ـ عذاب القبر حق.

ـ شفاعة النبي لأهل الكبائر من أمته.

ـ السمع والطاعة لأئمة المسلمين عن رضى أو غلبة جاروا أو عدلوا يغزوا معهم ويحجوا معهم ويدفعون لهم الصدقات.

ـ الكف عن ذكر الصحابة بسوء.

ـ ذم أهل البدع والتبري منهم.

ـ عدم جواز الخروج عن أقوال السلف فيما اجتمعوا عليه.

ـ العقل يميّز بين الخير والشر وفق أحكام الشرع.

ـ الإنسان يريد الفعل باختياره والله ينفذه له.

ولقد كانت فرقة الأشاعرة أكثر حظاً من فرق أخرى كثيرة إذ تبنتها الدولة الأيوبية ثم المملوكية من بعدها وفرضتها على مصر والشام لتأخذ دفعة قوية نحو الانتشار والبقاء في واقع المسلمين حتى يومنا هذا [١] .

ومن أبرز أئمة هذه الفرقة:

القاضي أبو بكر الباقلاني (٣٢٨ / ٤٠٣هـ) وهو من كبار علماء الكلام،

---

[١] اعتبرت الأشاعرة الجناح الأيمن لأهل السنة بينما اعتبرت فرقة الماتريدية الجناح الأيسر وهي تدرّس في المدارس حتى اليوم. ويذكر أن صلاح الدين فرض الأشاعرة على الشام ومصر بالقوة واعتبر الخارج عن معتقداتها في دائرة الزائغ المتزندق وعقوبته الموت، وهذا الحكم كان موجهاً لاتباع الفرق والاتجاهات الأخرى.

وقام بتنقيح طرح الأشعري، له الكثير من المصنفات منها: دقائق الكلام، إعجاز القرآن، الاستبصار، كشف أسرار الباطنية، الملل والنحل.

وأبو حامد الغزالي (٤٥٠ / ٥٠٥هـ).

وأبو اسحاق الأسفراييني المتوفى عام ٤١٨هـ له كتاب كبير في علم الكلام أسماه الجامع في أصول الدين والرد على الملحدين.

وأبو المعالي الجويني (٤١٩ / ٤٧٨هـ) له كتاب غياث الأمم في التياث الظلم.

الفخر الرازي (٥٤٤ / ٦٠٦هـ) له أساس التقديس في علم الكلام، والبيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والضلال بالإضافة إلى تفسيره الشهير للقرآن.

الماتريدية:

وهي فرقة تنسب لأبي منصور محمد الماتريدي السمرقندي، وقد برز بفرقته في بلاد ما وراء النهر في ظل حكم يدين بالولاء لأهل السنة وفي ظل واقع تسوده فرقة الأحناف، فمن ثم أخذ الماتريدي في التركيز على الجانب العقائدي تاركاً أمور الفقة لفرقة الأحناف التي كان ينتمي إليها.

وقد دخل الماتريدي في صدامات مع الفرق الأخرى من فرق أهل السنة وغيرهم، وصنف الكثير من الكتب والردود.

ولم يبرز الماتريدي بأفكار جوهرية تميّزه عن فرقة الأشاعرة أو الحنابلة في مجال الإعتقاد إلاّ أن أفكاره أخذت قيمتها وسلطت عليها الأضواء لكونها برزت في ظل واقع كان خالياً ممن يزوّد عن اهل السنة ويبرز عقائدهم في مواجهة الفرق المتربصة بهم في منطقة الماتريدي.

إن هناك خلافات طفيفة بين الماتريدي والأشعري دفعت بالأشاعرة إلى الطعن في الماتريدي وفرقته.

وهذا ما دفع ببعض المتأخرين إلى اعتبار الأشاعرة والماتريدية هما جناحا أهل السنة، وإذا كان الأشعري قد برز للتوفيق بين أهل السنة (أهل الحديث) وأهل العقل (المعتزلة)، فإن الماتريدي برز للتوفيق بين الأشاعرة والمعتزلة حيث أن الأشاعرة لم يقدّروا العقل حق قدره

والمعتزلة لم يقدّروا الوحى حق قدره.

من هنا فإن الأفكارالتى برز بها الماتريدي تدورفى هذا المحيط، وهى تنحصر فيما يلى:

ـ العقل يستقبل بمعرفة الله لا معرفة الأحكام.

ـ صفات الله غير ذاته.

ـ كلام الله قديم غير مؤلف من حروف ولا كلمات حادثة، وهى تدل على المعنى.

ـ رؤية الله يوم القيامة اختص الله بكيفيتها وأحوالها.

ـ العقل يستطيع أن يدرك حسن بعض الأشياء وقبحها.

ـ أفعال الله تعالى تكون على مقتضى الحكمة.

ـ أفعال العباد مخلوقة ولا عقاب ولا ثواب إلاّ وللعبد اختيار فيما يستحق عليه الثواب وما يستحق عليه العقاب.

ومن سوء حظ فرقة الماتريدية أن الدول التى احتضنتها فى بلاد ما وراء النهر قد زالت مثل دولة السامانيون،وحلت محلها دول أخرى مما أثّر بالسلب على أفكار الفرقة وحصرها في دائرة موطنها وحال دون انتشارها فى بقاع أخرى [1] .

ومن أبرز رموز هذه الفرقة: أبو المعين النسفى (٤٣٨ / ٥٠٨هـ) له كتاب تبصره الأدلة، وهو المرجع الأساسي للفرقة، وله كتاب بحر الكلام. ونجم الدين عمر النسفى (٤٦٢ / ٥٣٧هـ) كان صاحب نشاط واسع

[1] سلّطت الأضواء بصورة أكثر على الأشاعرة كما أشرنا سابقاً.

وله الكثير من الاتباع، وصنف الكثير من الكتب التى تخدم خط الماتريدية، منها:

العقائد النسفية وهو يترجم عقائد الماتريدية.

مجمع العلوم، والنجاح في شرح كتاب أخبار الصحاح وهو في شرح البخاري.

الظاهرية:

لم يسترح داود بن علي الأصبهاني لفكرة الاجماع والقياس وسائر مصادر الفقة التي ابتدعها الشافعي الذي كان من أشد المتعصبين له والسائرين على نهجه فأعلن الخروج على فرقة الشافعية محدداً المصادر الشرعية في النصوص من الكتاب والسنة فقط رافضاً الاجتهاد والتقليد معتبراً أن حق المسلمين فهم الدين والتحدث بلسانه ما داموا يفهمون اللغة العربية.

من هنا أطلق على هذه الفرقة اسم الظاهرية لكونهم يأخذون بظاهر النصوص، وشنّت عليهم حرباً شعواء من فرقة الشافعية والفرق الأخرى التي اتهمتهم بالجهل وحرّضت عليهم الحكام كي لا يمنحوهم مناصب القضاء.

إلاّ أنه رغم هذا كله استطاعت الفرقة الظاهرية أن تثبت أقدامها في ساحة الفرق وتنتشر في أوساط المسلمين وتصبح منافساً قوياً للفرق الأخرى في عصرها.

وقد تمكنت الفرقة الظاهرية من الوصول إلى الأندلس حيث تلقفها هناك ابن حزم، وقوبلت الأفكار الظاهرية بمواجهة شديدة من قبل الفرقة

المالكية التى كانت سائدة فى الأندلس آنذاك.

وقام ابن حزم بدور كبير في نشر الأفكار الظاهرية في الأندلس ولاقى مقاومة شديدة من فقهاء المالكية واستمر على نهجه الظاهري حتى أصبح من رموز الفرقة الظاهرية، وصنف الكثير من الكتب فى هذا المجال ومجالات أخرى أدبية وفلسفية وعقائدية.

وكان من أمر خصومه أن سعوا لدى المعتضد حاكم أشبيلية، فصادر كتب ابن حزم وأحرقها علانية.

وما يمكن قوله حول فرقة الظاهرية أنها لم تستمر طويلا ولم تلق دعماً من أحد كما هو حال فرق أهل السنة السابق ذكرها فكتب عليها الاندثار لتصبح في ذمة التاريخ كما هو حال المرجئة والجبرية والقدرية وغيرها من الفرق التى تخلّى عنها الحكام وأصحاب النفوذ.

إلاّ أن تبنى ابن حزم لفرقة الظاهرية قد ساعد على نشرها فى بلاد الأندلس حيث أن نشاطه ومصنفاته الكثيرة قد أحرج بها خصومه وفرض الظاهرية على ساحة الواقع.

خلاصة أفكار ابن حزم:

- لم يرتّب القرآن أحد إلاّ رسول الله ﷺ كما هو عن الله تعالى [1].
- زيادة القبور فرض.

---

[1] هذا القول يناقض أقوال فرق السنة الأخرى وما عليه الإجماع عند أهل السنة من أن رسول الله ﷺ مات وترك القرآن غير مجموع. وقول ابن حزم هذا تقول به الشيعة. انظر باب فضل القرآن في البخاري. وانظر لنا دفاع عن القرآن ضد الفقهاء والمحدّثين.

ـ اللهو مباح.

ـ لا يجرى عمل في الدين إلاّ بسنة [1] .

ـ لم يكن لرسول الله ﷺ وصي قط، لا علي ولا غيره [2] .

ـ لا يكره تقبيل اليد والرجل من السلطان.

ـ لعن الكافر قربة إلى الله،وكذلك السارق،ولا يحل لعن شارب الخمر، ولكن يدعى له بالتوبة.

ـ الجهاد أفضل الاعمال بعد الفرائض.

ـ لا يرد على أهل الذمة ـ السلام ـ إلاّ "وعليك".

ـ المقتتلان لغرض الدنيا في النار.

ـ الإسراء بالرسولﷺ بجسده وروحه.

ـ أهل التأويل وأهل الجهل ليسوا كفاراً [3] .

---

[1] هذا القول يبيّن وجهة ابن حزم التي تأخذ بظاهر النص والتعصب للروايات وعدم الاجتهاد.

[2] هذا الكلام موجّه إلى الشيعة الذين يقولون بأن الرسول ﷺ أوصى لعلي بالإمامة من بعده. وهو موجه إلى أهل السنة أيضاً الذين يقولون بأن الرسول ﷺ أوصى لأبي بكر بالخلافة من بعده.

[3] يرد ابن حزم هنا على فرق أهل السنة الأخرى التي تقول بكفر من خالفهم في الاعتقاد وكفر تارك الصلاة وكفر المعتزلة والجهمية والشيعة الذين يتبنّون نهج التأويل في مواجهة صفات الله الواردة في القرآن، وتبنى هذا النهج يعني رفض الروايات الواردة في كتب السنن حول صفات الله أو التشكيك فيها وتأويلها إذ أن هذه الروايات قادت فرق أهل السنة إلى القول بأن صفات الله حقيقة لا مجازاً كما يقول أهل التأويل.

ـ القرآن ليس مخلوقاً.

ـ بقاء الجنة والنار.

ـ عذاب القبر حقيقة.

ابن تيمية:

كان ابن تيمية من اتباع الفرقة الحنبلية، ثم برز ببعض الأفكار الشاذّة التي ألّبت عليه الفرق الأخرى ودفعت بالحنابلة إلى التبرأ منه.

وقد عاصر ابن تيمية فترة الحكم المملوكي في مصر والشام، وذلك في النصف الثاني من القرن السادس الهجري إلى النصف الأول من القرن السابع.

وشغل ابن تيمية وفرقته بخصومهم من الفرق الأخرى، واشتعلت الحرب بينهم وقام فقهاء الفرق الأخرى ـ خاصة رموز الفرق الصوفية التي كان يركز العداء عليها ابن تيمية وفرقته ـ بتحريض حكام المماليك عليه فقبض عليه وحوكم من قبل الفقهاء وحبس حتى مات في الحبس.

وحاول تلميذ ابن تيمية ابن القيم الجوزية ومعه ابن كثير الدمشقي إحياء أفكار ابن تيمية وفرقته بعد موته فقبض عليهما.

أما أفكار ابن تيمية التي أثارت الفرق الأخرى عليه وأدت إلى محاكمته وحبسه فهي:

ـ القول بالتجسيم.

ـ القول بنفي المجاز في اللغة والدين.

ـ رفض المنطق والفلسفة وعلم الكلام.

ـ الطعن في الخصوم وتشويههم.

ـ مقاومة الفرق الصوفية والأشاعرة والمعتزلة والشيعة.

ـ تحريم شد الرحال إلى مسجد الرسولﷺ .

ـ القول بفناء النار.

ولم يكتب لفرقة ابن تيمية وأفكاره البقاء والاستمرار والانتشار لا في حياته ولا بعد موته حتى جاءت الفرقة الوهابية، فبعثتها من جديد ولقّبت ابن تيمية بلقب لم يحصل عليه في عصره وهو لقب شيخ الإسلام.

وقد سار على نهج ابن تيمية من بعده تلميذه ابن القيم الجوزية الذي قام بنظم عقائد ابن تيمية في نونيته [١] .

وصنّف كثير من المصنفات، إلاّ أنه في آخر حياته مال إلى الزهد والرقائق وسار على نهجه أيضاً ابن كثير الدمشقي صاحب تفسير القرآن العظيم وكتاب البداية والنهاية في التاريخ [٢] .

---

[١] وهي قصيدة تنتهي أبياتها بحرف النون وقد ردّ عليه السبكي الكبير بكتاب السيف الصقيل في الردّ على ابن زفيل الزرعي المعروف بابن القيم. توفي السبكي عام ٧٥٦هـ وتوفي ابن القيم ٧٥١هـ

[٢] توفي ابن كثير عام ٧٧٤هـ وكلاهما نالا من فرق أهل السنة الأخرى ونالوا منهما.

فرق الرواة

مثلما كثرت فرق أهل السنة في مجال الفقة والاعتقاد، تكاثرت أيضاً في مجال الحديث والروايات حتى أنها غلبت على الفرق الأخرى.

ولقد لعبت السياسية دوراً فاعلا في دعم الفرق وتصفية خصومها من أهل العقل والفكر والرأي وحتى أصحاب الأحاديث والروايات التي لا تخدم الخط السائد.

من هنا أخذت فرق الرواة مكانة كبيرة ودخلت دائرة القداسة وسادت على الفرق الأخرى، مما دفعها إلى الاعتقاد بحصر الفرقة الناجية في دائرتها [1].

ويلاحظ أن زمن بروز هذه الفرق زمناً واحداً والاختلافات السائدة بينها تكاد تكون خلافات وهمية تدور حول ترتيب الروايات وتبويبها والحكم على رجالها.

هناك فرق شككت في عدد من الرواة وجرحتهم، وبالتالي رفضت قبول رواياتهم.

وهناك فرق قبلت هؤلاء الرواة وعدلتهم، وبالتالي اعتمدت رواياتهم.

---

[1] وهذا ما دفع بكثير من الفرق المعاصرة إلى الاتجاه نحو الرواية والتركيز عليها.

وهناك فرق برزت في مواطن تعصبت لها ودعمتها.

وهناك فرق برزت في مواطن أخرى تعصبت لها ودعمتها [1] .

أن هناك ثلاثة عوامل ساهمت في دعم فرق الرواة وانتشارها تمثّلت فيما يلي:

- الحكام.
- الفقهاء.
- المكان.

وهذه العوامل الثلاثة أسهمت في سيادة فرق على حساب فرق أخرى، وعلى رأس هذه الفرق فرقة البخاري وفرقة مسلم.

---

[1] ركز أهل خراسان على فرقة البخاري وفرقة مسلم، بينما ركز أهل العراق ومصر والمغرب على فرقة أبي داود.

فرقة البخاري:

وهي تنسب إلى محمد بن إسماعيل البخاري، وتعد فرقته من أشهر فرق الرواة، وقد قدّمها الفقهاء على جميع فرق الرواة الأخرى واعتبروا الأحاديث التي جمعها البخاري أصح الأحاديث وكتابه أصح الكتب بعد كتاب الله جل جلاله.

وكان البخاري كثير السفر والتجوّل من أجل جمع الروايات، فرحل إلى مصر والشام وخراسان والبصرة والحجاز والجزيرة بحثاً عن الحديث والمحدثين [1].

قال ابن حجر: لما رأى البخاري هذه التصانيف ـ أي تصانيف من سبقوه في عالم الرواية كابن حنبل وإسحاق بن راهويه وعثمان بن أبي شيبة ـ ورواها وانتشق رياها واستجلى محياها وجدها بحسب الوضع جامعة بين ما يدخل تحت التصحيح والتحسين والكثير منها يشمله التضعيف فلا يقال لغثة ثمين، فحرك همته لجمع الحديث الصحيح الذي لا يرتاب فيه أمين، وقوى عزمه على ذلك ما سمعه من أستاذه اسحاق بن راهويه [2].

---

[1] انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج٣ / ٣٣١، وانظر تذكرة الحفاظ للذهبي ج١.

[2] أنظر مقدمة فتح الباري شرح البخاري لابن حجر العسقلاني.

وروى عن البخاري قوله: رأيت النبي وكأنني واقف بين يديه وبيدي مروحة أذب بها عنه، فسألت بعض المعبرين فقال لي: أنت تذب عنه الكذب. فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح [١].

وروى عنه قوله: لم أخرج في هذا الكتاب إلاّ صحيحاً، وما تركت من الصحيح أكثر [٢].

وقد وجهت للبخاري الكثير من الطعون من فرق الرواة الأخرى ورموزها على رأسهم الدارقطني رد عليها أتباع فرقته [٣].

واشتهر البخاري بعدد من الفتاوى الشاذة التي أثارت القوم عليه، منها فتوى بوقوع التحريم من لبن الحيوان، أي من رضاع أثنين من لبن شاة أو بقرة سوياً، فإنه يقع عليهما التحريم إن كانا ذكر وأنثى وسائر أحكام الرضاع [٤].

---

[١] المرجع السابق.

[٢] المرجع السابق.

[٣] المرجع السابق. وهذه المقدمة وضعها ابن حجر للدفاع عن البخاري ضد الطعون الموجهة إليه. وانظر شرح القسطلاني على البخاري. ويروى أن البخاري قدم نيسابور عام ٢٥٠هـ فأقبل عليه الناس ليسمعوه وسئل عن اللفظ بالقرآن فقال: أفعالنا مخلوقة وألفاظنا من أفعالنا. وهو ما يخالف اتجاه الفرق الأخرى من أهل السنة الذين اتهموه بالابتداع ومنعوا عنه الناس وفرّ من نيسابور خوفاً على نفسه. انظر ارشاد الساري ج٢/٢٠٣.

[٤] المعروف أن الحرمة بسبب الرضاع تقع حين يتم الرضاع من إمرأة ولا يعقل أن يرتبط التحريم بالبهائم.

ومنها فتوى بعدم وجوب الغسل على من يجامع ولم ينزل [1] .

وفتوى بعدم جواز استتار المرأة عن الضيف [2] .

وروى ابن حجر أن البخاري مات ولم يتم كتابه [3] .

وروى عن البخاري قوله: رب حديث سمعته بالبصرة كتبته بالشام، ورب حديث سمعته بالشام كتبته بمصر، فقيل له يا أبا عبد الله، بكماله؟ فسكت [4] .

---

[1] انظر الكفاية في شرح الهداية في الفقه الحنبلي.

[2] المرجع السابق. وانظر تذكرة الحفاظ ووفيات الأعيان.

[3] مقدمة فتح الباري.

[4] أنظر تاريخ بغداد للخطيب ج١١/٢، وانظر إرشاد الساري ج٢٠١/٢، توفي البخاري عام ٢٥٦هـ

فرقة مسلم:

وتنسب هذه الفرقة إلى مسلم بن الحجاج القشيري الذي اختلف مع البخاري وسلك سبلا مختلفة عنه في جمع الروايات [1].

وقد عدّ الفقهاء فرقة مسلم في المرتبة الثانية بعد فرقة البخاري، وقدّمه آخرون على البخاري، وطعن فيه آخرون [2].

وقال مسلم عن كتابه الذي صنفه في الحديث: ليس كل شيء صحيح عندي وضعته ههنا، وإنما وضعت ههنا ما أجمعوا عليه [3].

وعلّق النووي على قوله هذا في شرحه لكتاب مسلم قائلا: أما قول مسلم فمشكل فقد وضع فيه أحاديث كثيرة مختلفاً في صحتها لكونها من

---

[1] كان مسلم لا يروي بالمعنى كما هو حال البخاري، وتجنب نقل أقوال الصحابة وإضافتها إلى الأحاديث المنسوبة إلى النبي ﷺ ويبوّب الأحاديث على أساس الأحكام مما يضطره إلى تقطيع الحديث الواحد وتفريقه في عدة أبواب لكونه يحمل عدّة أحكام. وتبنى مسلم الكثير من الأحاديث التى رفضها البخاري على رأسها أحاديث أئمة آل البيت عليهم السلام .

[2] انظر مقدمة المنهاج فى شرح مسلم بن الحجاج النووي المعروف بشرح النووي على مسلم. وانظر مقدمة ابن الصلاح. وقد بلغت الأحاديث التى أخذوها على مسلم وانتقد بسببها (١٣٢) حديثاً. وانتقد من رواته أكثر من مائة راو. انظر كتب الجرح والتعديل.

[3] مقدمة شرح النووي على مسلم.

حديث ممن اختلفوا في صحة حديثه [1] .

وصنّف مسلم الكثير من الكتب الأخرى في مجال الحديث وغيره منها:

كتاب أولاد الصحابة.

وكتاب أوهام المحدثين.

وكتاب سؤالات أحمد بن حنبل.

وكتاب العلل.

وكتاب الأسماء والكنى.

وكتاب الانتفاع بإهب السباع [2] .

---

[1] انظر تذكرة الحفاظ للذهبى ج٢ ترجمة مسلم بن الحجاج. وقد ضم مسلم فى كتابه أربعة آلاف حديث دون المكرر.

[2] انظر مقدمة النووي وتذكرة الحفاظ، توفي مسلم عام ٢٦١هـ

فرقة أبي داود:

وهي فرقة تنسب إلى سليمان بن الأشعث الأزدي المعروف بأبي داود، وقد قام بجمع الأحاديث التي تركز على الفقه ليتميز على البخاري ومسلم.

قال ابن القيم عن كتاب أبي داود: كتاب السنن لأبي داود من الإسلام بالموضع الذي خصّه الله تعالى به بحيث صار حكماً بين أهل الإسلام، و فصلا في موارد النزاع والخصام، فإليه يتحاكم المنصفون، وبحكمه يرضى المحققون، فإنه جمع شمل أحاديث الأحكام ورتبها أحسن ترتيب ونظمها أحسن نظام، مع انتقائها أحسن انتقاء، وإطراحه منها أحاديث المجروحين الضعفاء [1] .

وقال أبو داود: ذكرت في كتابي الصحيح وما يشبهه وما يقاربه، وما كان فيه وهن شديد بينته [2] .

وقد جمع أبو داود في كتابه أربعة آلاف وثمانمائة حديث [3] .

وقال الخطابي: كتاب السنن لأبي داود كتاب شريف لم يصنف في علم

---

[1] انظر مقدمة سنن أبي داود.

[2] انظر تذكرة الحفاظ ج٢ ترجمة رقم ٦١٥.

[3] المرجع السابق وانظر مقدمة أبي داود.

الدين كتاب مثله [1].

واعتبر بعض الفقهاءأن أباداود تفوّق على البخاري ومسلم في تـصنيف الحديث [2].

قال ابن العماد: كان رأساً في الحديث، رأساً في الفقه [3].

وقـال إبـراهيم الحربـي: ألـين لأبـي داود الحـديث كمـا ألـين لـداود الحديد [4].

وكان أبو داود قد طاف البلاد بحثاً عن الحديث وكتب عـن العـراقيين والخراسانيين والشاميين والمصريين والجزريين [5].

---

[1] مقدمة أبي داود وانظر تذكرة الحفاظ.. وقال الخطابي أيضاً: هو أحسن وضعاً وأكثر فقهاً من البخاري ومسلم. انظر كتب الجرح والتعديل ووفيات الأعيان لابن خلكان.

[2] انظر المراجع السابقة.

[3] شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج٢، أخبار عام ٢٧٥هـ

[4] انظر المرجع السابق وما سبقه من المراجع.

[5] المراجع السابقة، توفي أبي داود عام ٢٧٥هـ

فرقة الترمذي:

وهي تنسب إلى محمد بن عيسى الترمذي الذي قام بجمع الأحاديث بطريقة مختلفة عن فرق الرواة الأخرى [1].

ويعدّ الترمذي أول من قام بتقسيم الأحاديث وتصنيفها وابتداع أقسام الحديث الثلاثة صحيح وحسن وضعيف، وقد كانت الفرق الأخرى تقسم الحديث إلى قسمين فقط هما: صحيح وغير صحيح [2].

وكان الترمذي قد تتلمذ على يد البخاري، وقال عنه ابن حبان: كان ممن جمع وصنّف وحفظ وذاكر [3].

وقال الترمذي: صنفت هذا الكتاب ـ أي كتابه الجامع للأحاديث ـ فعرضته على علماء الحجاز والعراق وخراسان فرضوا به، ومن كان في

---

[1] قال الهروي (٣٩٦ ـ ٤٨١هـ) عن كتاب الترمذي: كتابه عندي أنفع من كتاب البخاري ومسلم، وقال طاش زاده في مفتاح السعادة: كتابه الصحيح أحسن الكتب وأكثرها فائدة وأحسنها ترتيباً، وقال ابن الأثير في تاريخه: في سنن الترمذي ما ليس في غيرها من ذكر المذاهب ووجوه الاستدلال وتبيين أنواع الحديث من الصحيح والحسن والغريب.. انظر مقدمة سنن الترمذي تحقيق أحمد شاكر.

[2] انظر شرح علل الترمذي لابن رجب. وانظر اختصاراً علوم الحديث لابن الأثير. وانظر تذكرة الحفاظ ج٢ ترجمة رقم ٦٥٨.

[3] انظر تذكرة الحفاظ وتاريخ ابن الأثير ومقدمة أحمد شاكر.

بيته هذا الكتاب فكأنّما في بيته نبي يتكلم [1] .

وللترمذي عدة مصنفات منها:

الشمائل.

الأسماء والكنى.

الزهد[2] .

---

[1] تذكرة الحفاظ. وانظر وفيات الأعيان. ومقدمة أحمد شاكر.

[2] انظر المراجع السابقة.

وقد ذكر ابن الأثير وابن رجب وغيرهما أن الترمذي جمع الكثير من الأحاديث المنكرة. انظر اختصار علوم الحديث وعلل الترمذي، توفي الترمذي عام ٢٧٩هـ

فرقة النسائي:

وتنسب إلى أحمد بن شعيب النسائي صاحب السنن، زكاه كثير من الفقهاء غير أنهم تحفّظوا تجاهه فيما يتعلق بمواقفه من بعض الروايات الخاصة بفضائل الصحابة، وقد اتهم بالميل نحو التشيع لآل البيت عليهم السلام [1].

وكان النسائي قد طاف كثير من البلاد، ثم استقر بمصر ليصبح أمام الحديث فيها.

قال ابن العماد نقلا عن الحاكم: النسائي أفقه مشايخ مصر في عصره وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار وأعرفهم بالرجال [2].

وقال الذهبي: هو أحفظ من مسلم [3].

وروى أن النسائي خرج من مصر إلى دمشق في آخر عمره، فسئل بها عن معاوية وما جاء من فضائله؟

فقال: ألا يرضى رأساً برأس حتى يفضل؟

---

[1] انظر تذكرة الحفاظ ج٢ ترجمة رقم ٧١٩. وانظر شذرات الذهب ج٢ أخبار عام ٣٠٣هـ وانظر وفيات الأعيان. وانظر اختصار علوم الحديث.

[2] شذرات الذهب.

[3] المرجع السابق.

فما زالوا يدافعون في خصيبه حتى أخرج من المسجد، ثـم حمـل إلـى مكة، فتوفى بها [1].

وسبب هذه الحادثة أن النسائي صنف كتاباً في خصائص الإمام علـي، فأنكر عليه القوم ذلك بتركه تصنيف فضائل الشيخين [2].

وهناك الكثير من فرق الرواة الأخرى التـي لـم تحـظ بالـشهرة الكافيـة والتقدير الكافي من أهل السنة.

وعلى رأس هذه الفرق فرقـة ابـن ماجـة القزوينـي التـي عـدّها الـبعض سادس فرق الرواة بينما قدّم عليها البعض فرقة الدارمي.

قال النووي: الصواب أنه لم يفت الخمسة ـ البخاري ومسلم وأبـو داود والترمذي والنسائي ـ إلاّ اليسير [3].

وقـال ابـن خلـدون: وهـذه هـي المـسانيد المـشهورة فـي الملـة، وهـي أمهات كتب الحديث في الـسنة، وإنهـا إن تعـددت ترجـع إلـى هـذه فـي الأغلب [4].

وبالإضافة إلى فرقة ابن ماجة والدارمي هناك فرق الطبراني

---

[1] انظر المراجع السابقة. وهناك روايات اخرى حول هذه الحادثة، منها أنه قيل له ألا تخرج فضائل معاوية؟ فقال: أي شيء أخرج؟ حديث اللهم لا تشبع بطنه. فسكت السائل.. والحديث المذكور رواه مسلم بلفظ مختلف، توفي النسائي عام ٣٠٣هـ

[2] كان ردّ النسائي على هذا الاتهام هو قوله: دخلت دمشق والمنحرف عن علي بها كثير فصنفت كتاب الخصائص رجوت أن يهديهم الله. انظر المراجع السابقة.

[3] انظر التقريب والتيسير في مختصر الارشاد.

[4] انظر المقدمة.

والدارقطني وابن حبان وابن خزيمة والبيهقي وابن أبي عاصم والحاكم [1] .

[1] ابن ماجة هو أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت ٢٧٣هـ
والدرامى هو أبو محمد عبد الله عبد الرحمن ابن الفضل التميمى السمرقندي ت ٢٥٥هـ
والطبرانى هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمى الشامى الطبرانى ت ٣٦٠هـ
والدارقطنى هو أبو الحسن على بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي ت ٣٨٥هـ
وابن حبان هو محمد بن حبان بن أحمد بن معاذ اليمنى البستى ت ٣٥٤هـ
وابن خزيمة هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمى النيسابوري ت ٣١١هـ
والبيهقى هو أبو بكر أحمد بن الحسن بن على بن موسى الخسروجردي ت ٤٥٨هـ
وابن أبى عاصم هو أبو بكر أحمد بن عمرو بن النبيل أبى عاصم الشيبانى قاضى أصبهان ت ٢٨٧هـ
والحاكم هو محمد بن أحمد بن إسحاق النيسابوري صاحب المستدرك على البخاري ومسلم ت ٣٧٨ هـ
انظر تذكرة الحفاظ. هذا بالإضافة إلى فرقة أبي عوانة ت٣١٦هـ والخوارزمي ت٤٣٥هـ وأبي يعلى ت٣٠٧هـ وابن أبي شيبة ت٢٣٥هـ والحميدي ت٢١٩هـ وغيرهم كثير.

فرق الحاضر

كان واقع المسلمين يعيش حالة من الاستقرار الفكري والحركي قبل ظهور الفرقة الوهابية حيث كانت تسوده الفرق التقليدية المعتدلة من المالكية والأحناف والشافعية والأشاعرة والماتريدية، ولم يكن لفرقة الحنابلة وجود يذكر.

غير أن ظهور الفرقة الوهابية أحيا الفرقة الحنبلية وفرقة ابن تيمية في آن واحد.

من هنا وجد المسلمون أنفسهم في مواجهة ثلاث فرق خطرة متطرفة زرعت بذور الشقاق والتخلّف بينهم.

إن المتتبع لحالة الفرقة والتعددية والخلاف والشقاق والتطرف السائد في واقع أهل السنة يجد أنها نبعت من الفرقة الوهابية أو تأثرت بها ولا يستثنى من ذلك إلاّ الفرق الصوفية وفرقة الأزاهرة على ما سوف نبين.

والفرق التي سوف نعرض في هذا الباب هي الفرق الكبرى البارزة في واقع أهل السنة اليوم، والتي ارتبطت بالواقع والأحداث وسلطت عليها الأضواء مستثنين الفرق الصغيرة التي تولدت منها، والتي يصعب حصرها لقلة أهميتها وتأثيرها.

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو:

كيف استطاعت الفرقة الوهابية أن تلعب هذا الدور المفسد في واقع

المسلمين، وتبذر بذورها في كل مكان من أنحاء العالم الإسلامي وتوجد هذه الفرق التي شوهت الإسلام وعانى منها المسلمون؟

والإجابة أن الفرقة الوهابية ظلت محصورة في محيط الجزيرة العربية لا تستطيع أن تتجاوزها حتى تفجر النفط وكثر المال فيها عندئذ توافرت الإمكانيات التي استطاعت الوهابية من خلالها أن تخترق المؤسسات الإسلامية وتستقطب رموز المسلمين في شتى بقاع العالم الإسلامي.

ولولا النفط لما استطاعت الوهابية أن تلعب هذا الدور، ولكان من الممكن أن تكون في ذمة التاريخ.

من خلال الفرقة الوهابية برزت فرقة أنصار السنة وفرقة الجهاد وفرقة القطبيون والجماعة الإسلامية في مصر.

وفرقة أهل الحديث وجند الصحابة والتبليغ والدعوة في الهند وباكستان وفرقة طالبان في أفغانستان.

والفرق السلفية التي انتشرت في كل مكان من بقاع العالم الإسلامي.

والفرق الجهادية التي تهدد أمن وسلامة المسلمين في كل مكان.

ومن أشهر رموز الوهابية المعاصرين ابن باز وابن عثيمين وابن سبيل وابن فوزان وأبو بكر الجزائري وغيرهم.

وهذه الرموز جميعها من الجزيرة العربية، وقد أصدرت الكثير من الكتابات والفتاوى التي تخدم الفرقة الوهابية.

الوهابية:

بـرزت الفرقـة الوهابيـة فـي الجزيـرة العربيـة علـى يـد محمـد بـن عبد الوهاب في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري.

وقد واجهت فرقته مقاومة شديدة من الأمراء والفقهاء والأشـراف فـي جزيرة العرب بسبب الأفكار والمعتقدات الشاذة التي تبنتها ونـادت بهـا إلاّ ان تحالف ابن سعود مع ابن عبد الوهاب ودعمه له مكنه مـن نـشر دعوتـه وفرضها على المسلمين في جزيرة العرب بقوة السيف.

ولم يأت ابن عبد الوهاب بشيء جديد سوى أنه قام بإحياء أفكار ابـن تيمية وبعثها من رقادها وفرضها بنصير هو ابن سعود تلك الفرصة التـي لـم تتح لابن تيمية الذي لم يجد دعماً ولا نصيراً.

وتتلخّص أفكار محمد بن عبد الوهاب فيما يلي:

ـ إنكار القبور والأضرحة ورفض زيارتهـا والتوسـل بأشخاصـها والبنـاء عليها وكسوتها وإنارتها وشد الرحال إليها.

ـ إنكار البدع كالاحتفال بالمناسبات الإسلامية مثـل الاحتفـال بالمولـد النبوي والتذكيرقبل الآذان والصلاة على الرسول بعد الآذان والتلفظ بالنية.

ـ توحيـد الأسـماء والـصفات، أي إثبـات أسـماء الله وصـفاته مـن غيـر تمثيل ولا تكييف.

ـ انكار الفرق الصوفية ومحاربتها.

ـ توحيد العبودية، أي نبذ النذور والحلف والنحر والاستغاثة حول القبور باعتبارها صورة من صور الشرك في منظوره.

وهذه الأفكار ورثتها الكثير من الفرق التي ظهرت بعد الفرقة الوهابية تحت تأثير البقعة المباركة أرض الرسول ﷺ ، وتأثير المد النفطي كما ذكرنا، وورثت عنها أيضاً هذه الفرق التطرف والغلو والتعصب واستباحة المخالفين من المسلمين.

فرقة الإخوان:

عندما اتجه عبد العزيز آل سعود نحو تحديث الدولة والحكم اصطدمت به مجموعات من القبائل الوهابية أطلق عليها قبائل الإخوان.

وكان الإخوان شديدي التعصب لنهج سلفهم من الوهابيين، واعتبروا حركة عبد العزيز نحو التحديث من عمل الشيطان فرفضوا استخدام الهواتف والسيارات.

ومما زاد الطين بلة في نظر هذه الفرقة هو إرسال عبدالعزيزولده سعود ليدرس في بلاد الشرك (مصر)، أي بلاد الأضرحة والقبور التي تعدّ أوثاناً في نظر الوهابيين، وكان أن أعلنت هذه الفرقة انشقاقها عن الفرقة الوهابية الأم الخاضعة للحكم ودخلت في مواجهة مع آل سعود انتهت بالقضاء عليها ليعلن عبد العزيز آل سعود قيام الدولة السعودية الثانية عام ١٩٣٢م [١].

وتتركز أفكار هذه الفرقة فيما يلي:

---

[١] الدولة السعودية الأولى هي التي أسقطها محمد علي حين غزا الحجاز لضرب الوهابيين بتوجيه من الخليفة العثماني، ويذكر أن عبدالعزيز آل سعود تخلّص من الإخوان بدعم من البريطانيين. انظر تاريخ آل سعود لناصر السعيد. وانظر لنا فقهاء النفط والخطر الوهابي. وانظر تاريخ الوهابيين أيوب صبري.

- الالتزام بنهج السلف من الحنابلة وابن تيمية وابن عبد الوهاب.

- تحريم التصويروالصحف ووسائل العصروالسفر إلى بلاد المشركين.

- قمع المبتدعين الضالين من الفرق الأخرى.

ولم تبرز من خلال هذه الفرقة نتاجات عقائدية أو فكرية،كما لم تفرز رموزاً في ميدان الفقه والعقيدة تناطح بها الرموز الوهابية الأخرى.

أهل الحديث:

وتعدّ هذه الفرقة من أقدم الفرق السلفية التـي ظهـرت فـي شـبه القـارة الهندية،وكان أول بروز لها في عام ١٩٠٦م حيث تم تشكيل الفرقة برئاسة عبد الله الغازيفوري ومعه الشيخ أبي الوفاثناء الله.

وتقوم عقيدة هذه الفرقة على ما يلي:

ـ التوحيد.

ـ الاتباع.

ـ تقديم النقل على العقل.

ـ التزكية الشرعية.

ـ التحذير من البدع والأحاديث الضعيفة والموضوعة.

ـ الجهاد في سبيل الله.

ـ تطبيق النظام الشرعي.

ـ محاربة الفرق الضالة المنحرفة.

وتتركزهذه الفرقة في شبه القارة الهندية في الهندوباكستان وبنغلادش ونيبال وكشمير وسيرلانكا وجزر فيجي وفي انجلترا.

وتتلخص دعوة هذه الفرقة في العمل على تـصفية الإسـلام مـن البـدع والانحرافات ودعوة الناس إلى اتباع منهج السلف والالتزام بطريقة الفقهاء

والمحدثين في المسائل الفقهية من اتباع الدليل و نبذالتعصب المذهبي.

وهذه الفرقة تعد امتداداً للفرقة الوهابية حيث تقدس رموزها بداية بابن حنبل حتى محمد بن عبد الوهاب وابن باز.

ولهذه الفرقة دور بارز في مقاومة الإنجليز والسيخ في الهند كما أن لرموزها دور بارز في ميدان التأليف في الأحاديث والرد على الفرق المخالفة وبيان السنة وشروحاتها والدفاع عن عقيدة أهل السنة.

التبليغ والدعوة:

وهي فرقة برزت في الهند على يد الشيخ محمد إلياس بهدف تبليغ الإسلام إلى الناس وقد انتشرت في بقاع كثيرة من العالم الإسلامي واستقطبت إلى صفوفها الكثير من المسلمين من مختلف الطبقات والمستويات.

وهذه الفرقة ليس لها عقائد محددة أو تصورات خاصة أو أهداف سياسية كما هو حال بعض الفرق الأخرى، ومحور تصورها يدور حول عقائد أهل السنة ونصوصهم التي تقوم بالتبليغ بها والدعوة إليها عن طريق الخروج إلى البلاد لوعظ وإرشاد الناس.

وقد قصرت هذه الفرقة نشاطها في محيط عوام المسلمين، فهي لا تملك من الرصيد الثقافي أو الفكري شيئاً لكونها فرقة بسيطة في أفكارها وفي دعوتها ولا تخوض في الأمور الجدلية التي تحتاج إلى جهد عقلي وتؤدي إلى خلاف فكري فمن ثم هي تتجنب المثقفين وأهل الفكر ونظراً لكون هذه الفرقة لا صلة لها بالسياسة وتدعو المسلمين إلى نبذ التيارات الفكرية والفرق الإسلامية ذات التوجه السياسي وتبني أفكارهم البسيطة التي تتلخص في الخروج والسياحة في الأرض من أجل دعوة الناس إلى الالتزام بالصلاة وآداب الإسلام والتطوع بالخروج في سبيل الله على حد

تعبيرها، نظراً لهذا كله فإن الحكومات أفسحت لها الطريق ولم تضيق عليها كما فعلت مع الفرق الأخرى ذات التوجه المتطرف،ولعل هذا ما دفع بالفرق الأخرى إلى إثارة الشبهات من حولها والتشكيك في دورها وأهميتها:

ويمكن تحديد أفكار هذه الفرقة ومعتقداتها التي حددها المؤسس فيما يلي:

- الكلمة الطيبة (الشهادتين).
- العلم والذكر.
- تصحيح النية.
- الإخلاص.
- الخروج في سبيل الله والدعوة إلى الله (وفق منهج الفرقة).
- إقامة الصلاة.
- إكرام المسلمين.

والطابع العام الذي يحكم هذه الفرقة هو الطابع الصوفي، وهو الطابع السائد في بلاد الهند التي نشأت فيها هذه الفرقة وذلك الطابع الذي يبرز بوضوح من خلال مواقفها السلبية تجاه شتى القضايا والأحداث التي تجري من حولها، فهي فرقة لا تتدخل في السياسة فقط، بل تنتقد وتهاجم من يتدخل في السياسة وتعتبر بأن السياسة هي أن تترك السياسة.

ولعل هذا الأمر هو السبب المباشر في خلافها مع فرقة الجماعة الإسلامية بقيادة المودودي والتي ترى وجوب خوض غمار السياسة

ومقاومة أعداء الإسلام في القارة الهندية.

وفرقة التبليغ ليست محل ترحاب من قبل الفرق الوهابية خاصة في الجزيرة العربية، حيث يعتبروا في منظورها من القبوريين أي عشاق الزيارات للمقامات والأضرحة وإحياء المناسبات الخاصة بالأولياء والصالحين،وهو ما يعتبر من البدع والضلالات والشرك حسب تصور هذه الفرق.

وهي ليست محل ترحاب أيضاً من قبل الفرق الأخرى الجهادية والإخوانية وحزب التحرير وغيرهم، فهي في منظورها تعد فرقة سلبية لا تثمر شيئاً ولا تتسلح بشيء من العلم والوعي والخبرة.

الجمعية الشرعية:

برزت هذه الفرقة على الساحة المصرية قبل فرقة أنصار السنة بسنوات، وقد رفعت منذ بداية ظهورها شعاراً يقول: الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية.

وهذه الفرقة يتركز نشاطها حول العبادات والأمور الأخلاقية وتفر من السياسة وأهلها، وقد قام بتأسيسها الشيخ محمود خطاب السبكي، وظل على رأسها إلى أن توفي ليخلفه ولده أمين من بعده ثم ولده يوسف إلى أن انقرضت عائلته.

وتلتزم هذه الفرقة بعقيدة أهل السنة السلفية كما تميل إلى فرقة الشافعية ولا تتعاطف مع الوهابيين، فمن ثم دخلت منذ ظهورها وحتى اليوم في صراع مع فرقة أنصار السنة بسبب بعض القضايا التى تتعلق بصفات الله سبحانه.

وتعد فرقة الجمعية الشرعية أكثر الفرق انتشاراً في الأوساط الشعبية في مصر، كما تملك العديد من المساجد التي تفوق مساجد الحكومة في مختلف محافظات مصر، إلاّ أنّها لم تلق تعاطفاً من الفرق الأخرى التي دخلت في صدام مع الحكومة، كما لاقت فرقة أنصار السنة.

وكان الشيخ السبكي مؤسس هذه الفرقة قد ألف كتاباً تحت عنوان:

الدين الخالص. اعتبرته الفرقة دستورها، كما أصدرت جريدة تنطق بلسانها تحت اسم: منبر الجمعية.

وقد انتمى إلى صفوف هذه الفرقة الكثير من رجال الفرقة الأزهرية الذين ظلوا يعملون في دائرة الفرقتين، وعلى رأس هؤلاء كان الشيخ أحمد عيسى عاشور صاحب مجلة الاعتصام التي ربطها بفرقة الجمعية الشرعية لتصبح الناطقة بلسانها حتى وفاته.

وقامت مجلة الاعتصام في فترة السبعينيات بشن حرب شعواء على الحكومة والعلمانيين والكتاب والصحفيين والمسيحيين والفرق المخالفة حتى ضاقت بها الحكومة، فقررت مصادرتها مع قرارات التحفظ عام ١٩٨١م واعتقال القائمين عليها، ثم عادت إلى الصدور في فترة الثمانينيات وتوقفت في أواخرها بعد وفاة مؤسسها الشيخ عاشور.

ولقد ظلت هذه الفرقة تلعب دورها على الساحة المصرية دون أن تعترض الحكومة طريقها مما دفع ببعض الفرق الأخرى المناهضة للحكومة إلى محاولة اختراقها واستثمار مساجدها الكثيرة في نشر أفكارها ومعتقداتها.

وعلى رأس هذه الفرقة فرقة الإخوان وفرقة الجماعة الإسلامية التي تمكنت من السيطرة بعض الوقت على مسجد الجمعية في مدينة أسيوط بصعيد مصر مما دفع بالحكومة إلى مصادرة المسجد وضمه إلى وزارة الأوقاف.

والفرقة اليوم قد دب في وسطها الخلاف بين المجددين الذين يسعون

إلى الخروج بها إلى معترك السياسة والتقليديين الذين يرفضون الخروج عن المنهج الذي وضعه الشيخ السبكي ويرفضون أن يترأس الفرقة أي من العناصر ذات الميول السياسية أو المرتبطة والمتعاطفة مع الفرق الأخرى التي تنظر لها الحكومة بعين الشك.

النورسية:

برزت هذه الفرقة في تركيا على يد الشيخ سعيد النورسي كرد فعل للتيار العلماني الذي هيمن على الحياة فيها بعد سقوط الحكم العثماني.

وهي فرقة ليس لها فكر محدد يميزها فقد حدد الشيخ النورسي أفكار فرقته من خلال كتاباته التي تعد المصدر الوحيد لفكر هذه الفرقة.

وما حدده النورسي هو ما يلي:

ـ إيقاظ العقيدة الإسلامية في نفوس اتباعها.

ـ تجنب السياسة.

ـ تهذيب النفوس.

ويظهر من خلال هذه النقاط الثلاثة أن هذه الفرقة تقليدية أقرب في تصورها إلى فرقة التبليغ، غير أن هذا الخط هو ما أملته عليها ظروف تركيا آنذاك والصراع الشرس الذي كان قائماً بين أتاتورك وحزبه والإسلام والمسلمين.

ولقد قاومت هذه الفرقة المد العلماني في ساحتها ورفضت القوانين الوضعية ومنع الكتابة بالأحرف العربية وتغيير الآذان إلى الكلمات التركية وجعل يوم الأحد العطلة الأسبوعية وإلزام الناس بالقبعات الأفرنجية ومنع الاحتفال بالمناسبات الإسلامية والاتجاه نحو الغرب عموماً.

ولم تحظ هذه الفرقة بانتشار كبير في ربوع المسلمين إذ انحصرت في تركيا، كما لم تتمكن من البقاء والاستمرار طويلا بعد وفاة مؤسسها فقد تفرق أتباعها بين الأحزاب ولم يبق منها سوى كتابات النورسي التي تم ترجمتها إلى عدة لغات منها اللغة العربية.

وكانت هذه الفرقة ومؤسسها قد لفت أنظار الفرق الأخرى التي كانت ترقب ما يجري للإسلام والمسلمين في تركياالتي كانت مركزالخلافة قبل أتاتورك وكتبت الكثير من الدراسات والبحوث في النورسي وأفكاره.

الكوثرية:

برزت هذه الفرقة على يد الكوثري في القرن الثالث عشر الهجري، وهي تسير على نهج الأحناف والماتريدية.

وقد دخلت هذه الفرقة في صدام مع فرق أهل السنة الأخرى وطعنت في عقائدها وخاصة فرقة الحنابلة وفرقة الوهابية.

وتتميز فرقة الكوثرية بالميل نحو الصوفية وتعظيم المقامات الخاصة بأهل البيت مما دفع الفرقة الوهابية إلى الصدام بها وإعلان الحرب عليها [١].

وللكوثري الكثير من الرسائل والتعليقات على مصنفات فرق أهل السنة الأخرى منها تعليقات على كتاب الأسماء والصفات للبيهقي، وعلى كتاب السيف الصقيل [٢].

---

[١] كان الكوثري قد هاجم أئمة ورموز فرق أهل السنة وطعن فيهم واعتبرهم من المجسمة والمشبهة وشدّد هجومه على كتب الأشاعرة والوهابية واعتبرها كتب وثنية تدعو إلى التجسيم والتشبيه، ومن جانب آخر فإن فرقة الوهابية اعتبرته من الداعين إلى البدع الشركية والتصوف وتعظيم القبور والقول بجواز التوسل بالأموات. انظر مقالات الكوثري وتعليقه على كتاب البيهقي.

[٢] أشرنا إلى هذا الكتاب في الفصل الخاص بفرقة ابن تيمية.

ولـه تأنيـب الخطيـب علـى مـا سـاقه فـي ترجمـة أبـي حنيفـة مـن الأكاذيب [1] .

والاستبصار في التحدث عن الجبر والاختيار.

وله الكثير من المقالات جمعت في كتاب باسم: مقالات الكوثري.

وكان محيط نشاط الكوثري القاهرة،وبرز له أتباع في محيط الشام [2] .

---

[1] أي في كتاب تاريخ بغداد.

[2] على رأس أتباع الشام عبدالفتاح أبو غدة، صاحب عدة مصنفات، سار فيها على نهج أستاذه الكوثري، وأعلنت عليه الحرب من قبل الفرق الوهابية المعاصرة. انظر براءة أهل السنة من الوقعية في علماء الأمة ط القاهرة.

أنصار السنة:

قامت هذه الفرقة في مصر على يد أحدعناصر الفرقة الأزهرية في عام ١٩٢٦م وهو الشيخ محمد حامد الفقي.

وقد تبنت هذه الفرقة نهج الفرقة الوهابية وأفكارها، وعملت على نشر هذه الأفكار من خلال المساجد التابعة لها ودخلت في صراع مع الفرق الصوفية والفرق الأخرى المخالفة لها.

ونظراً لالتزام هذه الفرقة بالنهج الوهابي فقد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالمؤسسة الوهابية ورموزها وقد ساعدها هذا الارتباط ووفر لها الإمكانيات التي أهلتها لتثبيت أقدامها على الساحة المصرية والانتشار في البقاع المجاورة لها مثل السودان وارتيريا وليبريا.

وتتلخص عقيدة هذه الفرقة فيما يلي:

- الدعوة إلى التوحيد الخالص.
- مجانبة البدع ومحدثات الأمور.
- الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم.
- الدعوة إلى تجديد الدين على هدي السلف وأئمة السنة.
- مقاومة الفرق الأخرى خاصة الصوفية وتحذير المسلمين منها.
- العمل على توحيد المسلمين تحت عقيدة واحدة على أساس

المنهج السلفى.

وهذه الأهداف ذات الأبعاد الحركية والسياسية هى ما دفعت الحكومة إلى تصفيتها وضمها إلى فرقة الجمعية الشرعية فى أواخر العصر الناصري ولم تتمكن من الانشقاق عنها إلاّ فى عصر السادات الذي فتح علاقات واسعة مع السعودية، كما أن هذه الأهداف جذبت شباب الفرق الأخرى الذين كانوا فى طور النشأة الفكرية قبل أن يتميزوا عنها فى فرق مستقلة تتبنى أساليب مختلفة فى مواجهة الواقع غير أنها تتبنى نفس عقيدة أنصار السنة التى هى امتداد للعقيدة الوهابية.

ومثلما اتخذت الفرقة الوهابية من ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب رموزاً لها ومراجع يستمدون منهم الأحكام والأفكار، اتخذت أنصار السنة هؤلاء الثلاثة رموزاً لها بالإضافة إلى فقهاء الوهابية المعاصرين أمثال ابن باز وابن عثيمين والألبانى وغيرهم.

وكانت فرقة أنصار السنة تصدر مجلة الهدي النبوي، ثم أبدلتها إلى مجلة التوحيد التى لا تزال تصدر حتى اليوم وتشن حرباً شعواء على فرق الصوفية والأضرحة والمقامات والموالد ـ أي إحياء المناسبات الخاصة بذكرى أبناء الرسول فى مصر ـ باعتبارها من البدع والضلالات، كما تشن حرباً على العلمانيين والعلمانية والشيعة والمتشيعين وتبارك الخط الوهابى وتؤيد الحكومة فى موقفها المعادي للفرق الأخرى.

وكحال فرق أهل السنة دبّ الخلاف بين عناصرها وأدى الأمر إلى إنشقاق بعض العناصر ليكونوا لأنفسهم فرقة مستقلة تحت اسم: دعوة الحق.

وأصدرت مجلة تنطق بلسانها هي مجلة الهدي النبوي.

وليس هناك من فروق تذكر بين الفرقتين، فكل منهما يحمل عقائد وتصورات الآخر ويسير على درب الوهابية.

ومن بين رموز هذه الفرقة عبد الرزاق عفيفي وهو أحد عناصر فرقة الأزهرية، وعبد الرحمن الوكيل وكان من عناصر فرقة الأزهرية أيضاً.

ومحمدعلي عبد الرحيم أحد رجال التعليم وكان له دور بارز في تعبئة الشباب المسلم بالأفكار الوهابية في الجامعات في بداية السبعينيات وقبل بروز الفرق السلفية والجهادية والتكفير.

وهذه الرموز الثلاثة تربّت في أحضان فرقة الوهابية بجزيرة العرب [1] .

---

[1] لهذه الرموز الثلاثة إصدارات هجومية على فر ق الصوفية والشيعة والأزهرية والإخوان والتكفير بالإضافة إلى مقالاتهم الدائمة في مجلة التوحيد، وعفيفي والوكيل وعبدالرحيم الثلاثة عملوا بمجال التدريس بالمعاهد الوهابية بجزيرة العرب.

الصوفية:

أخذ التصوف صوراً وأشكالا مختلفة على مر تاريخ المسلمين غير أنّه لم يترجم على هيئة فرق إلاّ في عصور متأخرة في حدود القرن السادس الهجري.

وفرق الصوفية أكثر من أن تحصى وهي منتشرة في جميع بقاع العالم الإسلامي، وليس هناك من فروق تميز إحداها عن الأخرى سوى في الأوراد والأذكار التي يرددونها في المناسبات الإسلامية ومناسباتهم الخاصة التي ترتبط بمؤسسيها، كما أن هذه الفرق جميعها ترتبط بعقيدة أهل السنة.

وفرق الصوفية لم تحظ باعتراف الفرق الوهابية التي تعتبرها خارجة عن الإسلام الصحيح وتتبنى عقائدة شركية.

ومن أشهر الفرق الصوفية المنتشرة في واقع المسلمين اليوم:

الفرقة القادرية أتباع عبد القادر الجيلاني.

الفرقة الرفاعية أتباع أبي العباسي الرفاعي.

الفرقة الشاذلية أتباع أبي الحسن الشاذلي.

الفرقة المولودية أتباع جلال الدين الرومي.

الفرقة النقشبندية أتباع محمد بهاء الدين النقشبندي.

الفرقة التيجانية أتباع أحمد التيجاني.

الفرقة الكتانية أتباع أبو الغيص الكتاني.

الفرقة الختمية أتباع محمد عثمان الميرغني.

الفرقة الدسوقية أتباع إبراهيم الدسوقي.

الفرقة البدوية أتباع أحمد البدوي.

الفرقة الأكبرية أتباع محيي الدين بن عربي.

الفرقة السنوسية أتباع محمد بن علي السنوسي.

الفرقة البريلوية أتباع أحمد رضا خان.

وهذه هي فرق التصوف الكبرى، أما فرق التصوف الصغرى، فلا يتسع المجال لذكرها، لكثرتها وتحتوي الساحة المصرية على عدد كبير منها احتوته هيئة حكومية تحمل اسم المجلس الصوفي الأعلى الذي يضم الفرق الصوفية المعترف بها رسمياً، ويصدر مجلة شهرية تحت اسم: التصوف الإسلامي.

الإخوان المسلمون:

برزت هذه الفرقة على يد حسن البنا عام ١٩٢٨م في مصر، ثم انتقلت إلى بقاع أخرى من العالم الإسلامي بحيث أصبحت لا تخلو بقعة من فرقة من فرقهم حتى بلدان العالم الأوروبي.

وتعدّ فرقة الإخوان منبع جميع الفرق التي تبنت نهج الصدام مع الواقع مثل فرق القطبيين والتكفير والجهاد التي سوف نتحدث عنها فيما بعد.

وقد استحوذت فرقة الإخوان على أعداد كبيرة من المسلمين حتى أصبحت أضخم فرق أهل السنة وأكثرها انتشاراً مما مكن لها أن تؤثر في كثير من الإحداث داخل مصر وخارجها.

وكانت فرقة الإخوان قد ارتبطت بكثير من حوادث العنف والاغتيالات داخل مصر وخارجها، وكان صدامها مع حكم عبد الناصر في فترة الخمسينيات قد أدى إلى ضربها وتصفيتها وحظر نشاطها وظلت في دائرة الحظر حتى اليوم.

إلاّ أن الحظر الذي فرض على فرقة الإخوان في مصر وغيرها لم يحل دون نشاطها في دائرة السرية، إذ بثت هذه الفرقة خلاياها في جميع مرافق المجتمع ومؤسساته الحيوية وأحزابه السياسية ونقاباته المهنية وساعدها على هذا النشاط الدعم الخارجي والإمكانيات التي بحوزتها، والتي

تحصّلت عليها من دول النفط أثناء فترة الحصار والمطاردة من قبل عبد الناصر لعناصرها طوال فترة الخمسينيات والستينيات.

وعلى الرغم من كون أطروحة فرقة الإخوان تميل إلى الاعتدال والتسامح في مواجهة الواقع، وقد كانت الفرقة على وئام مع الحكومات ومع أهل الملل الأخرى من اليهود والمسيحيين، إلاّ أن التزامها بنهج أهل السنة دفع بها إلى عدم التسامح مع الخصوم والمخالفين من التيارات السياسية والفرق الإسلامية المخالفة.

إن فرق الإخوان المنتشرة على الساحة العالمية لم تستطع أن تتوحد في إطار واحد رغم كونها ذات تصور واحد وتدين لإمام واحد هو حسن البنا، وقد اشتدت الخلافات بين هذه الفرق وزاد التناحر فيما بينها بعد مصرع المؤسس حسن البنا.

الجماعة الإسلامية:

برزت هذه الفرقة على يد المودودي في باكستان قبل استقلالها عن الهند بسنوات في نفس فترة بروز فرقة الإخوان بمصر.

والمودودي له الكثير من المؤلفات التي ترجمت إلى اللغة العربية، وأسهمت في بروز الكثير من الفرق في مصر وغيرها حيث تأثّر بهذه المؤلفات كثير من العناصر التي أصبح لها دورها الفاعل في الوسط الإسلامي وعلى رأسهم سيد قطب.

ومن هذه المؤلفات: الجهاد في سبيل الله.

نظرية الإسلام السياسية.

منهاج الانقلاب الإسلامي.

الحضارة الإسلامية ومبادئها.

المصطلحات الأربعة.

وقد حدد المودودي أهداف فرقته فيما يلي:

ـ دعوة أهل الأرض إلى استخلاص الحكم من الطواغيت المستبدة والفجرة الفاسدة وانتزاع الإمامة الفكرية والعلمية من أيديهم وتسليمها للمؤمنين من المسلمين.

ـ تصحيح أفكار المسلمين.

ـ العمل على الاصلاح الاجتماعي.

ـ تربية المسلمين المنتمين لفرقته التربية الإسلامية الصحيحة.

ـ إصلاح الحكم.

وقد ساعدت ظروف باكستان والمناخ الإسلامي الذي سادها وهيمن على الرأي العام فيها بعد انفصالها عن الهند ـ ساعدت فرقة المودودي على النمو والانتشار والتمكن على ساحة الواقع لتصبح القوة الإسلامية الفاعلة على الساحة الباكستانية التي يتودد لها الحكام ويتقربون إليها.

وهناك قواسم مشتركة بين فرقة المودودي وفرقة الإخوان من حيث المبادىء والأفكار والإطار التنظيمي إلاّ أن فرقة الإخوان فشلت في تحقيق أية مكاسب لها على ساحة الواقع في مصر بينما نجحت فرقة المودودى في فرض الإسلام على الحكم في باكستان.

وتتميز فرقة المودودي بكونها تحمل رصيداً فكرياً وسياسياً كبيراً جذب إليها قطاعات المسلمين في كل مكان.

وقد برزت على الساحة المصرية فرقة تسمت باسم فرقة المودودي تلك الفرقة التي برزت على ساحة الجامعة المصرية في أوائل السبعينيات على يد مجموعة من الطلاب،ثم عملت لفترة تحت لواء فرقة الإخوان، ثم انشقت عليها وانقسمت إلى ثلاث فرق:

فرقة استمرت تحت لواء الإخوان.

وفرقة انتمت إلى السلفيين.

وفرقة رفعت لواء الجهاد.

والفرقة الأخيرة التي سادت صعيد مصر هي التي ارتبطت بكثير من الأحداث التي وقعت على الساحة المصرية في فترة الثمانينيات بداية باغتيال السادات وحتى قتل السياح ورجال الأمن.

إلاّ أن هذه الفرقة لم تسلك نهج المودودي ولم تكن تحمل من فرقته سوى الاسم إذ أنها ارتبطت بنهج السلف وعقائدأهل السنة دون أن تخالط الواقع وتستثمره ودون أن تتحرر من عقل الماضي مما أدى إلى اصطدامها بالواقع بقوة وفشلها في تحقيق أهدافها واستئصالها من قبل الحكومة.

وقد حددت الفرقة المصرية هدفها من خلال منشور أصدرته يحوى تسع نقاط وهو تعبيد الناس لربهم وإقامة خلافة على نهج النبوة وحددت فيه أيضاً أن عقيدتها هي عقيدة السلف الصالح جملة وتفصيلا، وأن الطريق لتحقيق هدفها هو الدعوة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله من خلال جماعة منضبطة حركتها بالشرع الحنيف وولاؤها لله ورسوله والمؤمنين وعداؤها للظالمين.

وكانت هذه الفرقة قد اتخذت من أحد العناصر المنشقة على فرقة الأزهريين أباً روحياً لها وهو الدكتور عمر عبد الرحمن الذي قام بتصنيف كتاب لها تحت عنوان: أحوال الحكام، وهو كتاب يصنف حكام العصر على ضوء عقائد أهل السنة ويبرر الخروج عليهم.

ومن كثرة الصدامات بين هذه الفرقة ورجال الأمن والمسيحيين وعناصر الفرق الأخرى وعلى رأسها عناصر فرقة الإخوان، أصبحت مصدر قلق وإزعاج كبير للفرق الأخرى وللكتاب والصحفيين

والسياسيين، وتعدّ هذه الفرقة السبب المباشر في استمرار قانون الطوارىء الذي يطوق جميع الفرق على الساحة المصرية حتى بعد القضاء على هذه الفرقة [1].

[1] انظر لنا كتاب الحركة الإسلامية في مصر.

حزب التحرير:

قام بتأسيس هذه الفرقة الشيخ تقي الدين النبهاني بعد مصرع حسن البنا، وذلك في مدينة القدس، وقد حاول رجال فرقة الإخوان إثناء الشيخ تقي الدين عن عزمه تأسيس فرقة جديدة تنازع فرقة الإخوان إلاّ أنهم لم ينجحوا في ذلك.

وهذه الفرقة تلتزم بنهج فرقة الأحناف، وتقيم تصوّراتها الفقهية على أساس مذهبها ومنذ بروزها على ساحة الواقع وهي تعلن الحرب على الفرق المخالفة وتعمل على تشويهها وتسخر منها.

ويقوم نهج هذه الفرقة وتصوراتها على ما يلي:

ـ تبني الصدع بالفكر في مواجهة الواقع.

ـ تثقيف عناصر الفرقة بالثقافة الإسلامية تثقيفاً مركزياً.

ـ التفاعل مع المجتمع بالعمل الثقافي والسياسي.

ـ العمل على تسلّم الحكم عن طريق الأمة بطريق الانقلاب العسكري وطلب النصرة من أصحاب السلطة والنفوذ عن طريق إقناعهم بأفكار الفرقة دون التزامهم بها، فإن المهم في منظور هذه الفرقة هو أن يقتنع حاكم أو زعيم قبيلة أو سفير أو زعيم حزب بأفكار الفرقة ويساعدها على تسلم الحكم.

ومنذ ظهور هذه الفرقة وحتى اليوم لم تتمكّن من تحقيق أهدافها ولا نشر أفكارها بشكل واسع بين المسلمين كما هو حال فرقة الإخوان.

وقد تلقت الضربات تلو الضربات وأصبحت من الفرق المحظورة المطاردة من قبل الحكومات مما دفع بها إلى الاتجاه لأوربا ومحاولة نشر أفكارها هناك، وقد أثارت الفرق الأخرى الكثير من الشبهات حول فرقة حزب التحرير وارتباطها بجهات أجنبية، ومنبع هذه الشبهات يعود إلى أفكار هذه الفرقة وتصوراتها ومواقفها وممارساتها التي تتجاوز حدود الأخلاق والآداب والثوابت الشرعية التي هي محل إجماع الفرق الأخرى.

ومن الأمور التي أخذتها الفرق الأخرى على فرقة حزب التحرير وفتحت الباب لإثارة الشبهات من حولها:

ـ التهاون في أمر الصلوات.

ـ القول بإباحة الدخان.

ـ إباحة تقبيل المرأة الأجنبية.

ـ جواز تولي المرأة القضاء.

ـ رفض حديث الآحاد.

ـ تفلت عناصرها وعدم انضباطهم بالهيئة الإسلامية.

ومثل هذه الأمور وغيرها هي التى دفعت بكثير من المسلمين إلى نبذ هذه الفرقة والتشكيك فيها، وهي نفس الأمور التي أدت بهذه الفرقة إلى خسارة الكثير من القواعد في مختلف بلدان المسلمين وحصرتها في النهاية في دائرة ضيقة لتصبح أقل فرق أهل السنة شأناً وحجماً.

إلاّ أن فرقة حزب التحرير التي يمتاز عناصرها بالتعصب لأفكار مؤسس الفرقة وأطروحته ـ لا تزال تدعوا إلى هذه الأفكار وتنادي بهذه الأطروحة حتى اليوم وتحلم بإقامة دولة الخلافة على يديها وكأن هذه الأفكار وأطروحة الشيخ تقي الدين منزلة من السماء وحالهم في هذا كحال فرقة الإخوان التي عكفت على أفكار وأطروحة البنا تدعو وتتعصب لها حتى اليوم.

القطبيون:

تنسب هذه الفرقة إلى سيد قطب أحد الأدباء الذي انتمى إلى فرقة الإخوان بعد مصرع مؤسسها حسن البنا وأعاد بلورة أفكاره على ضوء أفكارها، ثم صاغ لنفسه نظرية جديدة للحركة الإسلامية تخالف نظرية الإخوان طرحها من خلال كتابيه: في ظلال القرآن ومعالم في الطريق.

وكان أن انتمى لفرقة القطبيين الجيل الجديد من عناصر الإخوان في الخمسينيات والستينيات والذين وجدوا عدم مواءمة طرح البنا للمرحلة الجديدة خاصة فيما يتعلق بالموقف من الحكم.

وتتركز أفكار الفرقة القطبية فيما يلي:

ـ المجتمعات المعاصرة مجتمعات جاهلية بما فيها المجتمعات الإسلامية.

ـ كفر الحكومات القائمة في بلاد المسلمين.

ـ عدم جواز المشاركة في الحكم أو ممارسة العمل السياسي في ظل الحكومات الكافرة.

ـ عزلة الواقع شعورياً.

ـ وجوب جهاد الحكومات الكافرة.

ـ رفض الدعوة العلنية.

وقد شنت الفرق السلفية حرباً شعواء على الفرقة القطبية بسبب بعض الآراء التي أوردها سيد قطب في كتبه والتي اعتبرتها هذه الفرق تخالف عقائد السلف من أهل السنة.

وسارعت الفرقة القطبية بالدفاع عن نفسها وإثبات التزامها بعقيدة أهل السنة.

ولم تنحصر أفكار سيد قطب في محيط الساحة المصرية، بل امتدت إلى بقاع أخرى كثيرة من العالم الإسلامي وأوروبا، فقد شكلت هذه الأفكار بريقاً جذاباً للمسلمين في كل مكان، وتحوّلت بالتالي الفرقة القطبية إلى فرقة عالمية.

التكفير:

خرجت هذه الفرقة من تحت عباءة الإخوان في منتصف فترة الستينيات داخل المعتقلات التي ضمت فرقة القطبيين مع فرقة الإخوان في مصر.

وقد برزت هذه الفرقة كرد فعل للحالة السلبية التي اتخذتها فرقة الإخوان تجاه حكم عبد الناصر وصور التعذيب التي كانوا يتعرضون لها داخل المعتقلات وكان المنبع الذي أعطى لهذه الفرقة الدفعة الأولى هو فكر سيد قطب مؤسس فرقة القطبيين.

وكان الطالب الجامعي شكري مصطفى الذي اعتقل في فترة الستينيات رفع لواء التكفير، وتمرد على الفرقتين، وقام بوضع حجر الأساس لفرقته التي بدأت في الانتشار على ساحة الواقع المصري في بداية السبعينيات عندما أخليت المعتقلات من العناصر الإسلامية وأصبحت تشكل خطراً كبيراً على الفرق الأخرى.

ولم يقتصر فكر الفرقة على حدود مصر وحدها بل امتد إلى بقاع أخرى كثيرة من بلدان المسلمين.

وتعدّ أفكار فرقة التكفير امتداداً لأفكار ومعتقدات فرقة الخوارج، خاصة فرقة الأزارقة، منهم التي تعدّ أشدّ فرقهم تطرفاً.

وتتلخص أفكار ومعتقدات هذه الفرقة فيما يلي:

التوقف في الحكم على الناس بالإسلام حتى يتم التبين.

ـ رفض التراث وتقليد الفقهاء من الماضي والحاضر.

ـ العزلة عن المجتمع.

ـ تناول الدين من الكتاب والسنة مباشرة.

ـ وجوب الهجرة.

ـ التوسمات وانتظار علامات آخر الزمان وحدوث الملحمة الكبرى بين المسلمين والكفار.

ـ مرتكب الكبيرة كافر.

ومن هذه الأفكار يتبيّن لنا أن فرقة التكفير لا تتبنى فكرة الصدام مع الواقع الذي حكمت عليه بالكفر والجاهلية.

والحق أن هذه الفرقة التي حاولت الهروب من التقليد باعتباره صورة من صور الكفر لتصادمه مع النصوص في منظورها، وقعت هي أيضاً فيه بتقليدها شكري مصطفى المؤسس واتباعها أفكاره والتزامها بمعتقداته.

وقد حوربت فرقة التكفير من الفرق الأخرى بشدة إلاّ أن هذه الحرب لم تؤثر شيئاً إذ أن الواقع كان يخدم اتجاهها ويزكّي أفكارها.

ومن جانب آخر ساعدت فكرة الهجرة التي تبنّتها الفرقة على دعم الأنشطة الخاصة بها وتثبيت أقدامها على الساحة، إذ العنصر المهاجر كان يلتزم بدفع أكثر من نصف دخله في الخارج لفرقته.

ولشكري مصطفى عدة مؤلفات مخطوطة لم تخرج إلى النور وهي

متداولة بين عناصر الفرقة منها:

مؤلف تحت عنوان: الإصرار، ويحكم فيه بكفر المصر على المعصية.

ومؤلف تحت عنوان: الهجرة، ويوجب من خلاله الهجرة على المسلمين.

ومؤلف تحت عنوان: الخلافة، ويعرض فيه لاستخلاف الفئة المؤمنة. الظاهرة على الحق في آخر الزمان ويقصد بها فرقته.

وأمام الحوادث والمتغيرات لم تتمكن فرقة التكفير من الصمود والحفاظ على وحدتها وأصابها ما أصاب فرق السنة الأخرى من التمزّق والشتات، إذ انشقت عليها مجموعة من عناصرها لتكون فرقة جديدة أشد غلواً وتطرفاً من الفرقة الأم رافضة فكرة التوقف والتبين والهجرة والانتظار وتبنت الجهاد في مواجهة الواقع الذي حكمت عليه بالكفر إجمالا وأباحت لنفسها استحلاله.

وقامت الفرقة الوليدة بعدة محاولات لاغتيال وزيري الداخلية وأحد الصحفيين في النصف الثاني من الثمانينيات مما دفع بالحكومة إلى التصدي لها والقبض على عناصرها وتصفيتها [١].

---

[١] انظر لنا الحركة الاسلامية في مصر. وقد أطلق على الفرقة الجديدة اسم: (الناجون من النار).

الألبانيون :

وهي فرقة تنتسب لناصر الدين الألباني الذي عكف على دراسة الأحاديث النبوية، وتخصص فيها، وكوّن لنفسه فرقة تعصب عناصرها له، واعتبروه محدث العصر ومرجع الأمة في الروايات.

وقد بدأ الألباني نشاطه في الشام وذاع صيته وصنف كتابه الشهير في دائرة الفرق وهو كتاب سلسلة الأحاديث الصحيحة والضعيفة.

وكان الألباني قد اصطدم بفرق أهل السنة الأخرى مثل فرقة الشافعية وفرقة الأحناف وفرقة الجهاد وغيرها من الفرق، ونادى بالتحرر منها واتباع الكتاب والسنة دون التقيد بفرقة محددة.

ولم تقف الفرق الأخرى مكتوفة الأيدي في مواجهته، فقد أعلنت الحرب عليه وعلى فرقته وأصدرت العديد من الكتب في الرد عليه [١] .

وقد حدد الألباني معتقداته وأفكاره من خلال نقاط ثلاث هي:

ـ تحكيم كتاب الله وسنة رسوله في كل ما يطرأ على حياة المسلم،

---

[١] من هذه الكتب سلسلة رفع الملام عن أمة الإسلام، وهي مجموعة رسائل تهاجم الألباني وتتهمه بتصحيح أحاديث ضعيفة وتضعيف أحاديث صحيحة. وكتاب اللامذهبية بدعة تهدد الشريعة الإسلامية للدكتور البوطي. ورد أتباع فرقة الألباني بكتاب: ردع الجاني المتعدي على الشيخ الألباني.

وفهمهما على نهج السلف.

- توعية المسلم من البدع والأفكار الدخيلة.

- دعوة المسلمين إلى العمل بتعاليم وأحكام الإسلام.

ويظهر لنا من خلال هذه النقاط الثلاثة أن فرقة الألباني ذات طابع وهابي.

المقبلية

برزت هذه الفرقة في اليمن على يد أحد العناصر الوهابية الّتي تخصّصت في مجال الرواية، منافسة بذلك فرقة الألبانيّين، وهو مقبل بن هادي الوادعي.

وقد تبنّت هذه الفرقة نهجاً أكثر تشدداً في مجال الحديث وفي مجال الأحكام، وأصدرت الكثير من أحكام الكفر على حكّام العصر كما اصدرت الكثير من الأحكام المتطرّفة على دعاة ورموز الفرق الأخرى وحكمت بضلال الفرق السنية ذات الميول السياسية مثل فرقة الجهاد والإخوان وحزب التحرير.

ومؤسس هذه الفرقة له الكثير من المؤلفات المتشدّدة والتي تتداول أغلبها سراً في البلدان الأخرى غير اليمن.

ومن هذه المؤلفات:

ـ المخرج من الفتنة وهو كتاب يهاجم الفرق الأخرى والرموز البارزة في ساحتها كما يهاجم الحكومات والتيارات الثقافية والأدبية والسياسية باعتبارها تعمل على نشر البدعة والانحراف بالمسلمين عن السنة التي تتركز حولها دعوة الفرقة.

ـ الصحيح المسند من فضائل أهل بيت النبوة وهو كتاب موجّه إلى

الشيعة وفرقة الصوفية.

وله بعض الرسائل الصغيرة الموجهة ضد الشيوعيين والعلمانيين ورموز الفرق الأخرى.

الجهاد:

برزت فرقة الجهاد في الساحة المصرية في منتصف السبعينيات متأثرة بالنهج الوهابي والنهج القطبي معاً.

من النهج الوهابي استمدت العقائد السلفية.

ومن النهج القطبي استمدت فكرة جهاد الحكام.

وكان أول بروز لفرقة الجهاد في حادثة الكلية الفنية العسكرية التي سيطر عليها عدد من طلابها أعضاء الفرقة تمهيداً لاستخدام أسلحتها وذخائرها في الاستيلاء على الحكم والإطاحة بالسادات إلاّ أن المحاولة باءت بالفشل، ثم تطورت الفرقة بعد ذلك واستقطبت الكثير من عناصر الفرق الأخرى لتصبح في أفضل حالاتها التنظيمية وتتمكن من اغتيال السادات عام ١٩٨١م.

إلاّ أنه بعد قمع هذه الفرقة واستئصالها من الساحة المصرية بعد حادث اغتيال السادات انتشرت في بقاع أخرى، وأصبحت تشكل خطراً كبيراً على حكومات العديد من دول العالم الإسلامي وغيرها من الدول.

وقد أسهمت فرقة الجهاد بدور كبير في ساحة أفغانستان، واستوطنت على ساحتها وتحالفت مع فرقة طالبان.

وتعتقد فرقة الجهاد بوجوب إقامة الدولة الإسلامية بالقوة المسلحة

والخروج على الحكومات القائمة وإسقاطها وأن الأحكام التي تعلو المسلمين اليوم هي أحكام كافرة، وأن حكام هذا العصر ارتدوا عن الإسلام، وأن فكرة الإصلاح والعمل السياسي مرفوضة، وقد بلورت هذه المعتقدات على أساس من فكر السلف من أهل السنة.

ولقد أدت حملات البطش والمطاردات والتضيق على عناصر هذه الفرقة إلى تشردهم في بقاع العالم وتحوّلهم إلى مجاهدين تحت الطلب يشاركون في الثورات والمواجهات التي تنشب بين المسلمين والحكام في أي مكان، وقد شارك الكثير منهم في معارك البلقان ضد الصرب كما يشاركون في معارك الشيشان ضد الروس، وانتشرت بعض فرقهم اليوم في محيط اليمن.

جهيمان:

وهي واحدةمن الفرق الوهابية التي برزت في جزيرة العرب في أواخر فترة السبعينيات، وتنسب إلى جهيمان العتيبي أحد تلامذة المدارس الوهابية الذي اصطدم بفقهاء الوهابية وعلى رأسهم ابن باز، وتمرد على الخط التقليدي الذي تسير عليه الفرقة الوهابية في مواجهة الواقع والأحداث.

ولما فشل فقهاء الوهابية في احتواء جهيمان واتباعه تدخلت الحكومة وطاردت جهيمان واتباعه الذين فروا إلى الصحراء.

وتمكن جهيمان بعيداً عن عيون الحكومة من تأسيس فرقته وحدث أن اكتشف من بين عناصرها شخصاً يحمل اسم المهدي المنتظر وملامحه، فأعلن ظهور المهدي وتبعه في هذا الادعاء الكثير من العناصر الإسلامية من مختلف البقاع الذين كانوا متواجدين في الجزيرة العربية وفي منطقة الحرم المكي التي أعلن ظهور المهدي فيها.

وسيراً مع الروايات المتعلقة بظهور المهدي وحركته جاء جهيمان بفرقته ومعهم المهدي المزعوم إلى المسجد الحرام واستولى عليه وأعلن ظهور المهدي من خلال مكبرات الصوت الخاصة بالمسجد،وقد هيأ نفسه وفرقته للحصاروالمواجهة مع القوى التي سوف تحاصره داخل الحرم كما

أشارت الروايات المتعلقة بهذا الحدث والتي نصت على حصار المهدي وأتباعه داخل الحرم من قبل القوى الكافرة ووقع الصدام بين قوات الحكومة التي استعانت بقوات أجنبية وبين فرقة جهيمان، وانتهى بمقتل المهدي المزعوم والقبض على جهيمان وإعدامه مع أكثر من ستين فرداً من أفراد فرقته.

ولم يأت جهيمان بأفكار جديدة تميّزه عن الفرقة الوهابية غير أنه أثار الشكوك في شرعية حكم آل سعود، وأقر جواز الصلاة بالنعال، وحرم حمل البطاقات والصحف بسبب الصور التي فيها.

ويمكن القول أن ضرب جهيمان وفرقته لم يقض على أفكارها ومعتقدتها التي انتشرت بين الشباب السلفي المعارض على مستوى الجزيرة العربية وخارجها.

السلفيون:

وهي فرقة متولدة من الوهابية وقد انتشرت في بقاع كثيرة من العالم الإسلامي تحت اسماء ومسميات مختلفة، وكانت قد برزت على الساحة المصرية في فترة السبعينيات.

وهذه الفرقة تلتزم بنهج السلف من أهل السنة وعقائدهم دون التقيد بفرقة من الفرق القديمة.

ويدور نشاطها في المحيط العلمي التقليدي فهي لا تتبنّى أية توجهات سياسية أو حركية مناهضة للواقع ولا ترى فكرة الخروج على الحكام وتعتبرها مخالفة لنهج السلف، فمن ثم تنتقد بقوة الفرق الجهادية أو التكفيرية أو الصوفية التي تعتبر في منظورها خارجة عن عقيدة السلف.

أما المفاهيم التي تقوم عليها فرقة السلفيين فهي:

ـ أن كل عقيدة تخالف كتاب الله وسنة رسوله عقيدة باطلة يجب حربها والقضاء عليها.

ـ أن كل زيادة أو نقص في تشريع العبادات والسلوك يراد بها التقرب إلى الله وإصلاح النفس إنما هو بدعه مرفوضة.

ـ إن الهدى هو ما كان من الله ورسوله فقط.

ـ الجهاد إنما يكون وراء الخليفة المسلم.

ـ الالتزام بنهج السلف عقيدة وفقهاء وسلوكاً.

ـ الاهتمام بالعلم الشرعي.

ـ مقاومة البدع والضلالات.

ولفرقة السلفيين الكثير من المؤلفات التي تصدر عن رموزها في مصر وغيرها، وهي تتناول قضايا تقليدية لا صلة لها بحياة المسلم اليومية، وتدور حول عذاب القبر وأهوال القيامة والجنة والنار والسحر والقبور والجنائز والتصوير وأحوال النساء والتحذير من كتابات الفرق المخالفة التي تعتبر في منظورها فرقاً مبتدعة وضالة كذلك أصدرت الفرقة الكثير من الردود على المخالفين.

والفرقة السلفية على صلة وثيقة بالمؤسسة الوهابية في الجزيرة العربية تستمد منها الفتوى والدعم والإرشاد.

وقد انشقت عن التيار السلفي في مصر مؤخراً فرقة متطرفة تبنت فكرة التكفير على أسس سلفية.

وكان السبب المباشر في ظهور هذه الفرقة وانشقاقها هو الموقف من الإسلاميين الذين شاركوا في الانتخابات التشريعية لمجلس الشعب المصري، حيث كان موقف الفرقة الأم عدم تكفيرهم بينما رأت الفرقة المنشقة أنّهم كفار وقامت بإصدار منشور تدعم من خلاله أفكارها تحت عنوان: القول السديد في أن دخول مجلس الشعب مناف للتوحيد.

وقد كثرت الفرق السلفية مؤخراً في بقاع كثيرة وضاق بها فقهاء الفرق الأخرى من أهل السنة حيث أن هذه الفرق لا تستقطب إلاّ الشباب من

صغار السن الذين يتميزون بقلة الخبرة والتهور والاندفاع في إصدار الأحكام وعدم التأدب بأدب السلف مع المخالفين [1].

---

[1] كان عناصر هذه الفرقة يسخرون من كبار رموز فرق أهل السنة المخالفة لهم، وكذلك الرموز المستقلة من الدعاة والمفكرين الإسلاميين، وقد حظى الشيخ محمد الغزالى بنصيب كبير من الهجوم والمحاربة وكتبت ضده الكثير من الردود.

انظر لنا الحركة الاسلامية في مصر.

شريعة محمد:

وهي فرقة برزت في باكستان على يد صوفي محمد، رافضاً اعتدال الفرق الأخرى تجاه المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية.

وليس لصوفي محمد نتاجات عقائدية أو فكرية تضعه بين مصاف الرموز الكبرى في الواقع الباكستاني كالمودودي مثلا، كما أنه ليس له تاريخ سياسي سابق في الساحة الباكستانية.

ولا توجد لهذه الفرقة مميزات تميزها عن الفرق الأخرى في باكستان سوى أنها تتبنّى نهج التطرف في مواجهة الواقع سيراً مع النهج الوهابي، وقد برز تطرفها مؤخراً في اندفاع زعيمها ومعه الآلاف من عناصر فرقته نحو أفغانستان للقتال إلى جوار فرقة طالبان مؤخراً [1] .

ويمكن تحديد عقائد هذه الفرقة وأفكارها في النقاط التالية:

ـ الالتزام بنهج السلف وعقائدهم واجتهادتهم.

ـ وقف التعامل مع العصر إلاّ في حدود هذا النهج وهذه العقائد.

ـ تبني الأطروحة الوهابية.

---

[1] كان هذا الموقف مخالفاً لسياسة الحكومة في باكستان والتي اضطرت إلى القبض على صوفي محمد حين عودته إلى موطنه بعد هزيمة طالبان ومقتل الكثير من عناصره وفقد الكثير منهم في أفغانستان.

- مقاومة البدع والضلالات.

- الدعوة إلى تطبيق الشريعة.

وتعدّ هذه الفرقة من الفرق المنغلقة شديدة التعصب في الواقع الباكستاني.

جند الصحابة:

برزت هذه الفرقة المتطرفة في باكستان أيضاً كرد فعل لحالة الاعتدال التي تسود الفرق الأخرى تجاه خصومهم ومخالفيهم في الساحة الباكستانية، فلم ترض هذه الفرقة عن مواقف الفرق الأخرى المتسامحة تجاه الآخرين خاصة الشيعة، فبرزت لتسدّ هذا الفراغ في تصورها وتحيي سنة الجهاد ضد المسلمين المخالفين.

من هنا فإن هذه الفرقة قامت بتسليح عناصرها وتدريبهم على وسائل القتال والهجوم والكر والفر، ليقوموا بالإغارة على قرى الشيعة ومساجدهم ومراكزهم وينشروا الرعب والفزع في وسط المسلمين الآمنين.

وهذه الفرقة وهابية النزعة شديدة التعصب لا تملك طرحاً فقهياً أو نهجاً ثقافياً، فقط تملك السلاح والمعتقد الوهابي.

وقد اعلنت عن تحالفها ومناصرتها لفرقة طالبان في أفغانستان التي تسير على نهجها وتعتقد بمعتقدها، وأصبحت تمثل قلقاً أمنياً لحكومة باكستان.

وليس لهذه الفرقة أي انتشار خارج المحيط الباكستاني، كما أنّها تعتبر

من الفرق المحددة الانتشار بالقياس إلى الفرق الأخرى السائدة في باكستان.

الأزاهرة:

وهذه الفرقة تنتسب إلى المؤسسة الدينية الحكومية في مصر، وهي مؤسسة الأزهر، وعناصر هذه الفرقة لهم زي خاص من بقايا العصر المملوكي العثماني، ويضعون على رؤوسهم قلنسوة حمراء ملفوفة بعمامة بيضاء.

والنهج الحنفي هو النهج السائد بين عناصر هذه الفرقة، وهو من موروثات العصر العثماني الذي كان يدين بهذا النهج.

وقد أقام الأزاهرة الكثيرمن التحالفات مع الفرق الأخرى المختلفة مثل الإخوان والوهابيين والشيعة، ثم انقلبوا على هذه الفرق وأعلنوا الحرب عليها تحت ضغط الحكومة.

وفرقة الأزاهرة لا تحكمها عقيدة ثابتة فهي مع الحكومة ورهن إشارتها لكونها ربة المؤسسة الأزهرية، وهي التي تختار رموزها وتعين مشايخها وتنفق عليهم، فمن ثم هي تتقلب بصورة مستمرة مع سياسة الحكومة لا مع الدين.

وفي الفترة الملكية من حكم مصر كانت هذه الفرقة تبارك الملك وتضفي المشروعية على سياساته ومواقفه، وفي الفترة الجمهورية في عهد عبد الناصر كانت تناهض الوهابية والإخوان والكيان الصهيوني.

وفي عهد السادات تحالفت مع الوهابية والإخوان وباركت التقارب مع الكيان الصهيوني والاعتراف به، وأعلنت الحرب على إيران والشيعة ولا تزال على هذا الموقف لكون سياسة الحكومة لم تتغير تجاهه.

إن فرقة الأزاهرة قد أسهمت بدور كبير في تشويه الدين وجعله في خدمة الحكام ليس في مصر وحدها بل في بقاع أخرى كثيرة وصلتها بعثاتهم المضللة الباحثة عن الدولار والريالات.

فرقة طالبان:

بعد اندحار القوات السوفيتية من أفغانستان لـم تـستطع الفـرق الأفغانيـة التي ترفع لواء الـسنة والجهـاد أن تحقـق الأمـن والاسـتقرار وتقـيم الدولـة الإسلامية المنـشودة بعـد أن تيـسر لهـا سـبيل الاسـتخلاف فـي الأرض، إذ اقتتلت فيما بينها ودامت الحـروب بيـنهم سـنوات طويلـة راحـت ضـحيتها البلاد والعباد وعم الفساد الأرض.

وكان أن استفز هذا الوضع مجموعات من طلاب المدارس الدينية من الأفغان الذين يدرسون في باكستان والذين فقدوا الأمـل فـي صـلاح هـذه الفـرق واسـتقامتها وقـدرتها علـى إقامـة دولـة، فقامـت هـذه المجموعـات بتنظـيم صـفوفها وتـدريب عناصـرها وإعـدادها فـي قواعـد أعـدتها لهـم باكستان بدعم من المخابرات الأمريكية.

ثم دفعت باكستان بهذه المجموعات نحو أفغانـستان لتغزوهـا وتـدخل في صدام مع الفـرق المتنـاحرة علـى سـاحتها وتـتمكن مـن التغلـب عليهـا ودحرها عن أغلب مناطق أفغانستان وإقامـة دولـة طالبـان التـي بـدأت فـي فرض أفكارها وعقائدها على المدن الخاضعة لنفوذها.

وتعـدّ أفكـار وعقائـد فرقـة طالبـان امتـداد لأفكـار وعقائـد الحنابلـة والوهابيين المتشددين.

إلاّ أن فرقة طالبان بمجرد أن تمكنت من السلطة قامت بممارسات معوجة وتطبيقات خاطئة للدين، حيث رفعت شعار العنف في تصفية المخالفين لها والمعارضين لأفكارها من أبناء الشعب وقامت بإعدامهم بتهمة الخيانة وفرضت قيوداً على حرية الرأي والفكر وعزلت أفغانستان عن العالم الخارجي وقمعت أفرادالشعب ولم تنجح في إقامة سياسة عادلة على مستوى الداخل كما لم تنجح في إقامة علاقات طيبة مع الدول المجاورةلها ودول العالم الأخرى، ذلك كله ما دفع الأفغان إلى النفور منها ودعم الجبهات المعارضة لها من الفرق الأخرى ووقوعها في عزلة دولية.

ولقد أدت مواقف وممارسات طالبان المتطرفة والتي تعكس حالة الانغلاق والعيش بعقل الماضي إلى وقوعها في مآزق كثيرة، وعلى رأس هذه المآزق فقدانها القدرة على التعايش مع الواقع وما زاد الطين بلة احتضانها للفرق الجهادية العربية الفارة من مواطنها والتي جرت عليها في النهاية المصيبة الكبرى التي تمثلت في الغزو الأمريكي لأراضي أفغانستان.

وأصبحت طالبان وحدها في مواجهة القوات الأمريكية، وقد تخلت عنها باكستان تأتيها الضربات من كل مكان.

وحلت الفرق المناوئة لها بمعونة القوات الأمريكية محلها في كرسي الحكم الذي لم تستطع الحفاظ عليه.

ويمكن تحديد الأسس والأصول التي تميز فرقة طالبان عن الفرق الأخرى فيما يلي:

ـ الانغلاق.

ـ انعدام الوعي والمرونة والخبرة.

ـ التعصب.

ـ عقل الماضي.

ـ اعتقاد أنهم الحق المطلق.

أما الفرق الأفغانية الأخرى فيغلب عليها الطابع العرقي الذي جعلها تتناول الدين بصورة مختلفة وقبلية، وهو الأساس في خلافها مع فرقة طالبان، فإن النموذج الذي تبشر به، والتصور والمعتقدات التي تؤمن بها لا تختلف كثيراً عن فرقة طالبان، من هنا فإن الأساس في صراعها مع طالبان هو أساس قبلي مصلحي.

وقد وجدت الفرق الأفغانية ـ كما هو حال فرق أهل السنة الأخرى ـ في نهج أهل السنة التأويل الوافي والتبرير الكافي لاستحلال كل منها للأخرى والقضاء عليها، فليس من الغريب أن تجد عناصر هذه الفرق وقادتها يسلطون مدافعهم على المدن ويدمرونها على رؤوس الأبرياء ومخالفيهم من الفرق الأخرى، ثم يقيمون بعد ذلك الصلاة ويلتمسون من الله النصر والتمكين.

النتائج:

ممّا سبق عرضه من حال فرق أهل السنة يتبين لنا ما يلي:

أولا: أن هذه الفرق متناحرة فيما بينهايكفّر بعضها بعضاً،والمعتدل منها ينظر إلى الأخرى بعين الشك والتربص.

ثانياً: أن الخلافات السائدة بين هذه الفرق لا تختلف في شيء عن الخلافات السائدة بين الفرق الأخرى خارج دائرة أهل السنة.

ثالثاً: أن طرح هذه الفرق لايختلف في شيءعن طرح الفرق الأخرى.

رابعاً: إن ارتباط فرق أهل السنة بالحكام هو العامل الوحيد الذي أعطى لهذه الفرق القوة والانتشار.

خامساً: إن فرق الحاضر تنكرت لفرق الماضي وكفرت بها.

السلفيون كفروا بالأحناف والمالكية والشافعية.

والتكفير أعلن كفره بجميع فرق أهل السنة.

والجهاد نقض فكرة طاعة الحكام التي حافظت على أهل السنة إلى اليوم.

والوهابيون كفروا بالجميع عدا الحنابلة وابن تيمية.

وهذه الفرق الأربعة كفرت بفرقة الإخوان المسلمين وفرقة التبليغ والدعوة وفرقة حزب التحرير وفرقة الجماعة الإسلامية.

وفرقة حزب التحرير كفرت بكل هذه الفرق واعتبرتها متخلفة في المواقف وأنماط التفكير.

إلاّ أن جميع هذه الفرق تدين بالولاء والتبعية لفرقة الرواة فهي تستمد منها المشروعية من خلال الروايات التي جاءت بها والتي تعدّ الركيزة الإساسية لفرق الماضي والحاضر.

خاتمة: مستقبل أهل السنة

الفرق القادمة والفرق الراحلة

تبين لنا ممّا ذكرناه أن هناك حالات من التمرد العقائدي وقعت في دائرة أهل السنة على مستوى الماضي والحاضر.

على مستوى الماضي تبرز أمامنا حالة تمرد الخلف على السلف، والتي تمثّلت في حركة الأشعري ومن بعده تلاميذه مثل الغزالي والجويني والأخنائي [1].

وحركة تمرّد الماتريدي وتلاميذه من بعده [2].

وحركة تمرّد ابن تيمية في القرن الثامن [3].

وعلى مستوى الحاضر برزت حركة التمرد التي قادها التكفير.

وحركة التمرد التي قام بها بعض الرموز مثل الشيخ الغزالي والدكتور

---

[1] انظر سيرة الغزالى والرازي والاخنائى والجوينى فى كتب التراجم والتاريخ، وقد انتقل الغزالى من الأشعرية إلى الفلسفة، ثم إلى التصوف، وهوجم بشدة من قبل فرق أهل السنة. ونفس الحالة مرّ بها الرازي والأخنائي وغيرهم.

[2] انظر سيرة الماتريدي وتلاميذه الذين تمرّدوا على نهج الأشعري في كتب التاريخ التي أشرنا إليها.

[3] قال ابن تيمية بعدم اعتبار الثلاث طلقات في مكان واحد ـ طلقة بائنة بينونة كبرى ـ وهذا يخالف مذهب عمر بن الخطاب الذي عليه فرق أهل السنة. ويتفق مع الشيعة الذين يعتبرون الثلاثة طلقات في مكان واحد طلقة واحدة. وقد اصطدمت فرق أهل السنة بابن تيمية بسبب هذا القول. انظر الدرر الكامنة ج١.

عبدالصبورشاهين والدكتور يوسف القرضاوي، وهذه الحركات المتمردة وجدت في ظل واقع ومتغيرات تطلبت أن يحدث نوعاً من التغيير في الأطر العقائدية والفكرية التي تقوم على عقل الماضي فجاء تمرّدها ضمن الإطار العام لأهل السنة.

لقد كان من الممكن لأطر أهل السنة أن تحتمل حركات التمرد في الماضي،وذلك لكون الفجوة لم تكن واسعة بينها وبين الواقع آنذاك، لكن التحدي يكمن في صمود هذه الأطر أمام متغيرات الواقع الحالي، وهو أمر فيه شك ونحن نرصد حركات من التمرد الشامل تمثّلت في انتقال الكثير من رموز أهل السنة وعناصرها إلى الشيعة [١] .

هذا مع الإشارة إلى حركات التمرّد الداخلية ضمن الفرق والتي تهدّد كيانها بالتمزق والتشرذم، وهو ما نراه واقعاً داخل فرقة الإخوان والفرق الوهابية والصوفية والجهادية وحتى فرقة الأزاهرة [٢] .

إن فرق أهل السنة أصيبت بهزّة كبيرة في العصر الحالي زلزلت كياناتها، وهذه الهزة كانت بسبب مجموعة من الحوادث والمتغيرات شكّلت ضغطاً

---

[١] انظر لنا كتاب الخدعة. وانظر كتاب ثم اهتديت للدكتور التيجانى التونسى، وكتاب لقد شيعنى الحسين لإدريس الحسينى، وكتاب لماذا اخترت مذهب آل البيت للأنطاكى، وهذه الكتب وغيرها تتضمن تجارب عدد من رموز وعناصر السنة الذين تحوّلوا إلى الشيعة.

[٢] انظر لنا كتاب الحركة الإسلامية في مصر. وقد برزت انشقاقات كثيرة داخل فرقة الأزاهرة كان آخرها بروز جبهة معادية لشيخ الأزهرية الحالي تحت مسمى جبهة علماء الأزهر.

كبيراً عليها وتركّزت فيما يلي:

ـ بروز الجماعات.

ـ قيام الثورة الإسلامية في إيران.

ـ أزمة الخليج.

ـ المستنقع الأفغاني.

ـ المواجهة الدولية.

وهذه التحديات الخمسة التي تحاصر فرق أهل السنة في هذا الزمان إنما تمثّل تحدياً مصيرياً لها.

كان بروز الجماعات بعقائدها وأفكارها المختلفة يمثّل إحراجاً كبيراً لها، وكان عجزها عن احتوائها جعلها في وضع أكثر حرجاً.

وكان قيام الثورة الإسلامية في ايران قد عرى هذه الفرق وحجب عنها الأبصار ودفع بها إلى التحالف مع نظام البعث العراقي في حربه التي شنّها بدعم من القوى الأجنبية لإجهاض الثورة في بدايتها.

وجاءت أزمة الخليج وغزو الكويت لتلقّن أهل السنة بفرقهم المختلفة درساً قاسياً تسبب في إحداث البلبلة الفكرية داخل صفوفهم، وكان المأزق الذي وضعتهم فيه هذه الأزمة هو أسوأ وأشد تعقيداً من مأزقهم السابق في مواجهة ايران، وقد نتج عنه أن وقعوا في تناقض عقائدي أمام أتباعهم وخصومهم على السواء[1] .

---

[1] كان مأزق أهل السنة تجاه ايران يكمن في مناصرتهم لنظام بعثي إسلامه موضع شك في نظرهم ضد نظام إسلامي خارج دائرة معتقداتهم ومذاهبهم، وكان مأزقهم تجاه العراق يكمن

أما المستنقع الأفغاني فقد أوقعهم فيه عقل الماضي والتعصب المذهبي والحكام، فكان بمثابة مصيدة وفخ نصب لهم بإحكام.

كان المتوقع أن تكون نتيجته نصرة أهل السنة وقيام دولة سنية قوية بجوار المارد الشيعي الذي نهض في ايران.

الحكومات كانت لها حساباتها.

وفرق السنة كانت لها حساباتها.

وكانت النتائج نكبة على الطرفين.

إلاّ أن الطرف الأقوى وهو الحكومات قام بتحريك الدفة إلى الاتجاه الذي يخدم مصالحه، فكانت النتيجة هي التضحية بفرق أهل السنة.

وهكذا خذلت الحكومات أهل السنة الذين باركوها ونصروها.

وأصبح أهل السنة بين أمرين:

إما أن يكفروا بهذه الحكومات وبالتالي ينقضوا معتقداتهم بوجوب طاعتهم.

وإما أن يستسلموا لهم ويستمروا في مباركتهم، وهذا من شأنه أن يعرّض مستقبلهم للخطر وكلا الخيارين أمرّ من الآخر بالنسبة لهم.

في كونهم سحبوا منه المشروعية لغزوه الكويت في الوقت الذي أضفوا عليه المشروعية حين غزا ايران، وفوق ذلك أعلنوا مشروعية الاستعانة بالمشركين لحماية آل صباح وآل سعود وحكّام الخليج الأمر الذي يخالف رواياتهم ومعتقداتهم لكنهم برّروه كعادتهم وفق معتقداتهم الثابتة في الحكام.

وفيما يتعلق بالمواجهة الدولية فهى ناتجة عن وقوع فرق أهل السنة فى المستنقع الأفغانى، فقد حازت هذه الفرق على نقمة حكومات العالم التى كانت ترتع فى ظلها هذه الفرق خاصة فى دول أوروبا، والتى أصبحت تنظر لها اليوم بعين الشك، وتسعى إلى استئصالها والاستراحة من شرها.

ومن هنا أصبحت الحكومات التى كانت فرق أهل السنة تستظل بظلها وتحتمى بها مصدر تهديد لوجودها ومستقبلها، وهذا يعنى أنها نقضت التحالف القائم معها.

ولقد كان أهل السنة فى الماضى يستمدون قوتهم من الحكام وفقدهم هذا السند فى الحاضر يعنى فقدهم القدرة على الاستمرار والبقاء.

وعلى ضوءهذاكله يمكن الحكم أن مستقبل فرق أهل السنة فى خطر.

خطر من الداخل.

وخطر من الخارج.

وليس هناك من سبيل لدرءهذا الخطر سوى الاتجاه نحو التصحيح فى مواجهة تمرّدالفرق الجديدة وفى مواجهة تغيرموقف الحكومات منها [1] .

تصحيح العقائد.

---

[1] اتجهت بعض فرق أهل السنة المعاصرة الى تبنّى الجمع فى الصلوات بلا سفر ولا مطر، أي فى الحضر، وهو ما تقول به الشيعة، وقد وجدوا له أسانيد فى مصادرهم، لكن الفرق السابقة عتمت عليها، كذلك خالفت هذه الفرق فى مسألة توقيت الصلوات. وبخصوص الحكومات فهناك تغير واضح فى موقف الحكم السعودي وحكومة باكستان تجاه فرق أهل السنة، وما يجب ذكره هنا هو ان الواقع السعودي والواقع الباكستاني كانا مركز تفريخ الفرق السنية المعاصرة.

تصحيح الروايات.

تصحيح المفاهيم.

تصحيح المواقف [1] .

ولما كان أهل السنة على وجه العموم اليوم يرفضون التصحيح، فهم سوف يصطدمون حتماً بحالات التمرد الواقعة فى دائرتهم، بل قد اصطدموا بها فعلا وتخطتهم الفرق الجديدة التي برزت على ساحة الواقع منذ أكثرمن نصف قرن وهى مستمرة حتى اليوم فى تخطّى الفرق القديمة العاجزة عن مواكبة الواقع والمتغيرات.

ولما كانت فرقة الجهاد تواجه ضغوطاً شديدة من قبل أهل السنة ومن قبل الحكومات اليوم، فإنا نستطيع التنبأ أن هذا الضغط سوف ينتج عنه فرق جهادية أكثر تطرفاً فى مواجهة الواقع والحكومات وأهل السنة أيضاً.

وطالما استمر الواقع فى تخطى القيم والابتعاد عن الدين فسوف تستمر حالة التفريخ للفرق المتطرفة فى دائرة أهل السنة وعلى رأسها فرق التكفير.

واعتقد أن فرق الجهاد والتكفير هى الفرق التى سوف تكون لها السيادة والانتشار فى واقع أهل السنة مستقبلا، بينما لن يكون هناك وجود للفرق التقليدية كفرق السلفيين والوهابيين والفرق ذات التوجه السياسى كفرقة الإخوان وفرقة حزب التحرير.

إن هناك انهياراً قادماً لعدد من الحكومات التقليدية التى تستثمر

[1] انظر لنا أهل السنة والتصحيح.

الورقة الإسلامية من خلال أهل السنة، وانهيارها هذا سوف تكون نتائجه بالغة الخطورة على فرق أهل السنة التي تعمل تحت مظلة هذه الحكومات والتي أخذ بعضها يضغط على حكوماته لتلافي هذا الانهيار الذي يهددهما [1].

إن التاريخ قد طوى لنا صفحات الكثير من فرق أهل السنة بحيث لم يبق من هذه الفرق سوى نصوص تحويها صفحات الكتب تدرس في المدارس الدينية وتعمل بها بعض المؤسسات الدينية الحكومية.

وبرزت محلها فرقاً أخرى جديدة مثل فرق التكفير والجهاد والإخوان والجماعة الإسلامية والسلفيين واستحوذت على الجيل الجديد من شباب أهل السنة.

والفرق الجديدة الكثير منها في الطريق إلى الزوال لتصبح في ذمة التاريخ وتلحق بسابقتها من الفرق القديمة.

ولا يعود سبب الانهيارات الدائمة في دائرة أهل السنة وغياب فرق وظهور فرق إلى الخلل في الطرح السني وضعف عقائدهم وأفكارهم في

---

[1] ضغط رموز الفرقة الوهابية على حكّام آل سعود فى الفترة الأخيرة كى يتخذوا موقفاً معارضاً للموقف الأمريكى تجاه الفرق الجهادية فى أفغانستان وغيرها وقام آل سعود بالضغط على الأنشطة الوهابية المتطرّفة وتمثّل هذا مؤخراً فى الحد من نشاط جماعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وبرز في باكستان مؤخراً موقفاً متشدّداً من قبل حكومة "مشرف" تجاه الفرق السنية خاصة تلك التي تحالفت منها مع فرقة طالبان مثل فرقة شريعة محمد وفرقة جند الصحابة.

مواجهة الواقع فقط بل يعود الى ارتباطهم الدائم بالحكومات التي كان زوالها سبباً في زوال الفرق التي ارتبطت بها.

واليوم أسهمت الحكومات في قيام الكثير من الفرق مثل الجماعة الإسلامية والسلفيين والإخوان في مصر وطالبان في أفغانستان وجند الصحابة في باكستان والفرق الوهابية في جزيرة العرب،ثم انقلبت عليها فيما بعد وقررت القضاء عليها لمّا تبيّن أنها تشكّل خطراً على أمنها ونفوذها [1] .

ولا شك أن القضاء على فرقة طالبان وفرقة الجهاد في أفغانستان سوف تكون له ردودأفعال تسهم في خلق فرق أكثر تطرّفاً في أوساط أهل السنة.

والفرق القادمة في محيط أهل السنة لن تنحصر في حدود العالم الإسلامي وإنما سوف تمتد إلى أوربا حيث تبعث على هيئة متطورة على يد المسلمين الأوربيين تنذر بخطر داهم يهدد أوروبا من قبل العالم الإسلامي.

[1] أخرج السادات الإخوان والتكفير والقطبيين من المعتقل بعد أن تسلّم السلطة فى مصر، ودعم السلفيين والجماعة الإسلامية فى محيط الجامعة المصرية كى تطوق النشاطات الناصرية واليسارية المعادية له فى ساحتها ودعمت السعودية وباكستان وأمريكا فرقة طالبان في البداية ومهّدت لها الطريق للاستيلاء على الحكم في أفغانستان.

ملاحق الكتاب

ملحق (١)

قراءة في كتاب الفرق بين الفرق للبغدادي

كيف نقرأ التراث؟

سؤال يفرض نفسه عند محاولة القراءة في أطروحات السلف، وهو يفرض علينا من جهة أخرى تحديد ماهية التراث.

إن التراث هو الناتج البشري الحادث فوق القرآن، أي أن التراث شيء والقرآن شيء آخر.

القرآن ثابت لا يتغير ولا يؤخذ فيه ولا يرد.

والتراث غير ثابت يتغير ويؤخذ فيه ويرد.

القرآن يحوي كلام الله.

والتراث يحوي كلام البشر.

ومن هذا المنظور تعد كتب الحديث والفقه والتاريخ والفرق والآداب والشعر كلها من التراث.

وإذا سلّمنا بهذا التعريف للتراث فإن قراءتنا لأطروحاته سوف تكون قراءة مختلفة تخضع للنقد والمراجعة.

أما إذا سلّمنا برؤية فرق أهل السنة التي تقدّس التراث وتشركه مع القرآن وتربطه به، فهذا يعني أننا سوف نتعامل مع أطروحاته بمنطق

التسليم الذي يجعل النقد والمراجعة درب من دروب الزندقة والزيغ والضلال.

وهذا هو جوهر الخلاف بين فرق أهل السنة والفرق الأخرى.

أهل السنة يرفضون النقد والمراجعة واستخدام العقل في مواجهة التراث.

والفرق الأخرى توجب النقد والمراجعة واستخدام العقل.

من هنا كان الصراع عنيفاً بينهما خرج من طور الحوار والجدال ليصل إلى البطش والقتل والتشريد الذي كان من نصيب خصوم أهل السنة على الدوام وبمساعدة الحكّام الذين حقّقوا السيادة والانتشار لهم على حساب الفرق الأخرى.

من هنا أيضاً ساد الإرهاب الفكري الذي حال بين المسلمين وبين أن يخوضوا في قضايا التراث ويعملوا عقولهم في أطروحاته.

وبمرور الزمن تلقّت الأجيال المسلمة جيلا بعد جيل التراث بمنظور الفرقة السائدة المتمكنة المدعومة من السلطة.

وحتى نتمكّن من قراءة التراث قراءة صحيحة لابدّ لنا من تحقيق ما يلي:

قراءة العصر.

قراءة المؤلف.

قراءة الفرقة التي ينتمي لها المؤلف.

وهذا ما سوف نطبّقه في قراءتنا لكتاب الفرق بين الفرق.

عصر المؤلف:

نشأ المؤلف في أواخر العصر العباسي، وهو عصر ركدت فيه الحركة العلمية وكثرت فيه الاضطرابات والفوضى وتسلّط فيه البويهيون.

وكان البويهيون يلتزمون بمذهب الشيعة الإمامية، وقد استظل الشيعة بظلهم في بغداد وأشهروا شعائرهم وأعلنوا عن أنفسهم، فكان أن استفز أهل السنة واصطدموا بهم ووقعت الكثير من الفتن [1] .

وفي حياة البغدادي مرّ على بغداد سبعة من الخلفاء العباسيين هم:

- القاهر بالله.
- الراضي بالله.
- المتقي لله.
- المطيع لله.
- الطائع لله.
- القادر بالله.
- القائم بأمر الله.

وهذا الأمر يدلّ على مدى حالة الضعف والتردي التي كان يعيشها

---

[1] انظر حوادث عام ٤٠٨هـ وعام ٤٢١هـ وعام ٤٢٢هـ في كتب التاريخ، وقد كثرت الفتن والاضطرابات والقحط وهجمات اللصوص، وكثر السلب والنهب والبلاء ببغداد وما حولها طوال النصف الثاني من القرن الرابع وأوائل القرن الخامس فترة حياة البغدادي. انظر المراجع التاريخية.

الحكم العباسى فى بغداد آنذاك.

هذا فى الوقت الذي برزت فيه الخلافة الفاطمية الشيعية فى مصر والشام لتزيد العباسيين ضعفاً على ما هم فيه من ضعف.

وبرزت فيها أيضاً حركة القرامطة بالإضافة إلى نشاط الفرق الأخرى مثل المعتزلة والقدرية والكرامية.

ولعل هذا الوضع هو ما دفع بعائلة البغدادي إلى الرحيل من بغداد والاتجاه إلى خراسان حيث كانت الحركة العلمية ناشطة هناك [1].

ونخرج مما سبق عرضه بما يلى:

- أن عصر البغدادي كان عصر اضطرابات سياسية واجتماعية.
- إن الفرق المناوئة لأهل السنة برزت بقوة على ساحة الواقع.
- إن أهل السنة نشطوا فى الدفاع عن أنفسهم ومهاجمة الفرق الأخرى.

ولا شك أن عصر هذه أوضاعه لابدّ وأن ينعكس على أهل الفقه والفكر والقلم الذين يعيشون فى ظله وعلى رأسهم البغدادي الذي نرى ردّ الفعل تجاه عصره واضحاً من خلال كتاباته.

نراه واضحاً من خلال ردوده الشديدة اللهجة على المخالفين.

ونراه فى تعصّبه الشديد لأهل السنة.

ونراه فى تركيزه على فكرة الإمامة والحكم ووجوب السمع

[1] نشأ البغدادي مع أسرته في بغداد ثم رحلوا إلى خراسان، وسكن نيسابور، ودرس على أهل العلم والحديث فيها وفارقها عام وفاته ٤٢٩هـ بعد نشوب فتنة التركمان فيها إلى أسفراين، وتوفي فيها ودفن إلى جوار استاذه وشيخه الأسفراييني.

والطاعة للحكام.

وعلى الرغم من هذه المؤلفات الكثيرة التي صنّفها البغدادي إلاّ أن الفقهاء والمؤرخين لم يعدوه في زمرة الفقهاء والمحدّثين، وإنما عدوه من زمرة الأصوليين وشهد له الكثير من الفقهاء بطول باعه في هذا الجانب [1] .

حياة المؤلف:

نشأ عبدالقادر البغدادي في بيئة سنية ببغداد، ثم سكن نيسابور ودرس الفقه والحديث على يد فقهاء أهل السنة.

ومن أبرز أساتذة البغدادي أبو إسحاق الاسفراييني الفقيه الأصولي المتوفى عام ٤١٨هـ كما تفقّه على يد أئمة الحديث في زمانه.

وكانت ميول البغدادي تتجه نحو أصول الدين، وقد تخصص في هذا الجانب وذاع صيته فيه حتى أنه حل محل شيخه الأسفراييني بعد وفاته، وأصبح أشهر علماء خراسان، وروى عنه الكثير من فقهاء أهل السنة.

ويروى أن البغدادي كان على قدر من الثراء وأنه أنفق ما له على أهل العلم وصنف الكثير من الكتب.

ومن مؤلفاته:

- أصول الدين.

---

[1] قال عنه السبكي في طبقات الشافعية: حبر لا يساجل في الفقه وأصوله وعلم الكلام وقال عنه الرازي: كان يسير في الرد على المخالفين سير الآجال في الآمال. وقال عنه أبو عثمان الصابوني: كان من أئمة الأصول بديع الترتيب غريب التأليف.

- الناسخ والمنسوخ.
- فضائح المعتزلة.
- تأويل المتشابهات في الأخبار والآيات.
- الإيمان وأصوله.
- الملل والنحل.
- نفي خلق القرآن.
- فضائح القدرية.
- الصفات.
- فضائح الكرامية.
- بلوغ المدى في أصول الهدى.
- إبطال القول بالتولد.
- معيار النظر.
- العماد في مواريث العباد.
- الكلام على الوعد والوعيد.

ويظهر لنا من هذه المؤلفات أنّها تدل على عصبية المؤلف ووقوفه موقف التحدّي والتربّص بالفرق الأخرى، والعصبية والتربص صفتان تلازمان رموز أهل السنة في مواجهة خصومهم على الدوام.

فرقة المؤلف:

وكما هو واضح من نشأته ومؤلفاته أن البغدادي ينتمي إلى فرقة الشافعية في الفقه والأشاعرة في الاعتقاد.

ومن هنا نستطيع القول أن كتابه الفرق بين الفرق كتب بمنظور أهل السنة وليس بمنظور البحث العلمي المجرّد، وهو المتوقع من كاتب سخّر قلمه للذود عن أهل السنة والتشنيع بالخصوم وفضح المخالفين كما هو واضح من كم المؤلفات التى صنّفها وكما سوف يتّضح من خلال استعراض نصوص كتابه الفرق بين الفرق.

ومن الملاحظ أن جميع الكتب التى صدرت عن الفرق خرجت من دائرة أهل السنة، وهذا يدل على أن هذه الكتب لم تنصف الخصوم من الفرق المخالفة بل ركّزت على فضحهم وتعريتهم بغير حق وذلك بهدف تثبيت أتباع أهل السنة.

ويدلّ من جانب آخر على مدى حالة الحصار والتعتيم التى فرضت على الفرق الأخرى وحالت دون وصول صوتها إلى المسلمين والدفاع عن نفسها في مواجهة أهل السنة والحكّام.

نصوص الكتاب:

يبدأ البغدادي كتابه بذكر السبب الذي دعاه إلى تصنيفه بقوله:

سألتم أسعدكم الله بمطلوبكم شرح معنى الخبر المأثور عن النبي في افتراق الأمة ثلاثاً وسبعين فرقة منها واحدة ناجية تصير إلى جنة عالية وبواقيها عادية تصير إلى الهاوية والنار الحامية، وطلبتم الفرق بين الفرقة الناجية التي لا يزل بها القدم ولا تزول عنها النعم، وبين فرق الضلال الذين يرون ظلام الظلم نوراً واعتقاد الحق ثبوراً وسيصلون سعيراً ولا يجدون من الله نصيراً. فرأيت إسعافكم بمطلوبكم من الواجب فى إبانة الدين

القـويم والـصراط المـستقيم. وتميزهـا مـن الأهـواء المنكوسـة والآراء المعكوسة ليهلك من هلك عن بينـة، ويحيـا مـن يحيـا عـن بينـة، فأودعـت مطلوبكم مضمون هذا الكتاب [١] .

من هنا بدا البغدادي في كتابه في بيان الحديث الخاص بافتراق الأمـة، وقد توسّع في هذا الباب في شرح طرقه وأسانيده ونقله من ثلاث طرق:

عن أبي هريرة.

وعن عبدالله بن عمر.

وعن أنس بن مالك.

وقال البغدادي: للحديث الوارد في افتـراق الأمـة أسـانيد كثيـرة، وقـد رواه عن النبي جماعة من الصحابة كأنس وأبي هريرة وأبي الدرداء وجابر وأبي سعيدالخدري وأُبي بن كعب وعبدالله بن عمرو بـن العـاص وأبـي إمامـه وواثلة بن الأسقع وغيرهم، وقد روى عن الخلفـاء الراشـدين أنهـم ذكـروا افتـراق الأمـة بعـدهم فرقـاً وذكـروا أن الفرقـة الناجيـة منهـا فرقـة واحـدة وسائرها على الضلال في الدنيا والبوار في الآخرة.

وسبق لنا الإشارة إلى هـذا الحـديث فـي مقـدمات الكتـاب وأنـه علـى الرغم من طرقه الكثيرة لم يرق إلى مستوى الصحة التي تجعله في مصاف الأحاديث الصحيحة، فإن طرقه الكثيرة تفتح الباب واسعاً لنقد سنده هذا

[١] تأمل كلام البغدادي ولغته الخطابية وتعصّبه لفرقته وضمان صوابها المطلق ومحاولة تأكيد أن الحديث خاص بهم وأنهم الفرقة المقصودة بالنجاة، ولغته بشكل عام تحاول توطين هذه الفكرة في نفوس الاتباع والسائلين.

بالإضافة إلى متنه الذي لا يستقيم مع العقل ومع نصوص القرآن كما ذكرنـا. وقد حاول البغدادي استثناء فرق الفقهاء من الفرق المذمومة أهل النار مشيراً إلى أن الرسول لم يقصدهم بحديثه عن الفرق التي عدّها من أهل النار[1].

وذكرالبغدادي أن فرق الفقهاء اختلفوا في فروع الفقه مع اتفاقهم على أصول الدين.

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو: هل الفرق المخالفة لأهل السنة لم تتفق فيما بينها على أصول الدين؟

وما هي أصول الدين بالتحديد؟

في منظورالبغدادي أن أهل السنة هم أهل الأصول، وبالتالي فإن الفرق التي اختلفت معهم إنما هي فارقت الأصول، وهذا التصور نابع من كونهم الفرقة الناجية ويوضّح لنا البغدادي ذلك بقوله:.. وإنما فصل النبي ﷺ بذكر الفرق المذمومة فرق أصحاب الأهواء الضالة الذين خالفوا الفرقة الناجية في أبواب العدل والتوحيد أو في الوعد والوعيد أو في بابي القدر والاستطاعة أو في تقدير الخير والشر أو في باب الهداية والضلال أو في باب الإرادة والمشيئة أو في باب الرؤية والإدراك أو في باب صفات الله عزوجل وأسمائه أو في باب من أبواب التعديل والتجوير أو في باب من أبواب النبوة وشروطها ونحوها من الأبواب التي اتفق عليها أهل السنة والجماعة من فريقي الرأي والحديث على أصل واحد خالفهم فيها أهل

---

[1] انظر نماذج من هذه الأحاديث في فصل أهل السنة الإطار المذهبي.

الأهواء الضالة من القدرية والخوارج والروافض والنجارية والجهمية والمجسمة والمشبهة ومن جرى مجراهم من فرق الضلال.

وهذه الأبواب التي ذكر البغدادي أن الفرق الأخرى خالفتهم فيها هي بمثابة الأصول عندهم، وقد بيّنا سابقاً أن هذه الأمور ليست من أصول الدين في شيء، وهي لا تخرج عن كونها مجموعة من القضايا الكلامية والفلسفية التي لا تمس جوهر الدين ولا أصوله، بل أن أهل السنة لهم من العقائد والآراء ما يساويهم بهذه الفرق بل ويجعلهم في وضع أكثر حرجاً من جانب العقيدة وأصول الدين من هذه الفرق.

وإذا كانت أصول الدين هي الإيمان بالله ورسوله وكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر والحساب والجنة والنار، فهذه الأمور لا يقتصر الإيمان بها على أهل السنة وحدهم بل تؤمن بها جميع الفرق [١] .

والخلط بين الأمور السابقة وبين أصول الدين جاء عن طريق علم الكلام، وهو من ابتداع أهل السنة من أجل حماية عقائدهم الخاصة بربطها بأصول الدين حتى تضفي عليها القداسة ولا تمس كما ابتدعوا فكرة ربط السنة بالكتاب من قبل [٢] .

---

[١] جاء في كتب السنن أن الرسول ﷺ قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه وبرسله وتؤمن بالبعث. كذلك عنه ﷺ قوله: بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان. انظر مسلم والبخاري كتاب الإيمان وجميع فرق المسلمين تقرّ بهذه الأمور، ويبقى الخلاف بين فرق أهل السنة وغيرهم منحصراً في الفروع.

[٢] انظر تفصيل هذه المسألة في كتابنا أزمة الحركة الإسلامية المعاصرة.

وقد خلص البغدادي في نهاية هذا الباب إلى أن الفرق الأخرى مختلفة فيما بينها في العدل والتوحيد والقبور، والأسلاف متحدوا الرؤية والصفات والتعديل والتجوير وفي شروط النبوة والإمامة يكفّر بعضهم بعضاً، فصح تأويل الحديث المروي في افتراق الأمة ثلاثاً وسبعين فرقة إلى هذا النوع من الاختلاف دون الأنواع التي اختلف فيها أئمة الفقه من فروع الأحكام في أبواب الحلال والحرام، أو ليس فيما بينهم تكفير ولا تضليل فيما اختلفوا فيه من أحكام الفروع.

والبغدادي من خلال هذا الكلام يؤكّد أن الفرق الأخرى مختلفة في الأصول بينما فرق أهل السنة مختلفة في الفروع، وعلى هذا الأساس تكون الفرق الأخرى هي ما ينطبق عليها حديث افتراق الأمة بينما أهل السنة ينطبق عليهم حديث الفرقة الناجية.

وهذا الكلام ينم عن سذاجة بالغة إذ أن جميع الفرق المخالفة لأهل السنة فضلا عن كونها تتمسّك بأصول الدين هي مختلفة فيما بينها في فروع الدين وليس الخلاف في الفروع ينحصر في دائرة أهل السنة وحدهم.

وإذا كان من حق البغدادي أن يؤوّل حديث افتراق الأمة والفرقة الناجية لصالح أهل السنة، فمن حق الفرق الأخرى أن تؤوله لصالحها أيضاً.

بين الافتراق والاختلاف:

في الباب الثاني من الكتاب يستعرض البغدادي كيفية افتراق الأمة إلى

ثلاث وسبعين فرقة، ويحدّد أولا المعنى الجامع للفرق المختلفة في اسم ملة الإسلام.

ويعرض لآراء الفرق الذين يدخلون بالاسم العام في ملة الإسلام.

الرأي الأول يقول: إن أمة الإسلام تقع على كل مقر بالنبوة لمحمد ﷺ ، وإن كل ما جاء به حق كائناً قوله بعد ذلك ما كان.

الرأي الثاني: أن أمة الإسلام كل من يرى وجوب الصلاة إلى جهة الكعبة.

الرأي الثالث: إن أمة الإسلام جامعة لكل من أقربشهادتي الإسلام لفظاً وكل من قال لا إله إلاّ الله محمدرسول الله فهومؤمن حقاً وهو من أهل ملة الإسلام سواء كان مخلصاً فيه أو منافقاً.

ونقض البغدادي في هذه الآراء باستثناء الرأي الثاني، حيث قال فيه: رضي بعض فقهاء الحجاز هذا القول وأنكره أصحاب الرأي لما روي عن أبي حنيفة أنّه صحّح إيمان من أقرّ بوجوب الصلاة إلى الكعبة وشك في موضعها.

وأصحاب الحديث لايصحّحون إيمان من شك في موضع الكعبة كما لا يصححون إيمان من شك في وجوب الصلاة إلى الكعبة.

ثم قال: والصحيح عندنا أن أمة الإسلام تجمع المقرين بحدوث العالم وتوحيد صانعه وقدمه وصفاته وعدله وحكمته ونفي التشبيه عنه، والمقرين بنبوة محمد ورسالته إلى الكافة وبتأييد شريعته وبأن كل ما جاء به حق وبأن القرآن منبع أحكام الشريعة وأن الكعبة هي القبلة التي تجب

الصلاة إليها فكل من أقرّ بذلك كلّه ولم يشبه ببدعة تؤدّي إلى الكفر فهو السني الموحد.

ولنا على هذا الكلام الملاحظات التالية:

أولا: إن الآراء الثلاثة التي رفضها البغدادي هي آراء سليمة وصحيحة وتنسجم مع كم الروايات التي تكتظ بها كتب السنن حول مسألة الإيمان [1] .

ثانياً: إن أمة الإسلام حسب منظور البغدادي لا تضم أهل السنة وحدهم بل تضم جميع الفرق الأخرى فجميع الفرق تقرّ بكل الأمور التي ذكرها، وليس هناك خلاف حول شيء منها،وقد يقع الخلاف حول تحديد مفهوم التوحيد ومسألة الصفات وحدوث العالم وهذه أمور لا تقدح في الاعتقاد ولا تبدّد الإيمان، فليس من حق أهل السنة أن يفرضوا مفاهيمهم على الآخرين، وهم في الحقيقة لم يتمكنوا من فرض مفاهيمهم إلاّ على العوام وبواسطة الحكام.

ثالثاً: مسألة العدل ونفي التشبيه التي وضعها البغدادي ضمن صفات أهل السنة ليست صواباً، فأهل السنة نقضوا فكرة العدل ونسبوا الظلم إلى الله سبحانه في الوقت الذي تبنوا فيه الكثير من الروايات التي تقود إلى التشبيه والتجسيم والتي أنكرتها عليهم الفرق الأخرى [2] .

---

[1] انظر البخاري ومسلم كتاب الإيمان. وانظر كتب السنن الأخرى.

[2] انظر كتب العقائد السنية، وانظر الاعتقاد للبيهقي، وانظر البخاري كتاب التوحيد وكتاب بدء الخلق.

رابعاً: إن البغدادي حدد أن من يقر بما ذكر من صفات هو السني الموحّد ما لم يشبه ببدعة تؤدّي إلى الكفر، وهذا بهذا قد قيّد كلامه بهذا الشرط وكأنه خشى أن يلام على قوله أو يستثمر من قبل المخالفين.

إلاّ أن ما يستوقفنا هنا هو أن البغدادي لم يحدّد لنا ماهية هذه البدعة التي تؤدّي إلى الكفر؟

ومن الذي يملك الحق في الحكم على الآخرين بالبدعة؟

وإذا كان أهل السنة قد أعطوا لأنفسهم هذا الحق فما هو سندهم الشرعي في هذا الحق؟

لندع البغدادي يجيب على السؤال الأول والثاني وأمّا السؤال الثالث فليس له إجابة عند أهل السنة.

يقول البغدادي: وان ضم إلى الأقوال بما ذكرناه بدعة شنعاء، نظر، فإن كان على بدعة الباطنية أو البيانية أو المغيرة أو الخطابية الذين يعتقدون إلهية الأئمة أو إلهية بعض الأئمة أوكان على مذهب الحلول أو التناسخ أو الذين أباحوا نكاح بنات البنات وبنات البنين، أو الذين قالوا بأن شريعة الإسلام تنسخ في آخر الزمان أو أباح ما نص القرآن على تحريمه أو حرم ما إباحه نصاً لا يحتمل التأويل، فليس هو من أمة الإسلام ولا كرامة له.

وهذه الفرق التي ذكرها البغدادي بدعها ليست فرقاً كما أن بدعتها

وهذه الروايات هي التي قام على أساسها موقف أهل السنة المعادي للفرق الأخرى التي رفضت الاعتراف بهذه الروايات، والبعض قام بتأويلها وأخذها على وجه المجاز.

ليست بدعة فهي كفر وضلال لا يقول به أحد من المسلمين، وما كان من المفروض على البغدادي أن يشغلنا بأمثال هؤلاء الخارجين على الإسلام ويسمّى كفرهم وردتهم بدعة.

ومن الطريف أن البغدادي ذكرصنف آخر من أهل البدع في منظوره هم أقرب إلى الإسلام من الصنف الأول.

قال البغدادي: وإن كانت بدعته من جنس بدع المعتزلة أو الخوارج أو الرافضة الإمامية أو الزيدية أو البخارية أو الجهمية أو الضرارية أو المجسّمة فهو من الأمة في بعض الأحكام وهو جواز دفنه في مقابر المسملين وإلاّ يمنع حظه من الفيءوالغنيمة ان غزا مع المسلمين وإلاّ يمنع من الصلاة في المساجد، ولا تجوز الصلاة عليه ولا خلفه ولا تحل ذبيحته ولا نكاحه لامرأة سنية، ولا يحل للسني أن يتزوج المرأة منهم إذا كانت على اعتقادهم.

والحمد لله على هذا الاعتدال غير المتوقع من البغدادي إذ فرق بين البدعة التي تؤدّي إلى الكفر والبدعة التي لا تؤدّي إليه، لكنه في الوقت نفسه تدارك الأمر وحدّد الفواصل التي تفرّق بين المسلمين وتزرع بذور الشقاق بينهم وتحرمهم من التلاقي والتحاور والتزاوج وحتى الصلاة معاً.

وهذه الفواصل التي ذكرها البغدادي هي أشبه بالقرارات والقوانين الحكومية فهي لغة أصحاب النفوذ والسلطان لا لغة أهل الفقه والعلم.

ثم قام البغدادي بعد ذلك بإحصاء الفرق التي ظهرت في تاريخ المسلمين، والتي عاصرها وهي تشمل على ثنتين وسبعين فرقة منها:

عشرون روافض وعشرون خوارج وعشرون قدرية وعشرة مرجئة وثلاثة بخارية وبكرية وضرارية وجهمية وكرامية فهذه ثنتان وسبعون فرقة، أما الفرقة الثالثة والسبعون فهي أهل السنة والجماعة من فريق الرأي والحديث دون من يشتري لهو الحديث منهم وفقهاء هذين الفريقين وقراؤهم ومحدّثوهم ومتكلموا أهل الحديث منهم متفقون على مقالة واحدة.

وقد أشرنا سابقاً إلى مثل هذه الإحصائيات الغير واقعية والغير منطقية في نفس الوقت.

والبغدادي هذا وقع في خطأ حسابي إذ أن عدد الفرق التي ذكرها يفوق الثنتين والسبعين، هذا بالإضافة إلى كونه ذكر أن أهل السنة فرقتين لا فرقة واحدة: فريق الرأي وفريق الحديث.

وعاد البغدادي ليؤكّد في نهاية هذا الباب أن من قال بما ذكر من صفات وأمور هي تشكل معتقدات أهل السنة ولم يخلط إيمانه بها بشيء من بدع الخوارج والروافض والقدرية وسائر أهل الأهواء فهو من جملة الفرقة الناجية إن ختم الله بها، وقد دخل في هذه الجملة جمهور الأمة وسوادها الأعظم من أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة والأوزاعي والثوري وأهل الظاهر.

عاد البغدادي ليؤكّد مرة اخرى من خرج عن دائرة أهل السنة فمصيره الهلاك والبوار ودخول النار بعد أن ذكر سابقاً هذا الصنف من المبتدعين ـ إن صحّت هذه التسمية ـ مستثنون من بدعة الكفر وبدعتهم من جنس البدع التي هي في دائرة الإسلام.

بقى أن نشير فى الختام أن جملة الفرقة الناجية التى أشارإليها البغدادي لم تشمل الحنابلة ولا الأشاعرة ولا الماتريدية.

مقالات الفرق:

فى الباب الثالث من الكتاب استعرض البغدادي الأقوال المنسوبة للفرق المخالفة تحت عنوان: مقالات فرق الأهواء وبيان فضائح كل فرقة منها على التفصيل.

واستعرض بداية مقالات من اسموهم بفرق الرفض، وقد حصرهم فى عشرين فرقة الزيدية ثلاث والكيسانية فرقتان والإمامية خمس عشر فرقة.

أما فرق الزيدية فهم الجارودية والسليمانية أو الجريرية ثم البترية.

قال البغدادي: اجتمعت الفرق الثلاث من الزيدية على القول بأن أصحاب الكبائر مخلدين في النار،فهم من هذاالوجه كالخوارج، وذكر أن هذه الفرق الثلاث على خلاف فى الموقف من أبى بكروعمر بين الموالاة والتكفير.

وما أخذه البغدادي على فرق الزيدية هو تكفيرصاحب الكبيرة والقول فى أبى بكر وعمر، وكلا الأمرين لا يصطدمان بأصول الدين لكنهما يصطدمان بنهج أهل السنة، وهذا هو مربط الفرس، أن أهل السنة يقيسون الآخرين ويحكمون عليهم وفق مذهبهم وعقائدهم لا وفق أصول الدين.

أما الكيسانية فهم من قالوا بإمامة محمد بن الحنفية بن على بن أبى طالب، وقد أخذ عليهم أهل السنة هذا المأخذ الذي يعد فى منظورهم

صورة من صور الانحراف العقائدي إذ أن الإقرار بإمامة رمز من رموز آل البيت يضرب إمامة الحكام ويشكّك في شرعيتهم وعقيدة أهل السنة في الحكام أنهم الأئمة الواجب السمع والطاعة لهم وبروز فكرة الإمامة خارج دائرة الحكام يعني الخروج عليهم، وهو ما يرفضه أهل السنة بقوة [١] .

وفيما يتعلق بالإمامية فقد حددهم البغدادي فيما يلي: كاملية ومحمدية وباقرية وناووسية وشميطية وعمارية وإسماعيلية ومباركية وموسوية وقطعية واثني عشرية وهشامية وزرارية ويونسية وشيطانية.

وهذه الفرق المزعومة نسب إليها البغدادي القول بتكفير الصحابة وإمامة علي بن أبي طالب والقول بتفضيل النار على الأرض والقول بأن محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسين هو المهدي المنتظر والقول بإمامة محمد الباقر بن علي بن الحسين، كذلك القول بإمامة موسى بن جعفر وأنه المهدي والقول بإمامة محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق والقول بإمامة علي بن موسى الرضا، ونسب إلى الهشامية قولها بالتجسيم والتشبيه كذلك اليونسية، أما الشيطانية فنسبة إلى شيطان الطاق ونسب إليهم ما نسب إلى اليونسية.

وهذه التسميات والتقسيمات التي جاء بها البغدادي فهي من اختراع أهل السنة، وليس لها وجود على ساحة الواقع، وما هي في الحقيقة إلاّ فرقة واحدة هي الشيعة الإمامية الاثني عشرية التي تؤمن بإمامة علي بن

[١] انظر مسلم كتاب الإمارة وشرحه للنووي، وانظر البخاري كتاب الأحكام وشرحه لابن حجر في فتح الباري وانظر كتب العقائد.

أبى طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم على بن الحسين ″زين العابدين″ ثم محمد بن على ″الباقر″ ثم جعفر ابن محمد ″الصادق″ ثم موسى بن جعفر ″الكاظم″ ثم على بن موسى ″الرضا″ ثم محمد بن على ″الجواد″ ثم على بن محمد ″الهادي″ ثم الحسن بن على ″العسكري″ ثم محمد بن الحسن ″المهدي″ وهم الأئمة الاثنى عشر، وتعد الإمامية الإمامة من أصول الدين بالإضافة إلى أصل التوحيد والنبوة والعدل والمعاد.

واتباع الإمام الباقر الذين سمّاهم البغدادي وأهل السنة بالباقرية ليسوا إلاّ الشيعة الإمامية الذين كانوا يتبعون الإمام الباقر الإمام الخامس فى زمانه، وكذلك الحال بالنسبة إلى الموسوية التى كانت تتبع الإمام موسى الكاظم فى زمانه ومحاولة تقسيم أتباع الشيعة الإمامية على هذا النحو ضرب من السذاجة والغفلة، وأما بقية الأسماء التى ذكرها فليسوا إلاّ شيعة إمامية كانوا من أتباع الأئمة الاثني عشر، وقد اشتهرت هذه الرموز بينهم فنعتهم أهل السنة بها من باب اثبات الفرقة والتعددية والخلاف فى واقع الإمامية.

أما القول بإمامة محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق فلا تقول به الإمامية وهو صورة من صور الخلط التى وقع فيها البغدادي.

ومن بين الفرق التى عرض لها البغدادي فرق الخوارج وقد ذكر أنهم عشرون فرقة على رأسهم فرقة الأزارقة والنجدات والصفرية والعجاردة.

وليس هناك خلاف حول الخوارج، فهم شر وبلاء على الإسلام والمسلمين، إلاّ أن ما يؤخذ على البغدادي وأهل السنة أنهم أصحاب لغة واحدة في مواجهة الفرق، فتتساوى في نظرهم الخوارج والإمامية

والمعتزلة، مع أن البون شاسع بين الخوارج والفرق الأخرى، فإن الخوارج لا يحملون نهجاً عقائدياً كحال بقية الفرق إنما حملوا بعض الأفكار التكفيرية واستحلوا أموال المسلمين ودمائهم على أساسها ودخلوا في مواجهات مسلحة مع خصومهم.

والفرق الأخرى حملت شعار العقل والفكر والكلام والحوار والمنطق، هذه الأمور التي محل رفض من قبل أهل السنة الذين سلكوا في مواجهة خصومهم سلوكاً يعد امتداداً لسلوك الخوارج [١] .

وعند حديث البغدادي عن المعتزلة والقدرية قال: إن المعتزلة افترقت فيما بينها عشرين فرقة كل فرقة تكفر سائرها.

والمعتزلة فرقة تقدّس العقل، فمن ثم هي ترفض الأحاديث الخاصة بصفات الله وترفض عذاب القبر، وتعتبر العدل أصل من أصول الدين، وتقول بخلق القرآن،وهذه الأمور كافية للحكم بضلالهم وزيغهم عند أهل السنة.

إلاّ أن هذه الأمور بمقياس الدين لا تمثّل خرقاً له ولا تصطدم بأصوله فقضية إنكار الأحاديث ونفي الصفات الواردة فيها الخاصة بالله عزوجل

---

[١] انظر فتن الحنابلة فى كتب التاريخ.

وفتن الوهابيين فى جزيرة العرب وخارجها.

وفتن الفرق الجهادية والتكفيرية فى مصر والجزائر وأفغانستان.

وفتن فرقة طالبان في أفغانستان.

وهذه الفرق جميعها سلكت سلوك الخوارج في مواجهة خصومها من المسلمين.

وإنكار عذاب القبر والقول بخلق القرآن كل هذه الأمور تدور في محيط النزاع العقلي وليست هناك نصوص قطعية تفيد ارتباطها بجوهر الدين.

ونالت المرجئة نفس أحكام الفرق السابقة وقد حدّدهم البغدادي في ثلاثة أصناف:

صنف قال بالإرجاء في الإيمان.

وصنف قال بالإرجاء بالإيمان وبالجبر في الأعمال على مذهب جهم بن صفوان.

وصنف خارج عن الجبر والقدرية.

والمرجئة فرقة تقرّ أن الإيمان في القلب واللسان أنه هو المعرفة بالله تعالى والمحبة والخضوع إليه بالقلب والإقرار باللسان وأنه واحد ليس كمثله شيء.

وليست معرفة تفصيل ما جاء به الرسل إيماناً ولا من جملته.

وبعضهم يقول إن الإيمان هو الإقرارأوالمحبة لله تعالى وتعظيمه وترك الاستكبار عليه. وهو يزيد ولا ينقص.

ومثل هذه الرؤية المعتدلة للإيمان لا تستحق هذا الموقف من قبل البغدادي وأهل السنة في مواجهتها.

وتحدّث البغدادي عن الجبرية أوالجهمية أتباع جهم بن صفوان الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال وأنكر الاستطاعات كلها، وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان، وأن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط، وأن الكفر هو الجهل به فقط، وقال لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى وإنما

تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز.

وقال بعضهم: أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وإكساب للعباد.

ثم تحدّث عن الكرامية ونسب إليهم ما يلي:

إن المقرّ بالشهادتين مؤمن حقاً وإن اعتقد بالكفر بالرسالة.

وأن المنافقين كانوا مؤمنين حقاً وأن إيمانهم كان كإيمان الأنبياء والملائكة.

وأن مخالفيهم عذابهم في الآخرة غير مؤبد.

وإن الله جسم له حد ونهاية.

وأقوال الجبرية لا تنفي الإيمان عنهم ولا تخرجهم من دائرة الإسلام أما أقوال الكرامية فهناك شك في نسبتها لهم.

وفيما يتعلق بالمشبهة، ذكر البغدادي أن المشبهة صنفان:

صنف شبهوا ذات الله تعالى بذات غيره.

وصنف شبهوا صفاته بصفات غيره.

وبعد أن استعرض فرقهم قال: عدّهم المتكلمون في فرق الملة، لإقرارهم بلزوم أحكام القرآن وإقرارهم بوجوب أركان شريعة الإسلام وإن ضلوا وكفروا في بعض الأصول العقلية.

وهذا الكلام الذي نقله البغدادي عن المتكلمين واضح التناقض إذ حكم بإسلام المشبهة وفي الوقت نفسه حكم بكفرهم.

ومثل هذا التخبّط في شأن الفرق تكتظ به كتب التراث التي تاه مصنفوها بين عقيدتهم السنية وبين أصول الدين، وقد ذهبت الكثير من

الفرق ضحية هذا التخبط، وحكم بكفر فرق وضلالها وهي بعيدة عن الكفر والضلال وحكم في الوقت نفسه بإسلام بعض الفرق لمجرّدتوافقها وقربها من فرقة أهل السنة.

والغريب أن البغدادي وضع باباً تحت عنوان: بيان الفرق التي انتسبت إلى الإسلام وليست منه، وما كانت هناك حاجة لهذا الباب بعد أن عرض لعشرات الفرق سابقاً وشكك في انتسابها للإسلام.

وأول الفرق التي عدها البغدادي في هذا الباب، هي فرقة ابن سبأ أو السبئية وهي فرقة استثمرها أهل السنة على الدوام في ضرب الشيعة عن طريق محاولة ربطها فرقة استثمرها أهل السنة على الدوام في ضرب الشيعة عن طريق محاولة ربطها بالسبئيين.

وابن سبأ هو الذي تنسب إليه فكرة نسبة الألوهية إلى علي عليه السلام والتحريض على الفتنة أيام عثمان وزرع بذور التشيع لآل البيت عليهم السلام في أوساط المسلمين.

والحق أنّ البحث العلمي المجرّد يقود إلى اعتبار شخصية ابن سبأ شخصية وهمية من صنع الرواة والحكّام [1] .

---

[1] انظر كتاب الفتنة الكبرى لطه حسين.

وانظر كتاب عبدالله بن سبأ وأساطير اخرى لمرتضى العسكري.

وعبدالله بن سبأ: دراسة للروايات التاريخية ودوره في الفتنة، للدكتور عبدالعزيز صالح الهلالي، سلسلة حوليات كلية الآداب جامعة الكويت، الحولية الثامنة، الرسالة الخامسة والأربعون. وانظر عبدالله بن سبأ بين الواقع والخيال لهادي خسروشاهي ط. القاهرة.

وذكر البغدادي فى دائرة هذا الباب سبعة فرق ربطهم جميعاً بالرافضة، حيث أن الانحراف من قبل هذه الفرق كان يدورحول الإمامة واختصاص أهل البيت بها والمغالاة فى حبهم وتقديسهم.

وذكر بعد ذلك الحلولية والإباحية وأصحاب التناسخ والقدرية والباطنية ضمن هذه الفرق التى انتسبت إلى الإسلام زوراً أو بهتاناً.

وليس المجال هنا مناقشة الفرق التى خالفت أصول الدين كالإباحية والحلولية وأصحاب التناسخ على فرض التسليم بصحة ما نسب إليهم، إلاّ أنّ ما يمكن قوله هو أن أهل السنة غالوا وتطرفوا فى مواجهة خصومهم، وهذا الموقف يفتح الباب للطعن والتشويه.

فرق السنة والجماعة:

اختتم البغدادي كتابه بباب فى بيان أوصاف الفرقة الناجية وتحقيق النجاة لها وبيان أوصافها، وقد قسّمه إلى سبعة فصول تدور جميعها حول فرقة أهل السنة وأنها الفرقة الناجية المعصومة.

والعجيب أن البغدادي افتتح فصول هذا الباب ببيان أصناف فرق السنة والجماعة، وفي هذا اعتراف صريح منه بتعدد فرق أهل السنة وأنهم ليسوا فرقة واحدة، وبالتالى ليس من الصواب أن يطلق عليهم أهل السنة والجماعة ما داموا ليسوا جماعة واحدة وهذا من أوهامهم التى عاشوا فيها ولا زالوا يعيشون.

ولقد عاش البغدادي هذا الوهم وأراد أن يعيش فيه المسلمون،فبعد أن

هاجم الفرق الأخرى وشوهها وحكم عليها بالزيغ والضلال أراد من خلال هذا الباب أن يرفع راية أهل السنة ويبيّض وجهها ويضفي عليها القداسة دون ذكر عيوبها وسلبياتها ونواقصها التي تجعلها في مساواة الفرق الأخرى دون أن تتميز عليها بشيء.

قال البغدادي: اعلموا أسعدكم الله أن أهل السنة والجماعة ثمانية أصناف من الناس وهم حسب تصنيفه ما يلي:

ـ أهل التوحيد والنبوة والاجتهاد الذين سلكوا طرق الصفاتية من المتكلمين الذين تبرؤوا من التشبيه والتعطيل ومن بدع الرافضة والخوارج والجهمية والبخارية وسائر أهل الأهواء الضالة.

ـ أئمة الفقه والحديث الذين اعتقدوا في أصول الدين مذهب الصفاتية في الله وفي صفاته الأزلية وتبرؤوا من القدر والاعتزال، وأثبتوا رؤية الله تعالى بالأبصار من غير تشبيه ولا تعطيل، وأثبتوا الحشر في القبور وسؤال القبر وإثبات الشفاعة وإمامة الخلفاء الأربعة والثناء على السلف والصلاة خلف الأئمة وطاعة السلطان وتحريم المتعة ويدخل في هؤلاء أصحاب مالك والشافعي والأوزاعي والثوري وأبي حنيفة وابن أبي ليلى وأبي ثور وأحمد بن حنبل وأهل الظاهر وسائر الفقهاء الذين اعتقدوا أصول الصفاتية ولم يخلطوا فقهه بشيء من بدع أهل الأهواء الضالة.

ـ أهل الإحاطة بطرق الإخبار والسنن المأثورة عن النبي، وميّزوا بين الصحيح والسقيم وعرفوا أسباب الجرح والتعديل ولم يخلطوا علمهم بشيء من بدع أهل الأهواء.

ـ أهل الأدب والنحو الذين لم يخلطوا علمهم بشيء من بدع القدرية والرافضة والخوارج ومن مال منهم إلى شيءمن الأهواء الضالة لم يكن من أهل السنة ولا كان قوله حجة.

ـ أهل الإحاطة بعلوم القرآن وآياته وتأويلها وفق مذهب أهل السنة دون تأويلات أهل الأهواء الضالة.

ـ الزهاد والصوفية دينهم التوحيد ونفي التشبيه ومذهبهم التفويض إلى الله.

ـ المرابطون في ثغور المسلمين الذين يظهرون في ثغورهم مذاهب أهل السنة والجماعة.

ـ عامة البلدان التي غلب فيها شعار أهل السنة دون عامة البقاع التي ظهر فيها شعار أهل الأهواء الضالة.

ومن باب الاحتياط ربط البغدادي كل فرقة من هذه الفرق بشرط التبرأ من الفرق الأخرى كي لا يتوّهم المسلمون تشتت أهل السنة وتعدد فرقها فكل فرقة من هذه الفرق بعيدة عن أهل الأهواء الضالة حسب تعبير البغدادي، لكن هذا كله لا ينفي تعددها الذي لا ينحصر في محيط الثمانية الذين ذكرهم والذين احتضنوا في داخلهم الكثير من الفرق، ذكرهم البغدادي دون قصد منه في الصنف الثاني من أصناف أهل السنة.

ولا يمكن أن يقبل العقل أن هذه الفرق السنية على رأي واحد وعقيدة واحدة واجتهاد ثابت في جميع نواحي الدين والحياة وهو ما أقر به البغدادي من خلال عرضه لهذه الأصناف.

غيرأن ما ينبغي توكيده هناهوأن حال الفرق الأخرى كحال أهل السنة في مجال الرأي والاجتهاد والاعتقاد الذي يـدور فـي محـيط الـدين، فـإذا كان حال أهل السنة كحال الآخرين فما الـذي يجعلهـم يعيـشون فـي هـذا الوهم ويعتقدون القيمومة على الجميع والهداية لهم والضلال للآخرين؟

إن أزمة أهل السنة تتمثّل في استمرارهم في دائرة هذا الوهم النابع من روايات ليست محل قبول الجميع.

والنابع من عقـل الماضـي وتقـديس الـسلف، والماضـي برمـوزه لـيس خيراً كلّه وتلك هي الحقيقة التي غابت عن أهل السنة.

قال البغدادي أن النبي ﷺ لما ذكر افتراق أمتـه ثـلاث وسـبعين فرقـة وأخبر أن فرقة واحدة منها ناجيـة، سـئل عـن الفرقـة الناجيـة وعـن صـفتها فأشار إلى الذين هم على ما عليه هو وأصحابه، ولسنا نجد القوم مـن فـرق الأمة من هم على موافقة الصحابة غير أهل السنة والجماعة من فقهاء الأمة ومتكلمـيهم الـصفاتية دون الرافـضة والقدريـة والخـوارج والجهميـة والبخارية والمشبهة والغلاة والحلولية.

وكيف يكون هؤلاء موافقين للصحابة وهـم بـأجمعهم لا يقبلـون شـيئاً مما روي عن الصحابة في أحكـام الـشريعة لامتنـاعهم مـن قبـول روايـات الحديث والسير والمغازي من أجـل تكفيـرهم لأصـحاب الحـديث الـذين ضبطوا آثار الصحابة وقاسوا فروعهم على فتاوى الصحابة.

وكلام البغدادي يعني أن المفاصلة بين الفرقة الناجية والفرقـة الهالكـة تنحصر في الموقف من الصحابة، فمن قال فيهم حسناً كان من الناجين،

ومن طعن فيهم كان من الهالكين،ولما كان أهل السنةهم الذين قالوا فيهم حسناً فقد اعتبروا الفرقة الناجية وهذا الكلام يؤكّد أهل السنة الذين يقيمون مذهبهم ومعتقداتهم على الرجال لاعلى النصوص ويؤكّد من جهة أخرى أن الصحابة ركن من أركان الدين عندهم.

إن ما ذكره البغدادي إنما هو يركّز لنا أساس الخلاف والمفارقة بين أهل السنة والفرق الأخرى ألا وهي الرواية والحديث النبوي [1] .

ويمكن عذر أهل السنة في هذا الموقف المتطرّف من الفرق الأخرى التي تنبذ رواياتهم وأحاديثهم التي نسبوها للرسول ﷺ إذ ان معتقداتهم تقوم على أساس هذه الروايات ومحاولة رفضها أو التشكيك فيها يعني هدم أهل السنة ومحوهم من الوجود، وهذا يعني أن المواجهة بينهم وبين الفرق الأخرى مواجهة مصيرية ترتبط بوجودهم ومستقبلهم، وهو يفسّر لنا تلك الأحكام الشديدة والمبالغ فيها التي يصدرونها في مواجهة الفرق الأخرى [2] .

ويواصل البغدادي هجومه على الفرق الأخرى قائلا: ولم يكن بحمد الله ومنه في الخوارج ولا في الروافض ولافي الجهمية ولا في القدرية ولا

---

[1] انظر فصل الفرقة الناجية وفصل أهل السنة الإطار المذهبى.

[2] مثل أحكام الكفر والضلال والزندقة والمروق والشرك، كذلك تعد التسميات التى أطلقها أهل السنة على خصومهم من الفرق الأخرى امتداداً لهذه الأحكام فإطلاق اسم الحلولية والتناسخ والرافضة والمجسمة والمشبهة عليهم يعنى تكفير هذه الفرق واسقاطها من أعين المسلمين.

في المجسمة ولا في سائر أهل الأهواء الضالة قط إمام في الفقـه، ولا إمـام في الحديث، ولا إمام في اللغة والنحـو، ولا موثـوق بـه فـي نقـل المغـازي والسير والتواريخ،ولا إمام في الوعظ والتذكير، ولا إمام في التأويل، وإنمـا أئمة هذه العلوم على الخصوص والعموم من أهل السنة والجماعة.

وهذا الكلام يضع البغدادي بين أمرين:

إما أن يكون جاهلا ولا علم له بتراث الفرق الأخرى ورموزها.

وإما أن يكون متحاملا.

إن الفرق الأخرى وعلى رأسها الإماميـة لهـا تراثهـا الـذي شـمل علـوم الدين من فقه وتفاسير وتاريخ وسير وعقيدة وحتى الرواية والحـديث، بـل أن فرقة الإمامية تتبنّى طريقـة فـي الحـديث والروايـة أدق وأكثـر انـضباطاً بالشرع من أهل السنة، وذلك بالإضافة إلى تراثهم وتـراث الفـرق الأخـرى في مجال الفلسفة والمنطق والعلـوم المختلفـة التـي لـيس لأهـل الـسنة بـاع فيها [1].

وما دام هناك تراث لهـذه الفـرق فلابـد أن يكـون هنـاك أئمـة ورمـوز يبلغون ويبينون هذا التراث لأتباعهم، غير أن الأضواء كانت مركّزة على الـدوام في دائرة أهل السنة والتعتيم والحصار والبطش والتنكيل كان من نـصيب أئمـة الفرق الأخرى.

---

[1] انظر نموذج لتراث الشيعة الإمامية: كتب الشيخ المفيد، وكتب العلامة الحلى، والطوسى وغيرهم، وانظر التوحيـد والعـدل للقاضـى عبـدالجبار المعتزلـى، وانظـر اطروحـات فرقـة الاباضية في عمان، وانظر الفهرست لابن النديم.

وتسمية أهل السنة للفرق الأخرى بأسماء مؤسسيها ورموزها البارزة دليل على أن هذه الفرق كان لها أئمتها ورموزها [١] .

وقد اختتم البغدادي كتابه بالحديث عن بيان عصمة الله لأهل السنة عن تكفير بعضهم بعضاً وفضائلهم وعلومهم وأئمتهم وآثارهم في الدين والدنيا وذكر مفاخرهم [٢] .

---

[١] مثل الجهمية المنسوبة لجهم بن صفوان، والجعدية للجعد بن درهم، والكيسانية المنسوبة إلى كيسان وهو لقب المختار بن عبيدالله الثقفي والزيدية المنسوبة لزيد بن علي بن الحسين.

[٢] كلام البغدادي هذا مجانب للصواب إذ ان أهل السنة وقعوا في بعضهم البعض، وكفّر بعضهم بعضاً في الماضي والحاضر.

ملحق (٢)

صور من صراعات فرق أهل السنة

(١)

في دائرة العصر العباسي وقعت الكثير من الصدامات بين فرق أهل السنة وأغلب هذه الصدامات ارتبطت بفرقة الحنابلة.

ومن هذه الصدامات ما وقع في عصر الخليفة المقتدر بالله بين فرقة الحنابلة وفرقة الشافعية في عام ٣١٧هـ [١].

قال السيوطي: وفي هذه السنة هاجت فتنة كبرى ببغداد بسبب قوله تعالى:

﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محمودا** ﴾.

فقالت الحنابلة: معناها يقعده الله على عرشه ـ أي الرسول ﷺ.

وقال غيرهم: بل هي الشفاعة.

ودام الخصام واقتتلوا حتى قتل جماعة كثيرة [٢].

---

[١] المتقدر بالله هو أبو الفضل جعفر بن المعتضد، ولي الخلافة وله ثلاثة عشر عاماً، وكان قد تم خلعه من قبل عبدالله بن المعتز، ثم استرد السلطة مرة أخرى وقبض على الأمراء والفقهاء الذين خلعوه وقتل عدداً منهم.. وقتل المقتدر عام ٣٢٠هـ.

[٢] تاريخ الخلفاء ترجمة المقتدر بالله.

وكان الحنابلة قد اعتدوا على الطبري في المسجد وقذفوه بالمحابر وطاردوه حتى بيته وأخذوا يرجمون البيت وتدخّلت الشرطة لحسم الأمر[1].

وفي أيام الراضي وقعت فتنة البربهاري زعيم فرقة الحنابلة، وكان شديد التطرف كثير الصدام مع الفرق المخالفة من أهل السنة وغيرهم أحدث فتنة كبيرة عام ٣٢٣هـ.

قال ابن العماد عن حوادث هذه السنة: وفيها فتنة البربهاري شيخ الحنابلة فنودي أن لا يجتمع اثنان من أصحابه وحبس جماعة منهم وهرب هو[2].

وفي أيام المقتدي بأمر الله، قدم بغداد أبو نصر بن أبي القاسم القشيري الأشعري ووقعت صدامات بينه وبين الحنابلة في عام ٤٩٦هـ

قال السيوطي: وفي سنة تسع وستين قدم بغداد أبو نصر بن الأستاذ أبي القاسم الأشعري حاجاً فوعظ بالنظامية - أي خطب وألقى دروساً بالمدرسة النظامية - وجرى له فتنة كبيرة مع الحنابلة، لأنه تكلّم على مذهب الأشعري وحط منهم - أي نال من الحنابلة - وكثر أتباعه

---

[1] انظر ترجمة الطبري في كتب التاريخ، وانظر لنا كتاب الكلمة والسيف.
وكان سبب ثورة الحنابلة عليه هو حديث جلوس الرسول ﷺ على العرش، حيث رفض أن تفسّر الآية المذكورة على هذا النحو.

[2] شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج٢ أخبار سنة ٣٢٣هـ والراضي هو أبو العباس محمد بن المقتدر بن المعتضد بن طلحة بن المتوكل، مات مريضاً عام ٣٢٩هـ

والمتعصبون له فهاجت فتن وقتلت جماعة وعزل فخر الدولة بن جهير من وزارة المقتدي لكونه شذ عن الحنابلة [1] .

وقال ابن كثير: وفي شوال منها ـ أي من سنة ٤٩٦هـ ـ وقعت الفتنة بين الحنابلة والأشعرية، وذلك أن ابن القشيري قدم بغداد فجلس يتكلّم في النظامية وأخذ يذمّ الحنابلة وينسبهم إلى التجسيم. واقتتل الناس بسبب ذلك وثارت الفتنة، وجمع الخليفة بين ابن القشيري وشيخ الحنابلة وأبي سعد الصوفي والشيخ أبي إسحاق الشيرازي.

واحتكموا إلى الوزير نظام الملك.

وقال شيخ الحنابلة: أيها الوزير تصلح بيننا؟ وكيف يقع بيننا صلح ونحن نوجب ما نعتقده وهم ـ أي الأشاعرة ـ يحرمون ويكفّرون؟

وهذا جد الخليفة القائم والقادر قد أظهر اعتقادهما للناس على رؤوس الأشهاد على مذاهب أهل السنة والجماعة والسلف [2] .

---

[1] تاريخ الخلفاء، ترجمة المقتدي بأمر الله أبو القاسم عبدالله بن محمد بن القاسم بأمر الله، وفي عهده قويت شوكة السلاجقة وعزلوه، قيل أنه مات مسموماً عام ٤٨٤هـ وتأمّل نفوذ فرقة الحنابلة وارتباط السلطة بها بحيث عزلت وزيرها الذي خرج عن الحنابلة.

[2] البداية والنهاية ج١٢ أحداث عام ٤٩٦هـ

وتأمل اتهام الأشاعرة للحنابلة بالتجسيم، وكان الشيرازي والصوفى وكذلك الوزير نظام الملك ضد الحنابلة.

وانظر كيف تحصن الحنابلة بالسلطة والبرهنة على أن الخليفة القائم والقادر كانا على مذهب أهل السنة، وكأن هذا الكلام يوحي بطريق غير مباشر إلى أن الأشاعرة لا يمثّلون مذهب أهل السنة.

(٢)

اصطدام ابن حزم بالفرق الأخرى المنافسة له من فرق أهل السنة في ساحة الأندلس وعلى رأسها فرقة المالكية وفرقة الشافعية، وكذلك فإن هذه الفرق تربّصت به ودبّرت له ولفرقته المؤامرات وسعت ضده لدى الحكّام.

وكان ابن حزم سليط اللسان كثير التحامل على خصومه من أهل السنة، وقد صنّف الكثير من الكتب في الفقه والحديث والملل والنحل والأصول والأدب والتاريخ والرد على المعارضين وصلت إلى نحو أربعمائة مجلد [١].

ولاقت مؤلفات ابن حزم صداً واضطهاداً وتعتيماً من قبل فرق أهل السنة الأخرى حتى أن بعضها سعى إلى حاكم أشبيلية المعتضد بن عباد الذي أصدر قراره بإحراق كتب ابن حزم علانية.

وقال ابن حبان: كمل من مصنفاته في فنون العلم وقرّ بعير، لم يعد أكثرها بادية لتزهد الفقهاء وطلاب العلم فيها، حتى أحراق بعضها بأشبيلية ومزّقت علانية [٢].

وفي مواجهة هذه الحادثة التي نالت كتب ابن حزم قال شعراً:

---

[١] انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي ج٢٣٨/١٢ وما بعدها. وكان ابن حزم كثير الوقوع في الأشاعرة.

[٢] انظر الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ج١٤٢/١.

فإن تحرقوا القرطاس لاتحرقوا الذي
تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي
وينزل أن أنزل ويدفن في قبري
دعوني من إحراق رق وكاغد
وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري [1]

ونتيجة لهذه الحادثة المتطرّفة من قبل فرق أهل السنة التي خاصمت ابن حزم وفرقته، فقد الكثير من مؤلفاته وراحت طي النسيان.

(٣)

اعتنق الملك المغولي خدابنده الإسلام واختار الفرقة الحنفية التي كان مذهبها سائداً في بلاد ما وراء النهر، فما كان من الأحناف إلاّ أن أظهروا الاستعلاء والتعصب وأخذوا في التضييق على أتباع الفرقة الشافعية والفرقة الحنبلية والفرقة المالكية والتنكيل بهم [2].

وكان أن أوعز الوزير الشافعي إلى الملك لتنصيب قاضي القضاة من الشافعية، ذلك القاضي الذي فتح الأبواب على مصارعها لنقض أفكار

---

[1] المرجع السابق.

[2] خدابنده، أي عبد الله باللغة الفارسية، وكان على دين المسيحية دين أمه، ثم تزوّج بمسلمة رغبته فى الإسلام، فأسلم، وتسمّى بمحمد ت عام ٧١٦هـ انظر حواث عام ٧٠٣هـ وما بعدها.

وأطروحات الفرق السنية المخالفة للشافعية، فكثر السب والشتم بين الشافعية والأحناف [1] .

وجاء أحد رموز الأحناف من مدينة بخارى ودار جدال وخصام بينه وبين قاضى القضاة الشافعى وعرض كل منهما فرقة الآخر وتجاوزا حدود الأدب والأخلاق وكثر ذكر قبائح الفرقتين على لسان كل منهما وسخائف الأصول والفروع بين فرقتيهما حتى وصل الأمر إلى المساس بالإسلام ذاته [2] .

وشاع الأمر بين العامة وأمراء المغول وغضب الملك على قاضي القضاة وعلى الأحناف وبدأ يراجع موقفه من الإسلام.

وبدأت تبرز حركة ارتداد عن الإسلام بين الأمراء وعناصر الجيش المغولي الذين كانوا قد اعتنقوا الإسلام، وأخذوا يضغطون على الملك ليتابعهم فى ارتدادهم وتدخل أحد الأمراء العقلاء ونصح الملك بالاطلاع على مذهب الشيعة الذي كان مذهب شقيقة الملك غازان الراحل [3] .

وتم الاتصال بأحد رموز الشيعة المعاصرين في بلدة الحلة بالعراق الذي قام بتأليف كتاب فى أصول العقائد الإسلامية بالبراهين النقلية والعقلية مقارنة لعقائد الفرق السنية الأربعة: الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية وأحكامهم الفقهية [4] .

---

[1] هو نظام الدين عبدالملك المراغي الشافعي.

[2] رمز الأحناف هو ابن صدر جهان الحنفي. انظر حوادث عام ٧٠٧هـ

[3] توفي الملك غازان عام ٧٠٣هـ

[4] هو كتاب نهج الحق وكشف الصدق. وهو مطبوع في بيروت.

(٤)

وفي العصر المملوكي برز ابن تيمية بفرقته واصطدم بالفرق الأخرى خاصة فرق الأشاعرة وفرق الصوفية.

وقد ثارت عليه الفرق السنية بداية بسبب فتوى أصدرها لأهل حماه سميت بالفتوى الحموية حيث حوكم من قبل فقهاء الفرق السنية ومنع من الكلام وحوصر أتباعه ونقل إلى مصر وحبس فيها.

قال ابن حجرالعسقلاني: وكان السبب في هذه المحنة مرسوم السلطان ورد على النائب بامتحانه في معتقده لما وقع إليه من أمور تنكر في ذلك، فعقد له مجلس وسئل عن عقيدته، ثم توجه القاضي المالكي وابن تيمية ومعهما جماعة إلى القاهرة وكان الأمراشتد بمصرعلى الحنابلة حتى صفع بعضهم وعقد مجلس بعد صلاة الجمعة فحكم المالكي بحبسه، ثم بلغ المالكي أن الناس يتردّدون إليه، فقال يجب التضييق عليه إن لم يقتل إلاّ فقد ثبت كفره.

ونودي في دمشق من اعتقد عقيدة ابن تيمية حل دمه وماله خصوصاً الحنابلة، ثم جمع الحنابلة واشهدوا على أنفسهم أنّهم على معتقد الشافعي [١] .

وكان أن دارت الدائرة على الحنابلة بمصر والشام بسبب تعصّبهم لابن

---

[١] انظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ج١/١٤٥ وما بعدها.

تيمية وجارت عليهم الفرق الأخرى خاصة فرقة الشافعية.

وتدخل الأمير المملوكي سلار للعفو عن ابن تيمية إلاّ أن قضاة الفرق الثلاثة الحنفية والمالكية والشافعية اشترطوا رجوعه عن معتقداته وتوبته وأقرّ ابن تيمية أنه أشعري وأشهدوا عليه أنه تاب مما ينافي ذلك مختاراً [١].

إلاّ أن ابن تيمية بعد أن أفرج عنه وقع في الفرق الصوفية بالقاهرة، وقال لا يستغاث بالرسول ﷺ فصدر أمر بترحيله إلى الشام، ثم أعيد إلى القاهرة وحبس فيها بأمر القاضي زين الدين بن مخلوف [٢].

ثم تدخّل السلطان الناصر فشفع له وعاد إلى الشام بعد غيبة استمرت سبع سنين، إلاّ أنه اصطدم بفرق أهل السنة بالشام، وقال بتحريم زيارة قبر الرسول ﷺ فقام عليه فقهاء الفرق وقبض عليه وحبس ومات في الحبس [٣].

(٥)

وفي الجزيرة العربية برزت الفرقة الوهابية المتعصبة لتعلن الحرب على الفرق السنية الأخرى بالسيف لا بالقول، واستمرت في حربها حتى

[١] المرجع السابق.

[٢] المرجع السابق.

[٣] المرجع السابق. وقد نسب ابن تيمية إلى التجسيم، وكان سليط اللسان على خصومه من فقهاء ورموز الفرق الأخرى.

تمكّنت من القضاء على خصومها لتسود الجزيرة العربية فرقتها وحدها.

وبعد ظهور النفط أخذت الفرقة الوهابية دفعة قوية نحو الخارج لتنقل ميدان المعركة مع خصومها من الفرق الأخرى إلى مواقع المسلمين في كل مكان، فبرزت الخلافات وكثرت الصدامات التي وصلت إلى حد الاقتتال وإراقة دماء المسلمين المخالفين وصدور الفتاوى الوهابية المتطرّفة باستحلال دمائهم وأموالهم وظهور أفكار التكفير والتبديع والشرك في واقع المسلمين [1].

وأعلنت الفرقة الوهابية الحرب على الفرق الصوفية خاصة وركّزت العداء والمواجهة في دائرتها.

والفرق الصوفية بدورها أعلنت الحرب على الفرقة الوهابية واعتبرتها فرقة ضالة تعادي أهل البيت عليهم السلام.

ودخلت الفرقة الوهابية في صدام مع فرقة الأحناف في بقاع كثيرة.

وسجل لنا التاريخ المعاصر الكثير من الحوادث التي ارتبطت بالفرق الوهابية المنتشرة في العالم الإسلامي بأسماء ومسمّيات مختلفة.

ففرق الجهاد حملت السلاح في مواجهة الواقع وفي مواجهة خصومها [2].

وفرق السلفيين أعلنت زندقة وتبديع المخالفين لها [3].

---

[1] انظر لنا كتاب فقهاء النفط.

[2] انظر لنا كتاب الحركة الإسلامية في مصر.

[3] انظر المرجع السابق.

وفرق التكفير كفرت الجميع[1] .

وفرق الأفغان تقاتلت فيما بينها وخربت البلاد وأهلكت العباد.

وفرق باكستان تأكل بعضها بعضاً.

وهذا هو حال الفرقة الوهابية اليوم فقد جرت البلاء والفرقة والخلاف والتعصّب والتخلّف إلى واقع أهل السنة ووطنته فيه.

---

[1] انظر المرجع السابق.

ملحق (٣)

رموز الفرق

ـ الحسن البصري: من التابعين وهو إمام الزاهدين في زمانه، كما أشارت مصادر فرق أهل السنة ولد عام ٢١هـ وتربّى في بيت السيدة أم سلمة زوج النبي ﷺ ولم يصنّف شيئاً من الكتب، وقد نقل عنه الكثير من المواعظ والآداب ومكارم الأخلاق وكانت له مكاتبات مع الخلفاء ومقامات مع الأمراء، تركّز نشاطه في البصرة وما حولها.

ـ الأوزاعي: هو أبو عمر وعبدالرحمن بن عمرو، ولد في بعلبك أو في دمشق عام ٨٨هـ وتوفي في بيروت عام ١٥٧هـ وكان يلقّب بإمام الشام التي انتشرت فيها مذهبه وامتد منها إلى المغرب والأندلس، غير أن مذهبه لم يستمر طويلا إذ غلب عليه مذهب مالك في المغرب ومذهب الأحناف والشافعية في الشام، وذلك بفعل السياسة. ولم يترك لنا الأوزاعي شيئاً من الكتب أو الرسائل.

ـ أبو حنيفة النعمان: ولد في لكوفة عام ٨٠هـ وتوفي في بغداد عام ١٥٠هـ وأصله من فارس، وهو من التابعين، اتبع الرأي في الفقه والعقائد واصطدم بفرق أهل السنة في عصره، وصدرت ضده أحكاماً بالتكفير من قبلها، تحالف مع حركة زيد بن علي ضد هشام بن عبدالملك وحركة محمد النفس الزكية ضد أبي جعفر المنصور، فحبس وقيل مات في

الحبس، له الفقه الأكبر وهو كتاب في العقائد والفقه الأبسط والعالم والمتعلم.

ـ مالك: هو مالك بن أنس بن مالك الأصبحي التميمي، ولد عام ٩٣هـ وتوفي عام ١٧٩هـ عاش في مدينة رسول الله ﷺ وتركز نشاطه في دائرتها، أشار إليه أبو جعفر المنصور بجمع الروايات وتأليف كتاب يحمل الناس عليه فصنف كتابه: الموطأ وليس له من تصنيفات سواه.

ـ الشافعي: هو محمد بن إدريس بن العباس بن شافع الهاشمي المطلبي من بني عبدالمطلب بن عبد مناف، ولد بغزة في الشام عام ١٥٠هـ وتوفي بمصر عام ٢٠٤هـ له الكثير من الآراء في العقائد والأحاديث والسياسة وله شعر مدون، أتهم بالميل للشيعة وكاد أن يلقى حتفه على يد هارون الرشيد، انتقد الأحناف والمالكية والأوزاعية، وله كتاب الأم في الفقه والرسالة في أصول الفقه.

ـ ابن حنبل: وهو أحمد بن حنبل الشيباني، ولد في بغداد عام ١٦٤هـ وتوفي بها عام ٢٤١هـ تتملذ على يد الشافعي وغيره، وتركّز نشاطه حول الروايات وكلام الصحابة ولم يكن من أهل الرأي والاجتهاد، عرف بالتعصب الشديد تجاه مخالفيه، وهو أول من قنن لتكفير المخالفين، له كتاب المسند الذي جمع فيه الروايات المنسوبة للرسول ﷺ المنقولة عن الصحابة وله ردود شديدة اللهجة على الفرق الأخرى.

ـ داود الظاهري: هو أبو سليمان البغدادي، ولد عام ٢٠٠ أو ٢٠١هـ بالكوفة، وأصله من أصبهان، وتوفي في بغداد عام ٢٧٠هـ اصطدمت به

فرقة الحنابلة وخاصمته فرق أخرى من فرق أهل السنة، ولم ترد إلينا مصنّفات تتعلّق بأفكاره ومعتقداته.

ـ البخاري: هو أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزيه الجعفي البخاري نسبة إلى بخارى،وكان مولى سعيد بن جعفر وإلى خراسان، فنسب إليه، ولد عام ١٩٤هـ وتوفي عام ٢٥٦هـ وهو ينحدر من عائلة مجوسية الأصل.

ـ مسلم: هو مسلم بن مسلم القشيري النيسابوري، ولد بنيسابور عام ٢٠٤هـ لازم البخاري في آخر عمره وسمع منه، توفي عام ٢٦١هـ بنيسابور.

ـ أبو داود: هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، ولد عام ٢٠٢ هـ وتوفي ٢٧٥هـ بالبصرة. وكان أخو الخليفة قد طلب منه أن يقيم بالبصرة لينشر فيها علمه بعد فتنة الزنج.

ـ الترمذي: هو أبو عيسى محمد بن سورة السلمي الترمذي الضرير نسبة إلى بلدة ترمذ من بلاد ما وراء النهر، ولد عام ٢٠٩هـ وتوفي عام ٢٧٩هـ بترمذ.

ـ النسائي: هو أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني القاضي، ولد عام ١٥٤هـ وتوفي عام ٣٠٣هـ مقتولا. كان يكثر من الاستمتاع وله أربع زوجات.

ـ الأشعري: هو أبو الحسن علي بن إسماعيل من ذرية أبي موسى

الأشعري، ولد بالبصرة عام ٢٧٠هـ وتوفى عام ٣٢٤هـ ببغداد، كان من أتباع فرقة المعتزلة فترة طويلة وصلت إلى أربعين سنة، ثم انشق عليهم وأسس فرقته، ودخل هو وأتباعه فى مصادمات مع فرق أهل السنة الأخرى، له الكثير من التصانيف فى مجال الاعتقاد وعلم الكلام على رأسها الإبانة فى أصول الديانة ومقالات الإسلاميين.

ـ الماتريدي: هو محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي المتوفى عام ٣٣٣هـ، عاصر الأشعري لكنه خاصمه، له الكثير من التصانيف على رأسها: تأويلات أهل السنة وكتاب التوحيد وردود على فرقة المعتزلة والشيعة، وينسب إليه شرح كتاب الفقه الأكبر لأبى حنيفة.

ـ ابن حزم: هو على بن أحمد بن حزم بن غالب الأندلسى، ولد عام ٣٨٤هـ فى قرطبة، وتوفى عام ٤٥٦هـ وكانت لأسرته مكانة مرموقة فى الحياة السياسية بالأندلس، وكان له دور في الصراعات التي قامت بين أمراء لأندلس،كما كان من أنصار الأمويين المتعصبين لهم،عاصر المالكية والشافعية والمعتزلة والظاهرية فى مجتمعه، ثم مال إلى الظاهرية وتبنى أطروحتهم، وكان ابن حزم سليط اللسان اصطدم بفرق أهل السنة الأخرى بعنف، خاصة الأشاعرة، وقد منى بخسائر كبيرة من وراء مواقفه المتشددة المتعصبة ومن هذه خسائر إحراق كتبه، له الكثير من المصنفات من أشهرها: طوق الحمامة، الفصل في الملل والنحل، الأصول والفروع.

ـ ابن تيمية: هو أحمد تقى الدين أبو العباس بن شهاب الدين عبدالحليم بن عبدالله بن تيمية، ولد بحران بالشام عام ٦٦١هـ وتوفى

عام ٧٢٨هـ في دمشق، كان من أتباع فرقة الحنابلة، ثم برز بآراء شاذة أدت إلى اصطدام فرق أهل السنة الأخرى به وصدرحكم بتكفيره من قبل بعضها خاصة الفرق الصوفية؛ وانتهى به الأمرإلى الحبس الذي مات فيه،له الكثير من المصنفات منها: نقض المنطق ودرء تناقض النقل والعقل وشرح العقيدة الاصفهانية، وله الكثير من الفتاوى والردود على المخالفين جمعت في أكثر من خمسة وثلاثين مجلداً.

ـ محمد بن عبدالوهاب التيمي النجدي: ولد عام ١١١٥هـ ببلدة العيينة بجوار الرياض، وتوفي عام ١٢٠٦هـ كان من أتباع الفرقة الحنبلية وفرقة ابن تيمية وبرز في جزيرة العرب محاولا إحياء الأفكار والمعتقدات الشاذة التي نادى بها من قبله ابن تيمية، وتحالف معه ابن سعود على أن يقتسموا النفوذ في جزيرة العرب: السلطة لابن سعود والدين لابن عبدالوهاب،ودخل ابن عبدالوهاب في صدامات مع الفرق المخالفة له من أهل السنة، وتمكّن من فرض أفكار ومعتقدات فرقته على جزيرة العرب بسيف ابن سعود، له الكثير من الكتب التي تدور في محيط أفكاره ومعتقداته منها: مسائل الجاهلية، أصول الإيمان، التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، كشف الشبهات وغيرها. وجميع مؤلفاته لم تكن تحظى باهتمام المسلمين وفرق أهل السنة الأخرى إلاّ بعد ظهور النفط وقيام آل سعود بدعمها ونشرها بين المسلمين في كل مكان.

ـ أبي الوفاء ثناء الله الأمرتسري: توفي عام ١٣٦٧هـ ترأس علماء أهل الحديث بالقارة الهندية، وقام بتشكيل فرقة أهل الحديث فيها، وثناء

الله كانت له مواجهات مع القاديانية وله الكثير من المصنّفات التي تهاجم الهندوسية والنصرانية والفرق المخالفة من أهل السنة وغيرهم.

ـ الكاندهلوي: هو محمد إلياس ولد في كاندهلة بالهند عام ١٣٠٣هـ وتوفي عام ١٣٦٤هـ بدهلي، له مصنف شهير متداول بين عناصر فرقته، وهو كتاب: حياة الصحابة وله كتاب أماني الأخبار في شرح معاني الآثار للطحاوي.

ـ النورسي: هو بديع الزمان سعيد النورسي من أصل كردي، ولد في قرية نورس بالأناضول عام ١٨٧٣م، وتوفي عام ١٩٦٠م. كان له دور جهادي كبير في مقاومة الخط العلماني الأتاتوركي بعد سقوط السلطان عبدالحميد آخر سلاطين آل عثمان، له الكثير من المصنفات منها: الإنسان والإيمان، زهرة النور، الملائكة، الشكر، الحشر وهي عبارة عن رسائل زادت على المائة رسالة.

ـ المودودي: هو أبو الأعلى بن أحمد، ولد في عام ١٣٢١هـ في ولاية حيدرآباد، وتوفي عام ١٣٩٩هـ كان له دور سياسي في باكستان بعد انفصالها عن الهند،واعتقل عدة مرات،وتعد فرقته من أكثر فرق أهل السنة انتشاراً في شبه القارة الهندية.

ـ **البنا:** هو حسن البنا الساعاتي ولد في احدى قرى محافظة البحيرة شمال مصر عام ١٣٢٤هـ ومات قتيلا على باب مقرّ فرقته بالقاهرة عام ١٣٦٨هـ وكان يعمل في مجال التعليم بداية، ثم تفرّغ للدعوة إلى أفكاره ومعتقداته له الكثير من الرسائل التي تدور في محيط الجهاد والدعوة

والبناء والتنظيم، وقد استطاع البنا أن يحقّق لفرقته انتشاراً وشيوعاً في جميع أنحاءالعالم الإسلامي لم تحظ به فرقة من فرق أهل السنة المعاصرة.

ـ قطب: هو سيد قطب إبراهيم ولد بقرية موشى التابعةلمحافظة أسيوط بصعيد مصر عام ١٩٠٦م، وقتل معدماً على يد حكومة عبدالناصر عام ١٩٦٦م، كان قطب من أتباع الإخوان المسلمين، ثم انشق عنهم وبدأ في بلورة أفكاره ومعتقداته الخاصة به، وتبعه الجيل الجديد من عناصر الإخوان وغيرهم في فترة الخمسينيات والستينيات، وله الكثير من الكتب في مجال الدعوة والجهاد على رأسها: في ظلال القرآن،معالم في الطريق، العدالة الاجتماعية في الإسلام، خصائص التصور الإسلامي ومقوّماته، معركة الإسلام والرأسمالية، السلام العالمي والإسلام، وقد انتشرت كتب قطب بين المسلمين في كل مكان وترجمت إلى عدّة لغات.

ـ النبهاني: هو تقي الدين، ولد في حيفا بفلسطين عام ١٣٢٦هـ وتوفي عام ١٣٩٧هـ في بيروت، كان من القضاة الشرعيين وليس له تاريخ ثقافي أو سياسي بارز إلاّ أنه قام بإصدار الكثير من الكتب والرسائل التي تدور في محيط أفكاره ومعتقداته، والتي التزمت بها فرقته كمصدر وحيد للدعوة والمعرفة، وقد دخل النبهاني بفرقته في صدامات فكرية مع فرق أهل السنة المعاصرة له، وعلى رأسها فرقة الإخوان، ومن كتب النبهاني المقررة على عناصر فرقته: كتاب الخلافة، النظام الاقتصادي في الاسلام، والدستور الإسلامي، التكتل الحزبي، مفاهيم سياسية، نظام الحكم في الإسلام.

ـ **شكري**: هو شكري أحمد مصطفى، كان طالباً في كلية الزراعة بجامعة أسيوط ضمن عناصر فرقة الإخوان، ثم انشق عنها بعد اعتقاله مع عناصرها وعناصر القطبيين عام ١٩٦٥. وبدأ يبرز فكر التكفير داخل المعتقل وقام بنشره بصورة أوسع بعد خروجه من المعتقل في بداية السبعينيات، إلا أن الحكومة وجهت لفرقته ضربة قاصمة بعد حادث اختطاف الشيخ الذهبي وزير الأوقاف، وإعدم شكري مع أربعة من رموز فرقته عام ١٩٧٧م، وليس لشكري أية مصنفات مطبوعة سوى بعض الرسائل المحفوظة المتداولة بين أيدي عناصر فرقته.

ـ **السبكي**: هو محمود خطاب السبكي، أسس فرقته عام ١٩١٢م، وتوفي عام ١٩٣٣م، وتسلّم الأمر من بعده ولده أمين، له كتاب الدين الخالص الذي لم يتمه وأتمه من بعده ولده أمين، وكتاب المنهل المورود في شرح سنن أبي داود، وقد دخلت الفرقة في صدام مع فرقة أنصار السنة بسبب بعض الأمور الاعتقادية.

ـ **الفقي**: هو محمد حامد، ولد عام ١٣١٠هـ وتوفي عام ١٣٧٨هـ بالقاهرة، من رجال الفرق الأزهرية، عاش في أحضان الفرقة الوهابية عدة سنوات، دخل في صدام مع الفرق الصوفية وكان يتميز بالشدة، كما دخل في صدام مع فرقة الأزاهرة بالإضافة إلى صدام مع الجمعية الشرعية.

ـ **الألباني**: هو ناصر الدين الألباني الساعاتي، تفرّغ لدراسة الحديث وتصحيحه، أحدث ظهوره ضجة في دائرة فرق أهل السنة، أصدر العديد من الكتب والفتاوى وتوفي مؤخراً.

ـ **الكوثري**: هو محمد زاهد الكوثري الجركسي، فرّ من الكماليين في تركيا إلى مصر عام ١٣٤١هـ / ١٩٢٢م، وعمل في دار المحفوظات بالقاهرة، وقام بترجمة الكثير من الوثائق التركية إلى العربية. وكان قد درس بالأستانة، ثم تولى بالتدريس في جامع الفاتح بها، ولد عام ١٢٩٦هـ / ١٨٧٧م ولا تعرف سنة وفاته.

ـ **مقبل الوادعي**: هو احد من رموز فرق الرواة المعاصرين من اليمن وقد توفى مؤخراً بها.

ملحق (٤)

نماذج من مراجع الفرق

مراجع الأحناف:

* ❊ الفقه الأكبر لأبي حنيفة.
* ❊ الفقه الأبسط لأبي حنيفة.
* ❊ الأشباه والنظائر لابن نجيم.
* ❊ الفوائد البهية في تراجم الحنفية للكهنوي.
* ❊ مسانيد أبي حنيفة للأوركزلي.
* ❊ المبسوط للسرخي.

المراجع المالكية:

* ❊ الموطأ.
* ❊ تنوير الحوالك في موطأ مالك للسيوطي.
* ❊ المدونة الكبرى لمالك.
* ❊ الواضحة في الفقه والسنن للسلمي القرطبي.
* ❊ الموازية في الفقه لمحمد بن المواز.

مراجع الشافعية:

* ❊ الأم للشافعي.

* الرسالة.
* طبقات الشافعية للسبكي.
* المجموع للنووي.
* الحاوي الكبير للماوردي.

مراجع الحنابلة:

* مسند أحمد.
* الشافعية لابن قدامة.
* المستوعب لمحمد بن إدريس الساري.
* الاقناع للحجاوي.

مراجع الأشاعرة:

* الإبانة في أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري.
* مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للأشعري.
* لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة لأبي المعالي الجويني.
* اساس التقديس للفخر الرازي.
* الارشاد إلى قواطع الادلة في أصول الاعتقاد للجويني.
* الجامع في أصول الدين والرد على الملحدين لأبي إسحاق الأسفراييني.
* تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل لأبي بكر الباقلاني.

مراجع الماتريدية:

❊ كتاب التوحيد للماتريدي.

❊ تأويلات أهل السنة للماتريدي.

❊ بحر الكلام في علم التوحيد للنسفي.

❊ تبصرة الأدلة للنسفي.

مراجع ابن تيمية:

❊ الفتاوى الكبرى لابن تيمية.

❊ كتب الحنابلة.

مراجع الوهابية:

❊ التوحيد الذي هو حق الله على العبيد لمحمد بن عبدالوهاب.

❊ مسائل الجاهلية.

❊ مجموعة الرسائل والمسائل النجدية.

❊ كشف الشبهات.

❊ الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة لعبدالله بن محمد بن عبدالوهاب.

❊ تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد لمحمد بن إسماعيل الصنعاني.

❊ الرد على شبهات المستغيثين بغير الله لأحمد إبراهيم بن عيسى.

مراجع الجمعية الشرعية:

* الدين الخالص لمحمود خطاب السبكي.
* هذه دعوتنا لعبد اللطيف مشتهري.
* الرسالة المحمدية لعبد الوهاب فايد.
* الإبداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ.
* قبسات من المنهج التربوي في السنة لفؤاد مخيمر.

مراجع أنصار السنة:

* دعوة الحق لعبد الرحمن الوكيل.
* مذكرة التوحيد لعبد الرزاق عفيفي.
* دعوة التوحيد والأطوار التي مرت بها لمحمد خليل هراس.
* هذه هي الصوفية لعبدالرحمن الوكيل.
* مقاصد الجماعة (أنصار السنة).
* كتب ابن تيمية.
* كتب ابن عبدالوهاب.

مراجع الجماعة الإسلامية:

* دستور الجماعة الإسلامية بباكستان.
* المصطلحات الأربعة للمودودي.

* الإسلام والجاهلية للمودوي.
* الجهاد في الإسلام للمودودي.
* كتب السلف.

مراجع التبليغ والدعوة:

* حياة الصحابة للكاندهلوي.
* جماعة التبليغ عقيدتها وأفكار مشايخها لميان أسلم الباكستاني.
* أماني الأخبار للكاندهلوي.

مراجع الإخوان المسلمين:

* مجموعة رسائل حسن البنا.
* مذكرات الدعوة والداعية لحسن البنا.
* دعاة لا قضاة لحسن الهضيبي.
* حسن البنا مبادىء الاصول.
* كتب السلف.

مراجع حزب التحرير:

* الدستور الإسلامي.
* التكتل الحزبي.
* مفاهيم سياسية.
* نظام الحكم في الإسلام.

* كتاب الخلافة.

مراجع القطبيين:

* معالم في الطريق لسيد قطب.
* في ظلال القرآن لسيد قطب.
* جاهلية القرن العشرين لمحمد قطب.
* كتب السنن وشروحاتها.

مراجع الجهاد:

* الفريضة الغائبة لمحمد عبدالسلام.
* فتاوى ابن تيمية.
* كتب الفقه.
* كتب الوهابية.
* كتب تنظيمية وحركية.

مراجع التكفير:

* رسائل شكري مصطفى.
* الكتاب والسنة.

مراجع جهيمان:

* رسائل جهيمان.

❊ كتب الوهابية.

❊ كتب السنن.

مراجع طالبان:

❊ كتب العقائد.

❊ كتب الفقه الحنفي.

❊ كتب السنن.

مراجع أهل الحديث:

❊ كتب السنن.

❊ كتب الجرح والتعديل.

❊ كتب التراث السلفي.

مراجع السلفيين:

❊ كتب السنن.

❊ كتب السلف.

❊ كتب الجرح والتعديل.

❊ كتب الوهابية.

مراجع الأزاهرة:

❊ كتب الفقه.

❊ كتب العقائد الماتريدية والأشعرية.

❊ كتب الأحناف.

مراجع النورسية:

❊ رسائل بديع الزمان.

❊ كتب الأحناف.

مراجع جند الصحابة:

❊ كتب الوهابية.

❊ كتب السلف.

❊ كتب الحديث.

مراجع الألبانيين:

❊ كتب الحديث.

❊ كتب الجرح والتعديل.

❊ كتب السلف.

❊ كتب الوهابية.

مراجع شريعة محمد:

❊ كتب السلف.

❊ كتب الوهابية.

❊ كتب الحديث.

مراجع الصوفية:

❊ لطاف المنن لابن عطاء السكندري.

❊ الطبقات الكبرى للشعراني.

❊ كتب الأذكار والأدعية.

❊ الأوراد.

❊ الرسالة القشيرية.

❊ عوارف المعارف للسهروردي.

❊ إحياء علوم الدين للغزالي.

ملحق (٥)

أهم الكتب العقائدية لدى فرق أهل السنة والتي تعكس حالة الخلاف السائد بينهم

❊ الفقه الأكبر لأبي حنيفة.

❊ رسالة السنة لابن حنبل.

❊ الإبانة في أصول الديانة للأشعري.

❊ العقيدة الطحاوية للطحاوي الحنفي.

❊ العقيدة النظامية للجويني.

❊ الأصول والفروع لابن حزم.

❊ الاعتقاد للبيهقي.

❊ أصول الدين للبغدادي.

❊ الأربعين في أصول الدين للرازي.

❊ الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي.

❊ العقائد السلفية للنسفي.

❊ لمعة الاعتقاد لابن قدامة.

❊ العقيدة الواسطية لابن تيمية.

❊ العقيدة الاصفهانية للاصفهاني.

* التوحيد لمحمد عبدالوهاب.
* تجريد التوحيد للمقريزي.
* الثمرات الذكية في العقائد السلفية لأحمد فريد.

ملحق (٦)

جداول

جدول يبيّن أهم نقاط الخلاف بين أهل السنة وبعض الفرق الأخرى:

نقطة الخلاف	فرق أهل السنة	الفرق الأخرى
الصفات	الإثبات	التأويل
الحكام	الطاعة	الخروج
الصحابة	عدول	مجروحين
العبادات	ملزمة	ملزمة
الروايات	ملزمة	محل نظر
التكفير	وارد	وارد
العقل	غير ملزم	ملزم
الأمر بالمعروف	وارد	وارد
النهي عن المنكر	وارد	وارد
رؤية الله	واردة	غير واردة
القرآن	غير مخلوق	مخلوق
الإجماع	ملزم	غير ملزم

جدول يبيّن النشأة التاريخية لفرق أهل السنة ومواطنها:

الفرقة	الفترة التاريخية	الموطن
البصرية	القرن الأول	البصرة
الأحناف	القرن الثاني	الكوفة
المالكية	القرن الثاني	المدينة
الأوزاعية	القرن الثاني	الشام
الشافعية	القرن الثالث	العراق
الصوفية	القرن الثالث	العراق
الحنابلة	القرن الثالث	العراق
الظاهرية	القرن الثالث	العراق
الأشاعرة	القرن الرابع	العراق
الماتريدية	القرن الرابع	بلاد ما وراء النهر
الحزمية	القرن الخامس	الأندلس
ابن تيمية	القرن الثامن	الشام
الأزاهرة	القرن العاشر	مصر
الوهابية	القرن الثاني عشر	جزيرة العرب
التبليغ	القرن الرابع عشر	شبه القارة الهندية
أهل الحديث	القرن الرابع عشر	شبه القارة الهندية

النورسية	القرن الرابع عشر	تركيا
الجماعة الإسلامية	القرن الرابع عشر	باكستان
الجمعية الشرعية	القرن الرابع عشر	مصر
أنصار السنة	القرن الرابع عشر	مصر
الإخوان المسلمين	القرن الرابع عشر	مصر
حزب التحرير	القرن الرابع عشر	لبنان
القطبيون	القرن الرابع عشر	مصر
التكفير	القرن الرابع عشر	مصر
الجهاد	القرن الرابع عشر	مصر
المقبلية	القرن الرابع عشر	اليمن
جهيمان	القرن الرابع عشر	جزيرة العرب
الألبانيون	القرن الرابع عشر	الشام
شريعة محمد	القرن الرابع عشر	باكستان
السلفيون	القرن الرابع عشر	جزيرة العرب، مصر، دول الخليج، اليمن
جند الصحابة	القرن الرابع عشر	باكستان
طالبان	القرن الرابع عشر	أفغانستان

جدول يبيّن الفرق الراحلة والفرق القادمة في محيط أهل السنة

الفرق الراحلة	الفرق القادمة
البصرية	القطبيون
الأحناف	التكفير
المالكية	الجهاد
الأوزاعية	جند الصحابة
الشافعية	فرق أوروبا
الحنابلة	
الأشاعرة	
الماتريدية	
الظاهرية	
ابن تيمية	
الوهابية	
الأزاهرة	
الصوفية	
التبليغ	
النورسية	
أهل الحديث	
الإخوان	

حزب التحرير	
السلفيون	
أنصار السنة	
الجماعة الإسلامية	
طالبان	
جهيمان	
الألبانيون	
الجمعية الشرعية	
المقبلية	



- صالح أحمد محمد الورداني
- ولد في القاهرة بمصر سنة ١٩٥٢م في أسرة تعتنق المذهب الشافعي
- عمل في مجال الصحافة والاعلام في مصر
- أسّس دار الهدف للاعلام والنشر في القاهرة
- له الكثير من النشاطات الثقافية في الساحة المصرية مع مختلف التيارات السياسية والثقافية والعلمانية
- اعتنق مذهب أهل البيت عام ١٩٨٥م
- ألّف عدّة كُتب، وكَتبَ عشرات المقالات في الصحف والمجالات داخل مصر وخارجها
- من مؤلّفاته:

«الخدعة.. رحلتي من السنّة إلى الشيعة»
«زواج المتعة حلال»
«الشيعة في مصر»
«السيف والسياسية في الاسلام»
«دفاع عن الرسول ضدّ الفقهاء والمحدّثين»
«أهل السنة شعب الله المختار»

مركز الأبحاث العقائدية